

الإمام علي بن الحسين عليهما السلام زين العابدين

السيد زهير الأعرجي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ^(١) .

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال : (رحم الله عبدا أحيا أمرنا) . قيل له : كيف يحيي أمركم ؟ قال

عليه السلام : (يتعلم علومنا ويعلمها الناس ، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا) ^(٢) .

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ١٧١ .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد .

هذا الكتاب يتناول سيرة الإمام الرابع من أئمة أهل البيت علي بن الحسين عليه السلام ، وخصائصه الشخصية ، وآثاره في العلم والحكمة والموعظة .

وشخصية علي بن الحسين عليه السلام المعروف بالسجاد وزين العابدين لها أهمية تاريخية وعقائدية متميزة

لسببين :

الأول : إمتلاكه اللياقة التامة الكاملة لمنصب الإمامة الكبرى . وهو منصب إلهي مجعول من قبل الله تعالى ، كما أشار القرآن الكريم : **(وَدَّ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّثَّلَ فِي آخِثِينَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)** ^(١) . وتلك اللياقة تعني حيازة الفضائل الإنسانية والكمالات الروحية والعلمية والجسدية . واللياقة لا تكتمل إلا بعلم رباني وفيض إلهي يحيط بجميع شؤون ولاية الإمام عليه السلام ، وبمملكة روحية تصونه عن الخطأ والنسيان ، والجهل والعصيان .

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

الثاني : طرق البيان اللفظي الرائع التي تميز بها السجاد عليه السلام في زمن حقل بالأدب والبلاغة والشعر . ولكن لم يرق إلى نثر أهل البيت عليهم السلام الديني الرائع غير أدبهم ، ولم تسمو إلى تلك المفاهيم المترابطة غير ألسنتهم الناطقة بالحق والصدق . فقد أطنب الإمام عليه السلام في أدعيته ومناجاته ومواعظه وحكمه ودروسه في وصف الجنة والنار ، والنعيم والعذاب ، والآخرة والدنيا ، والخير والشر ، والإيمان والفسوق ، تشويقاً وتهويلاً . ولا شك ان الإطناب في فلسفة اللغة من أرقى أساليب البلاغة ومن أروع صورها ووجوهها . وبكلمة ، فقد مثّل زين العابدين عليه السلام المنار الشامخ للخير والهداية في زمن عمّ فيه الظلم والظلام . وكلماته البليغة وسيرته العطرة سوف تبقى نموذجاً لشمولية الإسلام لكل جوانب الرحمة والمحبة في حياة الإنسان .

وله سبحانه وتعالى الشكر على إتمام النعمة ، وقبول العمل ، وغفران الزلل ، وحسن العاقبة في المبدأ والمآل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير .

زهير طالب الأعرجي

الأول من محرم الحرام ١٤٢٥ هـ

الحوزة العلمية

محتويات الكتاب :

الفصل الأول : الترجمة التاريخية

الفصل الثاني : الخصائص الشخصية

الفصل الثالث : المعالم الإجتماعية

الفصل الرابع : الآثار المدونة

الفصل الخامس : نصوص منتقاة

الفصل الأول : الترجمة التاريخية

ولادة علي بن الحسين عليه السلام

إذا أراد المؤرخ أن يؤرخ لحياة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، فلا بد أن يرجع قليلاً الى الوراء ، وبالتحديد الى فتح بلاد فارس زمن الخليفة الثاني . فقد فتحت بلاد الفرس في السنة السادسة عشرة من الهجرة ، الا ان ملكها (يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز) هرب من عاصمة مملكته بعد سقوط المدائن بيد المسلمين ، وبقي متخفياً في أرياف فارس أربعة عشر عاماً حتى قتل سنة ٣٠ هجرية في مرو . وصادف مقتله السنة السادسة من خلافة عثمان بن عفان .

وتشير الروايات التاريخية الى ان يزيدجرد وصل الى الملك سنة ١٦ هـ (بعد تمصير البصرة) . أي بعد أربع سنوات فقط من تملك أبيه شهريان الذي أعتلى عرش فارس سنة ١٢ هـ . أما جدهم كسرى أبرويز فقد قتل سنة وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي سنة ٣٦ هـ ، وهي السنة التي تصدى فيها علي بن أبي طالب عليه السلام للخلافة ، أرسل عليه السلام حريث بن جابر والياً على جانب المشرق ، فظفر بابنتي يزيدجرد بن شهريار ، وبعثهما اليه عليه السلام وهو بالكوفة . فنحل الامام عليه السلام شاه زنان الى ولده الحسين سيد شباب اهل الجنة عليه السلام فولدت له علي بن الحسين عليه السلام في الخامس من شهر

شعبان سنة ٣٨ هـ^(١) في الكوفة ، وقيل في المدينة وهو بعيد . ونخل الأخرى إلى محمد بن أبي بكر ، فولدت له القاسم ، وهو فقيه معروف^(٢) . ونُسب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام انه كان يرى أن بنات الملوك ينبغي ان لا يعاملن معاملة الأسرى ولو كن كافرات^(٣) ، وسناقش دلالة ما نُسب إليه عليه السلام عما قليل .

وعندما قدمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحسين عليه السلام أوصاه بالإحسان إليها ، وسماها فاطمة تكريماً لها . وتنبأ عليه السلام نبوءته الصادقة : (يا أبا عبد الله لتلدن لك خير أهل الأرض) . وهكذا كان ، فقد انجبت له زين العابدين عليه السلام . وكان فعلاً خير أهل الأرض في ذلك الزمان . ومواصفات فاضلة كتلك ، جعل تلك المرأة الكريمة تستحق لقب (سيدة النساء) حيث كانت تعرف به^(٤) . وهو لا يتعارض مع لقب فاطمة الزهراء عليها السلام . ففاطمة عليها السلام في الحديث المستفيض عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين . و(شاه زنان) سيدة نساء زمانها . فلا تعارض في اللقبين .

(١) مطالب السؤول ج ٢ ص ٤١ . والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٠١ .

(٢) الإرشاد للمفيد ص ٢٨٤ . وبحار الانوار ج ٤٦ ص ١٢ ح ٢٣ . وعوالم العوالم ج ١٨ ص ٩ ح ٥ .

(٣) تجد روايات فريية من ذلك في الكافي ج ١ ص ٤٦٦ ح ١ . وبصائر الدرجات ص ٣٣٥ ح ٨ .

(٤) نور الابصار للشبلنجي ص ١٢٦ .

وحدثُ بهذا الوزن لا بد ان يُؤرخه الشعراء ، فتصدى لذلك الصحابي التابعي أبو الاسود الدؤلي (ت ٦٧ هـ) في بيت شعري رائع :

وإن وليدا بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمام^(١)
ولم تمكث سيدة النساء بعد وضع وليدها الا قليلاً ، فقد أصابتها حمى النفاس فتوفيت (رض) على أثر ذلك . فبقي الوليد يتيما من جهة الأم . فأوكل الإمام الحسين عليه السلام حضانته إلى إحدى النساء من أهل الصلاح والتقوى .

(١) بحار الانوار ج ٤٦ ص ١٦٦ . نيطت : علقت . والتمائم : خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين . وقد زعم بعض الباحثين بأن خلو ديوان أبي الأسود الدؤلي (تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٥٤ م) من هذا البيت يرجح عدم صحة القصة . ولكن هذا ترجيح بدون مرجح ، لأ، خلو الديوان لا يعني عدم صحة نسبة البيت الى الدؤلي . خصوصا وان من يجمع الديوان بعد وفاة الشاعر قد يحذف بعض المواد حسما يرتأيه فكره وعقيدته وذوقه . وعلى أية حال فقد ورد قريبا من لفظ هذا البيت في شعر الرماح بن يزيد المري المشهور بابن ميادة (ت ١٣٦ هـ) لما فخر بنفسه أبا واما فقال :

انا ابن أبي سلمى وجدي ظالم وأممي حصان حصنتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليه التمام ؟

الأم الموحدة ودلالة (لتلدن لك خير أهل الأرض)

وقد يثار تساؤل هنا ، وهو : كيف تمكنت امرأة وثنية على الظاهر ، غير عربية ، بنت أحد الملوك الذين بقوا على وثنتهم ، من السمو إلى تلك الدرجة الكريمة لتكون أمماً لإمام طاهر معصوم من أئمة المسلمين ؟

وجواب ذلك نرتبه في نقاط تالية :

١ . ان التوحيد قد رفع أفرادا كانوا يعيشون في أمم جاهلية تعبد الأوثان ؛ فكان الموحدون يخفون عقيدتهم أو يلوذون بالصمت أمام تيار الشرك . والافتراض الصحيح ان سيدة النساء كانت امرأة موحدة في أمة كافرة ، لم تلوثها أوساخ الوثنية . وهي ليست بمعزل عن أبئل التوحيد في ذلك الزمان . فقد عاش الموحدون من بني هاشم في مجتمع قريش الوثني ، ولم يلوثهم درن الوثنية الجاهلية . وأكثر ما استطاع الأمويون تزويره في هذا النطاق هو الزعم بان أم السجاد عليها السلام كانت من سبايا كابل ، كما أرسلها اليعقوبي في تاريخه دون تدقيق ^(١) . والخطأ واضح . لان فتح كابل كان في سنة ثلاث واربعين للهجرة على يد عبدالرحمن بن سمرة الأموي من قبل

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٦ طبعة النجف .

معاوية . والسجاد عليه السلام ولد سنة ٣٨ للهجرة بالاتفاق . فلا يصح ذلك الزعم .
٢ . من المحتمل قويا أن أمر إيمان ابني (يزجرد) بالله عزوجل وبمبدأ التوحيد كان شائعا في ذلك
الزمان . وإلا ، فإن الإمام علياً عليه السلام لا يمكن أن يتسرع في نحل امرأة لا يعرف عن ماضيها وحاضرها
شيئا لابنه الحسين عليه السلام ، ويوعده بانها ستكون من أفضل نساء زمانها وستلد له خير أهل الأرض .
خصوصا إذا لحظنا تأكيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حسن إختيار الزوجة ، مثل كون الخال أحد
الضحيعين فاختراروا لنطفكم^(١) ، وتوقوا على أولادكم من لبن البغي والمجنونة فان اللبن يعدي^(٢) ،
والنهي عن استرضاع الحمقاء لأن الولد ينزع إلى اللبن^(٣) ، ونحوها من الأخبار .
وحتى ما قيل عن رأه عليه السلام من ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة الأسرى ، لاتفسر مغزى قوله
عليه السلام للحسين : (يا أبا عبدالله لتلدن لك خير أهل الأرض) . ومجرد اطلاق عنوان السلطة الوارثية
والأمانة السياسية دون افتراض الصلاح والتقوى والإيمان ، لا يمكن ان يؤلد خيراً على الأرض .

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي .

(٢) المقنعة للشيخ المفيد ص ٦١ .

(٣) نوادر الراوندي ص ١٣ .

ولكننا نميل إلى ان ما قاله عائشة في سيدة النساء يدل دلالة قوية على انها كانت امرأة استثنائية . فهو على الأقل يعلم انها امرأة موحدة مؤمنة بلاله عزوجل . وهذا ليس غريباً ، فالتاريخ ينقل لنا قصص مشابحة لنساء مؤمنات في أسر كافرة ، منها : امرأة فرعون الموحدة المؤمنة التي دعت الله عزوجل ان يبي لها بيتا في الجنة وان ينجيها من فرعون وعمله . ولا يشك أحد بكفر فرعون وظلمه وتعديه على حقوق الخلق وخالق .

قال المجلسي في (بحار الأنوار) (١) : ان أم السجاد عائشة رأت فاطمة الزهراء عائشة وأسلمت قبل ان يأخذها عسكر المسلمين ... ولها قصة وهي أنها قالت : رأيت في النوم . قبل ورود عسكر المسلمين . كأن محمدا رسول الله ﷺ دخل دارنا ، وجلس مع الحسين عائشة وخطبني له وزوجني منه ، فلما أصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا . فلما كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد ﷺ قد أتتني وعرضت علي الإسلام فأسلمت . ثم قالت عائشة : (إن الغلبة تكون للمسلمين ، وإنك تصلين عن قريب الى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد) . قالت : وكان من الحال أني خرجت الى المدينة ما مس يدي انسان .

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١١ نقلا عن كتاب الخرائج .

ونقل الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ان أمير المؤمنين عليه السلام سأل شاه زنان حين أسير ^١ : (ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل ؟) قالت : حفظت عنه انه كان يقول : إذا غلب الله على أمر ذلت المطاعم دونه ، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة . فقال عليه السلام : (ما أحسن ما قال أبوك ! .. تذلل الأمور للمقادير ، حتى يكون الحتف في التدبير) ^(١) .

أقول : وربما كان المقصود من لفظ (أبيك) في قول الإمام عليه السلام هو جدها كسرى لإحتمال وجوده في الملك عام الفيل . وعلى أية حال فان ذلك القول يدل على حسن نظر وقوة رأي .

٣ . لو لم تكن سيدة النساء موحدّة ومؤمنة ومن أهل الصلاح ومعروفة بذلك ، لما ترك يزيد ذلك الأمر عندما واجه الإمام زين العابدين عليه السلام في بلاط الخلافة في الشام بعد أقل من شهر من واقعة كربلاء سنة ٦١ هـ . وقد أنتقص من كان على شاكلة (يزيد) ابن الأمة ، أو زوج الأمة بعد عتقها . ولنا في ذلك قرائن تاريخية تؤيد ما ذهبنا إليه :

أ . فقد عبر هشام بن عبد الملك زيدا بن علي بانه ابن أمة مع ان الله عزوجل حلل الأماء . قال هشام لزيد : أنت المؤهل نفسك للخلافة ، الراجي لها ؟ وما أنت وذاك لا أم لك ، وإنما أنت ابن أمة . فقال زيد

(١) الإرشاد ص ١٦٠ .

(رض) : (ابي لا أعلم أحدا أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة . فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث ، وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام . فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام ؟ وبعد فما يقصر برجل أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن علي بن ابي طالب عليه السلام ؟) . وفي ذلك دلالة على ان أمر الأمة كان محل انتقاص عند العرب زمن الجاهلية ، ومن بقي عليها زمن الإسلام .

ب . وحاول عبدالملك بن مروان الانتقاص من الإمام زين العابدين عليه السلام لانه اعتق أمة ثم تزوجها على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فأجابه الإمام عليه السلام بعد ان ذكره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر : (... وقد رفع الله بالسلام الحسينية ، وتمم به النقيصة ...)^(١) . وهذه الرواية على شاكلة سابقتها في كون الإمام من موارد الانتقاص عند العرب زمن الجاهلية .

وسكوت يزيد أقوى دليل على ان أم الإمام زين العابدين عليه السلام كانت من الإيمان والاصلاح ما كان معروفا ومشهورا في ذلك الزمان .

وإن كان هذا ينطبق على سيدة النساء ، فانه بالدلالة التاريخية ينطبق على أختها أم القاسم ، زوجة محمد بن أبي بكر .

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣ ص ٤٤٨ .

٤ . لم يظهر من الأحاديث المروية في الكتب الروائية عن ان ابني يزيد مجرد كانتا من سبايا الفرس ،
عدا رواية ابن جرير الطبري في دلائل الإمامة ص ٨١ . ولا نعمل مدى صحة رواية الطبري ، خصوصاً
وانها تذكر بانهما دخلتا على عمر بن الخطاب في المدينة . وهو غير صحيح ، لان يزيد مجرد كان حياً في
زمن عمر ، و لم يقتل حتى سنة ٣٠ هـ ، وكان ذلك في خلافة عثمان . ودخولها الى معسكر المسلمين
كان بعد مقتل أبيها . فرواية الطبري ساقطة تاريخياً .

اذن نستنتج بانهما لم يكونا من سبايا الفرس ، وربما كان رغبتهما للإتصال بالمسلمين زمن الإمام
العادل علي بن ابي طالب عليه السلام دعاؤه لوالديه ، ويشمل أمه بالدلالة التضمنية ، هو دليل آخر على
إيمانها . ولو كانت مشركة لما جاز له الدعاء لها .

وكان للإمام الحسين عليه السلام أمة ربّت السجاد عليه السلام واشتهرت بانها أمّه . وعنهما قيل للسجاد عليه السلام :
أنت من أبر الناس ولا نراك تأكل مع أمك . فقال عليه السلام : (اني أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت
إليه عينها فاكون قد عققتها) ^(١) . وأراد عليه السلام بلزوم رعاية حق المريية ، وأطلق على مخالفتها اسم
العقوق . فهنا جملة أمور :

(١) الكامل للمبرد ج ١ ص ١٦١ . وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٩٧ .

أ. انه عليه السلام لم يتعمد مخالفتها وانما تخوف من سبق يده لما سبقت عينها اليه .
ب. انها لم تكن أمه البيولوجية (التكوينية) ، بل كان أمه الاعتبارية التي نزلت بمنزلة الأم من حيث الرعاية .

ج. ينبغي ، مفهوماً حسبما يستفاد من هذه الرواية ، ان يكون حال الولد مع أمه التكوينية . وهي التي حملته تسعة اشهر وتحملت مشاق الولادة والرضاعة من أجله . أعظم وأكبر .
والخلاصة ، انه لايمكن حمل عقيدة والده الإمام زين العابدين عليه السلام إلا على محمل الإيمان بالله عز وجل ومبدأ التوحيد . ونحلها للحسين عليه السلام كان قد شرفها ، ووضعها في المحل الطاهر الذي كانت تأمله كل موحدّة بالله لم تنهياً لها الظروف لإعلان إسلامها أمام الملائكة العريض .

مراحل حياة الإمام علي بن الحسين (٣٨ . ٩٥ هـ)

ويمكننا تقسيم حياة الإمام السجاد عليه السلام إلى ثلاث مراحل متصلة ومتضافرة بعضها مع الآخر .
الأولى : وتمتد من سنة ٣٨ هجرية ن وهو تاريخ ولادته بالكوفة الى بداية سنة ٦١ ، وهي السنة التي شهدت واقعة كربلاء واستشهاد والده الحسين عليه السلام مع من

صرع في أرض الطف . والثانية : وتمتد من سنة ٦١ هجرية وحتى سنة ٦٧ هـ ، وهي الفترة الواقعة بين مقتل الحسين عليه السلام ومقتل قاتليه ، والثالثة : تمتد من سنة ٦٧ هـ وحتى استشهاد سنة ٩٥ هـ على يد الوليد بن عبد الملك بن مروان . وفترة إمامة السجاد عليه السلام الدينية والاجتماعية تغطي المرحلتين الثانية والثالثة ، وهي أربع وثلاثين عاماً . وعاصر في مدة إمامته : يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك . وسوف نبحت الآن المرحلة الأولى من حياته عليه السلام بصورة مفصلة .

المرحلة الأولى : (سنة ٣٨ . ٦١ هـ)

قضى السجاد عليه السلام هذه الفترة من حياته ، وهي من تاريخ ولادته وحتى استشهاد والده الحسين عليه السلام في كربلاء ، حياةً اسرية طبيعية تلقى فيها صنوف التربية الروحية من والده عليه السلام بالخصوص . لكنه عاش فترة مضطربة سياسياً ، على المستوى الاجتماعي . فقد عاصر عليه السلام وهو في الثانية من عمره استشهاد جده علي أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة . وعاصر ، وهو في الثالثة عشرة من عمره استشهاد عمه الإمام الحسن عليه السلام في المدينة المنورة . ورافق أباه الحسين عليه السلام تمام مدة إمامته وهي عشر سنوات ، وحضر واقعة كربلاء حيث استشهاد والده واخوته وعمه العباس وابناء عمومته ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره .

وقد أعتاد أئمة أهل البيت عليهم السلام بوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإذعان للإمام الحبي عليه السلام والصمت . بمعنى أنهم كانوا عليهم السلام لا يدلون برأي شرعي او مسألة فقهية أو حكم للناس ، وإمام منصوب عليه موجودٌ بينهم ، بل كانوا يتركون ذلك للإمام المنصوص عليه . فلم ينهض الحسن عليه السلام بأعباء الإمامة بحضرة والده الإمام علي عليه السلام ، ولم ينهض الحسين عليه السلام بأعباء الإمامة بحضرة أخيه الإمام الحسن عليه السلام . فلا غرابة ان نلمس صمت زين العابدين عليه السلام في حضرة والده الامام الحسين عليه السلام الى ان استشهد في كربلاء سنة ٦١ هـ . وعندها جاء دوره عليه السلام في إرشاد الناس . ومرحلة الإعداد تلك تبدأ بالولادة ، ثم الطفولة ، والشباب ، والزواج ، وحتى الذهاب الى كربلاء وما حصل فيها .

الاحتفاء بالمولود

لا يخفى ان ولادة علي بن الحسين عليهم السلام في ٥ شعبان سنة ٣٨ هـ ^(١) كانت موردا للاحتفاء عند آل البيت عليهم السلام لسببين :

(١) مطالب السؤل ج ٢ ص ٤١ . ونور الأبصار ص ١٥٣ .

الأول : كرامة المولود التي عبرت عنها روايات متواترة عن رسول الله ﷺ كانت قد تنبأت بمولود يملأ الدنيا عبادة وسجوداً ، وتضرعاً وخشوعاً . منها : ما رواه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يلعبه ، فقال ﷺ : (يا جابر ، يولد له مولود اسمه علي ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليقم سيد العابدين ، فيقوم ولده ، ثم يولد له ولد اسمه محمد ، فان أنت أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام)^(١) . وداوم جابر على التقرب من أهل البيت ؑ ، وكانت له علاقة متميزة بالامام زين العابدين ؑ ، وكان يصلي وراءه ؑ . وكان الزهري^(٢) إذا حنّ عن علي بن الحسين ؑ ، قال : حدثني (زين العابدين) علي بن الحسين . فقال له سفيان بن عيينة : ولم تقول له زين العابدين ؟ قال : لأنني سمعت سعيد بن المسيب يحنّ

(١) هذا الحديث وفي لفظه أحاديث أخرى أخرجهما في إحقاق الحق ج ١٢ ص ١٣ . ١٦ . والبداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ١٠٦ .

(٢) كان محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٨ . ١٢٤ هـ) من حاشية آل مروان ، فكان معلماً لأولاد هشام بن عبد الملك (تحذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٤٩) حيث أمره هشام أن يملي على أولاده أحاديث فأملئهم أربعمئة حديث مما لا يتصل بفضائل أهل البيت ؑ . فأطراه علماء العامة ورفعوه فوق مستوى العلم والفضيلة قال أبو علي الحائري في منتهى المقال في ترجمته : لا ريب في عداوته ونصبه لأمرير المؤمنين ؑ . أدرجه العلامة الحلي وابن داود في رجالهما في الضعفاء ، ولم يعتد به الشيخ محمد طه نجف ، حيث لم يأت على ذكره في (اتقان المقال) .

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين ؟ فكأني أنظر الى ولدي علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب يخطر بين الصفوف) (١) .

الثاني : الجمع عند علي بن الحسين عليهما السلام بين ملامح عنصريين . هما صلب العرب وترائب العجم . وهو أمر جديد على وجه التقريب . إلا إذا أخذنا بنظر الاعتبار هنا زواج النبي ﷺ من مارية القبطية المهداة له ﷺ من حاكم الاسكندرية القبطي . إلا ان مارية كانت عربية من الأقباط ، بينما كانت سيدة النساء من العجم .

ولا نجد غرابة اذن في أن يطلق الإمام الحسين عليهما السلام على ابنه علي عليهما السلام لقب : ابن الخيرتين . فخيرته من العرب قريش (ومن قريش بني هاشم) . ومن العجم أهل فارس ، وهم أقرب الأقوام بعد العرب آنذاك إلى الإسلام .

ولا غرابة في أن ينشد أبو الأسود الدؤلي :

وان وليدا بين كسرى وهاشم
لأكرم من نيطت عليه التمام

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٦٩ والامالي ص ٣٣١ .

في الأسرة

والمشهور شهرة عظيمة ان السجاد عليه السلام كان أكبر أولاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام . ومن الضروري توضيح الفكرة القائلة بأن الإمامة لا علاقة لها بالولد الأكبر أو الأصغر ، بل هي بالنص والوصية . فالإمامة من الله عزوجل يودعها حيث يشاء من عباده : (وَبِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَكُمْ الْخِيَرَةَ ...) ^(١) (وَمَا لَكُمْ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ ذَا صَاحِبٍ اللَّهُ يَرْؤُوهُمْ مِنْ أَنْ كَرِهُوا لَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحِبُّوا الْخِيَرَةَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) ^(٢) . وسوف نفصّل هذا الموضوع في الفصل الثاني باذنه تعالى .

عاش السجاد عليه السلام في أسرة مكونة من تسعة أفراد : أبوه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأخويه علي الأصغر الذي يسمى خطأ بعلي الأكبر (وأمه ليلي بنت أبي مرة الثقفية) ، وجعفر (وأمه قضاة) . وأختيه : سكينه (وأمها الرباب بنت امرئ القيس) ، وفاطمة (وأمها أم إسحاق بنت طلحة وهي تميمية) ^(٣) . ثم ولد للحسين عليه السلام عبدالله (الرضيع) وأمه الرباب قبل أشهر من واقعة

(١) سورة القصص : الآية ٦٨ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .

(٣) إرشاد المفيد ج ٢ ص ١٣٥ ، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٧٧ .

الطف وذبح فيها . وتوفي جعفر في حياة أبيه الحسين عليه السلام ، واستشهد علي الأصغر في كربلاء سنة ٦١ للهجرة .

ترعرع السجاد عليه السلام في المدينة ، بعد استشهاد جده الإمام علي عليه السلام في الكوفة سنة ٤٠ هـ . فقد رجع الهاشميون إلى مدينة الرسول ﷺ بعد أن مكثوا مع أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة أربع سنوات وأشهرًا . وكان اسماً ، نحيفاً ، رقيقاً من كثرة العبادة .

تزوج عليه السلام في هذه الفترة من حياته (سنة ٥٤ للهجرة على الإرجح) من ابنة عمه : فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ، فيكون زواجه منها وهو في السادسة عشرة من عمره . فأنجبت له محمد الباقر عليه السلام ، وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليه السلام ، سنة ٥٨ هـ . ثم تزوج لاحقاً بأمهات أولاد فولدن له أولاداً ذكوراً وإناثاً ، أبرزهم زيد بن علي وعبدالله الباهر . وكانا معروفين بالفضل والجهاد في الاسلام . ومجموع أولاد زين العابدين عليه السلام حسب الروايات خمشة عشر ولداً : أحد عشر من الذكور وأربعة من الإناث . وكان للباقر عليه السلام يوم الطف ثلاث سنين .

وكان السجاد عليه السلام كثيراً ما يدعو لأولاده ، فيقول : (اللهم ومنّ عليّ ببقاء ولدي ، وبإصلاحهم لي ، وبامتناعي بهم . ألهمي أمدد لي في أعمارهم ، وزد في آجالهم ، وربّ لي صغيرهم ، وقوّ لي ضعيفهم ، وأصح لي ابدانهم وأديانهم وأخلاقهم ، وعافهم في أنفسهم ، وفي جوراحهم ، وفي كل ما عنيت به من أمرهم ، وأدرر لي وعلى يدي ارزاقهم ، واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء سامعين ، مطيعين لك ، ولأوليائك محبين ناصحين ، ولجميع اعدائك معاندين ...) .

وليس هناك من شك بأن البيت الذي نشأ فيه زين العابدين عليه السلام كان بيت نبوة وإمامة ، بيت من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . فلأزم العبادة والتهدد وذكر الله عزوجل منذ صغره ، وهو يرى أباه عليهما السلام يقوم الليل ويصوم النهار ويساعد الفقير ويعين المحروم . فكان لا يسمع في بيته الا القرآن ، ولا يرى من أهله الا ساجد وراكع ، ولا يأكل الا مع من يشد الحجر على بطنه ، أو يصوم الأيام الطويلة . وهكذا كانت حياة السجاد عليه السلام حياة علم وتقوى وجهاد وعبادة .

يصف أحد الرواة السجاد عليه السلام وهو في السابعة أو الثامنة من عمره فيقول : حججت بعض السنين إلى مكة ، فبينما أنا سائر في عرض الصحراء وإذا بصبي سباعي أو ثماني ^(١) وهو يسير في الطريق بلا زاد ولا راحلة . فتقدمت إليه وسلّمت عليه ، وقلت له : مع من قطعت البر ؟ قال : (مع الباري) . فكبر في عيني ، فقلت : يا ولدي ! أين زادك وراحتك ؟ فقال : (زادي تقواي ، وراحتي رجلاي ، وقصدي مولاي) . فعظم في نفسي ، فقلت : يا ولدي ممن تكون ؟ فقال : (مطلي) . فقلت : أبن لي ؟ فقال : (هاشمي) . فقلت : أبن لي ؟ فقال : (علوي فاطمي) . فقلت : يا سيدي ! هل قلت شيئا من الشعر ؟ فانشده عليه السلام شعرا .

ثم غاب عن عيني الى ان أتيت مكة فقضيت حجتى ورجعت ، فأتيت الأبطح فإذا بحلقة مستديرة ، فاطلعت لأنظر من بها فإذا هو صاحبي . فسألت عنه ، فقيل : هذا زين العابدين ^(٢) . وفي الرواية الأنفة دلالات على انه كان من أهل العلم والعبادة والبلاغة ، على الرغم من صغر سنه .

(١) هذا الإصطلاح غريب . قال في (تاج العروس) عن ابن شميل يقال : رباعي لمن بلغ أربعة اشبار . وقال الليث : الخماسي والخماسية من الوصائف لمن طوله خمسة اشبار ، ولا يقال سداسي ولا سباعي إذا بلغ ستة أو سبعة اشبار لأنه رجل (ج ٤ ص ١٤١) . فيتعين انه كان يقصد ابن سبع سنين أو ثمان .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٩٢ . والمناقب ج ٣ ص ٢٩٤ .

وفي رواية الأصمعي ^(١) التالية دلالة أخرى على انه عليه السلام كان من أهل العبادة والصلاة ، وهو لا يزال في حداته سنة . يقول الأصمعي : (كنت أطوف حول الكعبة ليلاً فاذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان ، وهو متعلق بأستار الكعبة ، وهو يقول : نامت العيون ، وعلت النجوم وأنت الحي القيوم . غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حراسها ، وبابك مفتوحٌ للسائلين ، جنتك لتنظر إليّ برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة وأنت وحدك يا قيوم لم تنم
أدعوك رب دعاء قد أمرت به فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالنعيم
قال : فاقتفيته فإذا هو زين العابدين ^(٢) .

وينسب للحسن البصري أنه رأى زين العابدين عليه السلام متعلقاً بأستار الكعبة ، وهو يتضرع إلى الله ، ويدعوه منيباً ، فدنا منه فسمعه يقول هذه الأبيات :

(١) أورد الرواية ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٢٥١ . ونسبة الرواية إلى الأصمعي لا يصح ، لان الأصمعي توفي في بغداد سنة ٢١٦ عن ثمان وثمانين سنة (كما في تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤١٩) . فتكون ولادته سنة ١٢٨ هجرية تقريبا . أي بعد استشهاد الإمام السجاد عليه السلام بثلاث وثلاثين سنة . نعم يمكن أن تصح الرواية بالواسطة ، أي إذا كان الراوي رجلاً آخر رواها الأصمعي عنه .

(٢) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ١٤٣ .

ألا أيها المأمول في كل حاجة شكوت إليك الضر فارحم شكايي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين مخافتي
فيا سيدي أمنن علي بتوبة فإنك رب عالم بمقالي
ولا يوجد دليل سندي على صحة نسبة هذه الأبيات إلى السجاد عليه السلام ، ويؤيد ذلك عدم موازاتها
لبلاغته عليه السلام وفصاحته .

وكان باراً رحيماً بأسرته ، خصوصاً عندما اشتد عوده عليه السلام وبلغ مبلغ الرجال . وكان غالباً ما يردد
: (لئن أدخل إلى السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحماً وقد قرموا^(١) أحب إلي من أن أعتق نسمة)
^(٢) . وكان عليه السلام يكثر في طلب الرزق لعياله ، ويقول : (أتصدق لعيالي قبل أن أتصدق [على الناس]
.... من طلب الحلال فإنه من الله عز وجل صدقة عليهم)^(٣) .

-
- (١) قرموا : اشتد شوقهم إلى تناول اللحم .
(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٧ نقلاً عن الكافي ج ٢ ص ١٢ .
(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٧ نقلاً عن الكافي ج ٢ ص ١٢ .

أخلاقه وأدبه ﷺ مع أبويه

ولئن حرم السجود ﷺ من حنان الأم ورأفتها ، فانه لم يحرم من برها بالدعاء لها ولوالده ﷺ .
والدعاء للوالدين يعكس :

١ . أدبا قرآنيا رفيعا والتزاما بأحكام الإسلام . وقد قال تعالى : (**مَخْفِضٌ هُمْبَا جَبَاحِ اللّٰهِ مِّنِ الرَّحْمَةِ وَقُلُوبٌ اَزْمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**)^(١) .

٢ . قلبا مرهفا وضميرا حيا وعقلا متوقدا .

٣ . وفاء بالجميل الذي أسداه الوالدان لوليدهما .

فيقول ﷺ في دعائه لهما :

أ . (... واخصص اللهم والدي بالكرامة لديك والصلاة منك يا أرحم الراحمين . اللهم اجعلني
أهاجما هيبة السلطان العسوف^(٢) ، وأبرهما برّ الأم الرؤوف ، واجعل طاعتي لوالدي ، وبري بهما أقرّ
لعيني من رقدة الوسنان^(٣) ، وأثلج لصدري من شربة الضمآن حتى أوتر على هواي هواهما ، وأقدّم على
رضاي رضاها ، وأستكثر برهما بي وإن قلّ ، وأستقلّ بري بهما وإن كثر) .

(١) سورة الاسراء : الآية ٢٤ .

(٢) العسوف : الظلوم .

(٣) الوسنان : النعسان .

ب . (اللهم خفّض لهما صوتي ، وأطب لهما كلامي ، وأن لهما عريكتي ^(١) ، وأعطف عليهما قلبي ، وصيرني بهما رفيقاً ، وعليهما شفيقاً) .

ج . (اللهم اشكر لهما تربيتي ، وأثبهما على تكرمتي ، واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري) .
د . (اللهم لا تنسني ذكرهما في أدبار صلواتي ، وفي إني من آناء ليلي ، وفي كل ساعة من ساعات نهارني) .

شب الإمام السجاد عليه السلام في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ذكرنا آنفاً ، على الصفات الحميدة للإسلام . وكان الى جانب أبيه الحسين عليه السلام في المهمات ، وعلى الأغلب لقاء الإمام الحسين عليه السلام المشهود مع الوليد بن عتبة (والي المدينة من قبل يزيد) ومروان بن الحكم ، عندما أراد بنو أمية البيعة ليزيد بالخلافة . وكان عليه السلام آنذاك شاباً في الثانية والعشرين من عمره .

فعندما مات معاوية بن ابي سفيان في رجب سنة ٦٠ هـ ، كتب يزيد الى الوليد بن عتبة أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة على أهلها عامة وعلى الإمام الحسين عليه السلام خاصة . فقال له : إن أبي عليك فاضرب عنقه وأبعث غلي برأسه .

(١) العريكة : الطبع .

فبعث الوليد الى الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين رجلا من أهل بيته ومواليه . ومن الراجح تاريخيا ان زين العابدين عليه السلام كان بينهم ، فقد كان شاباً بليغاً راشداً يعضد أمر أبيه عليه السلام في القضايا الاسلامية الكبرى .

فنعى الوليد إلى الحسين عليه السلام موت معاوية ، وعرض عليه البيعة ليزيد . فلم يجبه الإمام الحسين عليه السلام إلى شيء محدد ، بل أجله إلى الغد . وقال عليه السلام للوليد : (ان البيعة لا تكون سرا ولكن اذا دعوت الناس غدا فادعنا معهم) . فانبرى مروان مخاطبا الوليد : لا تقبل أيها الأمير عذره ، متى لم يبايع فاضرب عنقه . كذبت والله ولؤمت) . ثم أقبل على الوليد وقال عليه السلام : (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة . بنا فتح الله وبنا ختم الله ، ويزيد رجل فاسق ، شارب الخمر ، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله) (١) .

وأنتهت المقابلة بخروج الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أهل بيته عليه السلام من مقر الوليد بن عتبة . ثم إتخاذ الإمام الحسين عليه السلام قراره بالخروج من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء .

(١) اللهوف ص ١٧ .

المرحلة الثانية : (سنة ٦١ . ٦٧ هـ)

وهذه المرحلة امتدت من مقتل أبيه سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء في العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ ولحد العاشر من محرم الحرام من سنة ٦٧ هـ وهو تاريخ مقتل قاتلي الحسين عليه السلام . وتمثل تلك الفترة ست سنوات كاملة من الانتظار والاضطراب الإجتماعي والسياسي .

ففي سنة ٦١ للهجرة توالى أحداث الطف وقضية المسير الى الكوفة والدخول على عبدالله بن زياد ، ثم دفن الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره . ثم المسير الى الشام وخطبة السجاد عليه السلام في مسجد الطاغية الأموي ، ثم العروج على كربلاء مرة أخرى لتجديد العهد . ثم المسير الى المدينة حيث تسلم الإمام زين العابدين عليه السلام ودبيعة الإمامة التي تركها له أبوه عليه السلام عند أم سلمة (رضوان الله عليها) . وكانت الوصية تأمره بالسكوت .

وبقي السجاد عليه السلام حزناً على الفاجعة ، لكن لم يثنه ذلك عن أداء متطلبات الإمامة ، وهي قيادة الأمة قيادة روحية شرعية نحو أهداف الدين . اشتملت هذه المرحلة أيضا على انتفاضات ومعارك منها :

أ . معركة المدينة : ففي سنة ٦٢ هـ استبيحت المدينة من قبل جيش بني أمية بقيادة مسلم بن عقبة ، واشتعلت فيها معركة دامية بين جيش الشام و جيش المدينة بقيادة عبدالله بن حنظلة ، انتهت بمجازر بحق أهل المدينة .

ب . حركة التوابين : في سنة ٦٥ هـ قامت حركة التوابين تطالب بدم الإمام الحسين عليه السلام ، والتحم مقاتلوها مع جيش بني أمية بقيادة عبيدالله بن زياد ، وانتهت بمقتل معظم التوابين .

ج . حركة المختار : في سنة ٦٦ هـ ابتدأت حركة المختار في الكوفة ، واستمرت الى حين مقتل جميع من ساهم بقتل الحسين عليه السلام ، ومنهم عمر بن سعد وحرملة بن كاهل ، وعبيدالله بن زياد الذي قتل في ١٠ محرم سنة ٦٧ هـ .

وهذه المرحلة ، وإن لم يفصلها فاصل تاريخي عن بقية حياته عليه السلام الا انها كانت تمثل مرحلة انتظار وترقب واضطراب . خصوصا وان الذين قاموا بفضائع عاشوراء سنة ٦١ هـ بحق آل البيت عليهم السلام ، كانوا لا يزالوا يتمتعون بالحياة ويتأمرن على الناس ويحكمون باسم الدين .

وستتناول بالتفصيل خطوات المرحلة الثانية من حياة السجاد عليه السلام . ونبدأ بخروج أهل البيت عليهم السلام من المدينة سنة ٦٠ هـ .

في كربلاء (محرم سنة ٦١ هـ)

خرج السجاد عليه السلام مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته من المدينة الى مكة ، بعد ان رفض الإمام عليه السلام إعطاء البيعة ليزيد . وكان ذلك في رجب أو شعبان من سنة ستين للهجرة .
وفي الثالث من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ (وقيل الثامن منه ، أي يوم التروية) خرج ركب أهل البيت عليه السلام من مكة متوجها نحو العراق . وكان الحسين عليه السلام يتنبأ بمقتله في كربلاء ، كما قال في خطبته المشهورة في مكة قبل خروجه : (... كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملاًن مني أكراشا جوفاً) (١) . وعندما أعلم بضعف الناس بالكوفة وحقيقة أن قلوبهم معه وسيوفهم عليه ، أشار إلى انه يعلم انه مقتول لا محالة ، فقال : (... أعلم يقيناً ان هناك مصرعي ومصرع أصحابي ، لا ينجو منهم إلا ولدي علي عليه السلام) (٢) .

وفي كربلاء ذاق السجاد عليه السلام ، مع زوجته فاطمة بنت الحسن عليه السلام وابنه محمد الباقر عليه السلام ، مرارة عطش الطف وعانى من مرضه مدة ثمانية أيام متوالية . أي من الثاني من محرم الحرام وحتى العاشر منه . والظاهر ان المرض أمتد به حتى وصوله الكوفة . وسمع عليه السلام جميع خطب أبيه الإمام الحسين عليه السلام الموجهة لعساكر بني أمية ، ورأى أباه الحسين عليه السلام يصلي ليلة العاشر من محرم ويتلو كتابه حتى طلوع الفجر . وكانت تلك سجية الحسين عليه السلام في كثرة صلاته وكمال صفاته ، وهكذا كان السجاد عليه السلام على شاكلة أبيه عليه السلام .

(١) اللهوف ص ٣٨ .

(٢) اللهوف ص ٣٩ .

وفي ظهيرة ذلك اليوم من محرم ، دخل الحسين عليه السلام على ابنه عليه السلام وأوصاه بوصاياه ، وسلّمه بعضاً من موارث الإمامة كخاتمه ، وكانت آخر وصية له عليه السلام :

(يا بني ، أوصيك بما أوصى به جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً حين وفاته ، وبما أوصى جدك عليّ عمك الحسن ، وبما أوصاني به عمّك . إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله) . ثم ودعه ومضى الى ميدان المعركة الأخيرة التي استشهد فيها .

وكان السجاد عليه السلام مريضاً يوم عاشوراء ، فلم يكن قادراً على القتال . وقيل انه قاتل قليلاً ثم أتعبه المرض ، ولكنه بعيد . وعلى أي تقدير ، فان الإرادة الربانية قدرّت له أن يبقى حياً بعد مجزرة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الطف . يقول ابن سعد في طبقاته : (كان علي بن الحسين عليه السلام مع أبيه بطف كربلاء وعمره إذ ذاك ثلاث وعشرين سنة لكنه مريضاً ملقى على فراشه وقد أهلكته العلة والمرض . ولما استشهد والده عليه السلام ، قال شمر بن ذي الجوشن : اقتلوا هذا الغلام . فقال بعض أصحابه : تقتل مريضاً لم يقاتل؟! فتركوه) ^(١) .

قال ابن عمر : (هذا صحيح ، وليس قول من قال بأنه كان صغيراً حينئذٍ ولم يقاتل وانه ترك بسبب ذلك بشيء) ^(٢) .

وإن صح ذلك ، فهو لا يقدح في شخصية السجاد عليه السلام ، لأن القتال تكليفٌ يسقط عند المرض . وقد أثنى رمد العينين علي بن أبي طالب عليه السلام عن مقاتلة اليهود في خيبر حتى مسحهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشفيتا ، ثم قاتل فكان النصر على يديه عليه السلام .

وهو في الوقت نفسه ، يحط من أخلاقية بني أمية الذين أرادوا قتل مريض لا حول له ولا قوة ، صبراً . وهو من أشنع الأعمال وأقبحها عند العرب زمن الجاهلية ، فضلاً عن زمن الإسلام ورحمته !

يقول الإمام السجاد عليه السلام حول عاشوراء : (ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب) . ثم قال : (ولا يوم كيوم الحسين إذ دلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كلّ يتقرب إلى الله عزّ وجلّ بدمه ،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٢١٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢٢١ .

وهو بالله يذكّره فلا يتعظون حتى قتلوه بغيا وظلما وعدوانا (١) . (والله ما نظرت إلى عماتي وأخواتي إلا وخنقتني العبرة ، وتذكرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة ، ومن خباء إلى خباء ، ومنادي القوم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين) .

ورأت عمته العقيلة زينب الأُم على وجه السجاد ﷺ في ذلك اليوم ، فقالت له : (ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وإخوتي ، فو الله إن هذا لعهدٌ من الله إلى جدك وأبيك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السموات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة ، والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يحى رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياح الضلال في محوه وطمسه ، فلا يزداد أثره إلا علواً) (٢) .

في الكوفة (محرم سنة ٦١ هـ)

بعد استشهاد الإمام الحسن ﷺ على أرض الطف ، أعلن عمر بن سعد القائد الأموي لجيش الكوفة النصر العسكري على

(١) بحار الأنوار ج ٩ ص ١٤٧ .

(٢) كامل الزيارات ص ٢٦١ .

جيش الحسين عليه السلام ، فبدأ جنوده اقتحام الخيم القليلة المنصوبة للنساء والاطفال وحرقتها ، وارعابهم بأشد الوسائل النفسية من نظرات شامتة وتهديد بالقتل . وتم الاستيلاء على غنائم الحرب وهي سيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمامته ودرعه ، ومغزل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومقنعتها وقلادتها وقميصها ^(١) . وسبق النساء والصبيان والمرضى سبايا الى الكوفة حيث مقر عبيدالله بن زياد ، وواليها من قبل بني أمية . وكان دخول السبايا الى مدينة الكوفة مثيراً للغاية ، تقشعر منه جلود العقلاء مهما كان مذهبهم أو دينهم ، فضلاً عن المسلمين المؤمنين . فقد كانت الكوفة مدينة كبيرة حسب مقياس ذلك الزمان . فهي محاطة بنخيل كثيفة ، ومياه وافرة عذبة من الفرات ، وفيها كثافة سكانية متميزة لانها كانت مركز انطلاق الجيوش في حروب بلاد فارس والشام والروم . ولذا لم يخجل علينا التاريخ بشهود عيان يروون قصة دخول السبايا . ومن هؤلاء الشهداء حد لم بن بشير ، فيقول : قدمت الكوفة سنة ٦١ هـ عند مجيء علي بن الحسين عليه السلام من كربلاء ، ومعه النسوة وقد أحاطت بهم الجنود ، وقد خرج الناس للنظر إليهم . وكانوا على جمال بغير وطاء ، فجعلت نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن ، ورأيت علي بن الحسين قد أنهكته العلة ، وفي

(٢) اللهوف ص ١١٣ .

عنقه الجامعة ويده مغلولة الى عنقه وهو يقول بصوت ضعيف : (إن هؤلاء سيكون وينوحون من أجلنا ، فمن قتلنا ؟)^(١) .

وإذا كانت بعض المصادر^(٢) تذكر بان قافلة الأسرى التي دخلت الكوفة كانت مؤلفة من أربعين رجلاً تحمل النساء والصبيان ، فاننا يمكن ان نقدر . وبملاحظة قدرة الحمل على حمل الأفراد . عدد من أسر منهم بحدود ٨٠ . ١٢٠ فرداً ممن لهم علاقة نسبية أو سببية بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهما السلام . وإذا أضفنا من استشهد من الرجال في كربلاء وهم ثلاث وسبعون رجلاً ، يكون مجموع الذين انتهوا إلى كربلاء في معسكر الحسين عليهما السلام حوالي المائتين أو أقل من ذلك بقليل .

سياسة آل البيت عليهما السلام بعد الطف

كانت سياسة آل البيت عليهما السلام بعد واقعة الطف مبنية على اساسين هما : كشف الحقائق ، وإرشاد الناس . وتصدى لذلك ثلة من آل محمد ﷺ : الإمام زين العابدين عليهما السلام ، وثلاث نساء هن : عمتاه :

(١) أمالي الشيخ المفيد ص ٣٢١ ح ٨ . وعوالم العوالم ج ١٧ ص ٣٦٨ ح ١ وص ٣٧١ ح ٢ .

(٢) كما في رواية مسلم الجصاص .

- زينب بنت علي عليها السلام ، وأم كلثوم بنت علي عليها السلام ؛ واخته : فاطمة الصغرى بنت الحسين عليها السلام .
ويمكننا تلخيص تلك السياسة بالنقاط التالية :
- ١ . إدانة الناس على تخاذلهم وغدرهم .
 - ٢ . تذكيرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام والقرآن ، وعلاقة أهل البيت عليهم السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالة السماء .
 - ٣ . مواجهة الأمراء الطغاة بصلافة الحق وقوته ، ومقارعة الحجة بالحجة .
- وكانت تلك السياسة منسجمة ومتماسكة ، وذات أهداف محددة ، وكانت موجهة إلى جمهور المسلمين الذين خذلوا أهل البيت عليهم السلام في مبادئهم وأهدافهم .
- ففي الكوفة ، قام أهل البيت عليهم السلام بوظيفتهم الاستثنائية تلك بنوعية الناس عبر خطابات في غاية البلاغة والفصاحة ولها مدلولات عميقة في حياة المسلمين . والظاهر ان خطب أهل البيت عليهم السلام قد تمت في الكوفة خلال فترة تبادل أو استراحة الحرس المكلف بالأسرى قبل ان ينقلوا إلى قصر الإمارة ، حيث عبدها الله بن زياد أمير الكوفة من قبل يزيد بن معاوية . فاستثمر زين العابدين عليه السلام ، وأم كلثوم بنت علي ، وفاطمة بنت الحسين ، وزينب بنت علي عليها السلام تلك الفترة فخطبوا الناس .
- والكوفة ليست مدينة غريبة على أهل البيت عليهم السلام ، فقد عاشوا فيها في منتصف العقد الثالث من الهجرة ، أي قبل حوالي نيف وعشرين سنة من واقعة الطف .

خطابات آل البيت عليه السلام :

أولاً : فهذه زينب بنت علي عليه السلام لم ير خفرة (١) أنطق منها ، تخطب الناس في الكوفة ، فتقول :
(الحمد لله والصلاة على أبي : محمد وآله الطيبين الأخيار .
أما بعد .

يا أهل الكوفة . يا أهل الختل والغدر أتبكون فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم كمثل
التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم . ألا ، وهل فيكم إلا الصلف
النطف ، والصدر الشنف ، وملق الإمام وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة

ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون وتتحبون
أي والله فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً وأنى
ترحضون . قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم
ومنار حجتكم ومدرّة سنتكم ألا ساء ما تزرون وبعدا لكم و سحقاً .

(١) خفر الإنسان خفراً فهو خفر (من باب تعب) والأسم الخفارة : الحياء والوقار (المصباح المنير . مادة خفر ج ١ ص
٢١٣) .

فلقد خاب السعي ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة . ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم ، وأي كريمة له أبرزتم ، وأي دم له سفكتم ، وأي حرمة له انتهكتم . لقد جئتم بما صلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء شوهاء كطلاع الأرض أو كملئ السماء . أفعجبتم إن مطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أحرزى وأنتم لا تنصرون ، فلا يستخفنكم المهل فإنه لا يحفز به البدار ولا يخاف فوت الثأر وإن ربكم بالمرصاد) .

ورى المؤرخون ان الناس كانوا يومئذ حيارى يكون وقد وضعوا أيديهم على أفواههم . ويكي أحدهم حتى اخضلت لحيته وهو يقول : (بأي أنتم و أمي كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ونسائكم خير النساء ، ونسلكم خير نسل لا يخزى ولا ييزى) (١) .

ثانيا : فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام ، خطبت فقالت : (الحمد لله عدد الرمل والحصى وزنة العرش إلى الثرى ، أحمدده وأؤمن به وأتوكل

(١) اللهوف ص ٨٦ . ٨٨ .

عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ وإن أولاده ذبحوا بشط
الفرات بغير ذحل (١) ولا ترات (٢) . اللهم إني أعوذ بك أن أفترى عليك بالكذب . أو أن أقول عليك
خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب ؑ المسلموب حقه المقتول من غير
ذنب ، كما قتل ولده بالأمس ، في بيت من بيوت الله فيه معشر مسلمة بألسنتهم ، تعساً لرؤوسهم ما
دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته ، حتى قبضته إليك محمود النقيبة طيب العريكة معروف
المناقب مشهور المذاهب لم تأخذه فيك اللهم لومة لائم ولا عدل عاذل . هديته اللهم للإسلام صغيراً
وحمدت مناقبه كبيراً ولم ينزل ناضحاً لك ولرسولك ﷺ حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص
عليها راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك رضيته فاخترته فهديته إلى صراط مستقيم .

أما بعد :

يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيلاء . إنا أهل بيت إبتلانا الله بكم وإبتلاكُم بنا ، فجعل
بلائنا حسناً وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته على
الأرض في بلاده لعباده ، أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه محمد ﷺ على كثير ممن خلق تفضيلاً بينا
، فكذبتمونا وكفرتُمونا ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً كأننا أولاء ترك وكابل ، كما قتلتم جدنا بالأمس .
وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم ، قرّت لذلك عيونكم ، وفرحت قلوبكم على افتراء
الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين .

(١) الذحل : الثأر .

(٢) الترات : جمع ترة وهي ايضاً الثأر .

فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجدل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا ، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل ان نبرئها . إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يجب كل مختال فخور . تبا لكم فانتظروا اللعنة والعذاب ، فكأن قد حل بكم وتواترت من السماء نعمات فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ، ألا لعنة الله على الظالمين . ويلكم أتدرون أية يد طاعتنا منكم ، وأية نفس نزعنا إلى قتالنا ، أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا . والله قست قلوبكم ، وغلظت أكبادكم ، وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم ، وسؤل لكم الشيطان وأملى لكم ، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون . فتباً لكم يا أهل الكوفة ، أي ترات لرسول الله ﷺ قبلكم وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي ، وبنيه وعترته الطيبين الأخيار ، فافتخر بذلك مفتخر فقال :

نحن قتلنا عليا وبني علي بسيف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سي ترك ونطحناهم فأى نطاح
بفيك أيها القائل الكنكث والأثلب إفتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم الله وأذهب عنهم الرجس ، فاكظم وأقع كما أقعى أبوك قائماً ، لكل امرئ ما كسب وما قدمت يداه . أحسدتمونا . ويلكم . على ما فضلنا الله .

فما ذنبنا إن جاش دهرا بجورنا وبحرك ساج ما يوارى الدعا مصا
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)
(١) .

ثالثاً : أم كلثوم بنت علي ؓ خطبت أهل الكوفة من وراء كلتها ، فقالت : (يا أهل الكوفة سواءة لكم ، ما لكم خذلتن حسيناً وقتلتموه وأنتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموه ، فتباً لكم وسحقاً . ويلكم أتدرون أي دواه دهتكم ، وأي وزر على ظهوركم حملتم ، وأي دماء سفكتموها ، وأي كريمة أصبتموها ، وأي صببة سلبتموها ، وأي أموال إنتهبتموها .

(١) اللهوف ص ٨٨ . ٩٠ .

قتلتم خير رجالات بعد النبي ﷺ ، ونزعت الرحمة من قلوبكم ، ألا إن حزب الله هم الفائزون وحزب الشيطان هم الخاسرون ، ثم قالت (١) :

قتلتم أخي صبراً فويل لامكم
سفكتكم دماء حرم الله سفكها
ألا فابشروا بالنار إنكم غدا
وإني لأبكي في حياتي على أخي
بدمع عزيز مستهل مكفكف
ستجزون ناراً حرها يتوقد
وحرمها القرآن ثم محمد
لفي سقر حقا يقينا تخلدوا
على خير من بعد النبي سيولد
على الخدمي دائماً ليس يحمده

رابعاً : ثم نادى زين العابدين عليه السلام بالناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

(أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي أبي طالب . أنا ابن من انتهكت حرمة ، وسلبت نعمته ، وانتهب ماله ، وسبي عياله . أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات . أنا ابن من قتل صبراً ، وكفى بذلك فحراً .

أيها الناس ، ناشدتك الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه ، وأعطيتموه من أنفسكم العهود والمواثيق والبيعة ، وقاتلتموه . فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوأة لرأيكم ، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ إذ يقول لكم : قتلتم عترتي ، وانتهكتم حرمتي ، فلستم من أمتي ...
رحم الله امرأً قبل نصيحتي ، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وفي أهل بيته ، فإن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة) .

فصمتوا وهم يستمعون إلى هذا القول العطر . ثم قالوا : (نحن يا بن رسول الله ، سامعون مطيعون حافظون لذمامك ، غير زاغين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك يرحمك الله ، فأنا حرب لحربك ، وسلم لسلمك ، نبراً ممن ظلمك وظلمنا) .

(١) اللهوف ص ٩١ .

وقولهم هذا لا يمكن أن يفسر إلا بأحد تفسيرين :

إما ان الحضور كان من الذين لم يدخلوا الحرب مع الحسين عليه السلام ولم تصلهم أخبار الحرب إلا بوصول السبايا ، وهو بعيد . لأن جواب السجاد عليه السلام لهم يكشف عن كونهم مخادعون ماكرون . وإما أنهم كانوا يخادعون السجاد عليه السلام للتمويه على الموقف الاسلامي العام . وهذا أقرب الى الصواب . فقد كانوا يحاولون إلتماس الأعذار على خذلهم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد صدق الفرزدق حينما قال للحسين عليه السلام قبل الطف وهو يصف أهل الكوفة : (يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) . ولو كانوا صادقين في قولهم : (انا حرب لحربك وسلم لسلمك) لما تركوا الحسين عليه السلام وأهل بيته يقتلون بين ظهرانيهم قبل أيام قليلة .

فأجابهم الإمام زين العابدين عليه السلام : (هيهات ، هيهات ، أيها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون ان تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل ، كلا ورب الراقصات ^(١) ، فإن الجرح لما يندمل . قتل أبي بالأمس وأهل بيته ، ولم ينس ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثكل أبي ، وبني أبي . إن وجدته والله بين لهناتي ، ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصص تجري في فراش صدري) ^(٢) .

وهكذا عرض أهل البيت عليهم السلام على أهل الكوفة ما يرشدهم إلى آخرتهم . ولخطبة الإمام السجاد عليه السلام دلالات نعرضها عبر الكلمات التالية :

دلالات خطبة السجاد عليه السلام في الكوفة :

كشفت خطبة السجاد عليه السلام في الكوفة عن أمور ، أهمها :

١ . انها ساهمت في كشف الحقائق التي حاول بنو أمية سترها . وأخطرها التقليل من أهمية العلاقة الرسالية والرحمية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولذلك كان التأكيد على قول : (من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فانا) .

(١) الراقصات : مطايا الحجيج .

(٢) مثير الأحران لابن نما ص ٨٩ . واللهوف في قتلى الطفوف ص ٦٨ .

٢ . شرح الوقائع التي وقعت في العاشر من محرم الحرام ، وكان محورها قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وهتك حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ . الإدانة الواضحة لأولئك الذين دعوا الحسين عليه السلام الى العراق وتخلوا عنه وحاربوه ، ووصمهم بالعدو والمكر والخيانة .

وكان للسجاد عليه السلام كلامٌ قاله ، خلال أسر بني أمية له ، وهو : (أيها الناس ، أن كل صمت ليس فيه فكر فهو عي ، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو هباء ، ألا وأن الله تعالى أكرم أقواماً بأبائهم ، فحفظ الأبناء بالآباء ، لقوله تعالى : (...رَكَ يَهُمُّبَا صَالِحًا ...) ^(١) فأكرمهما . ونحن والله عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأكرمونا لأجل رسول الله ، لأن جدي رسول الله كان يقول في منبره : احفظوني في عترتي وأهل بيتي فمن حفظني حفظه الله ، ومن آذاني فعليه لعنة الله . ألا لعنة الله على من آذاني فيهم . حتى قالها ثلاث مرات . ونحن والله أهل بيت أذهب الله عنا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ونحن والله أهل بيت اختار الله لنا الآخرة وزوي ^(٢) عنا الدنيا ولذاتها ولم يمتعنا بلذاتها) ^(٣) .

(١) سورة الكهف : الآية ٨٢ .

(٢) زوي الشيء : نحاه .

(٣) ناسخ التواريخ . من أحواله عليه السلام ج ٢ ص ٤٤ . والمنتخب للطريحي ج ٢ ص ٢ .

مقارعة الحججة بالحجة:

وكان من عادة الجيش إدخال السبايا على الحاكم المنتصر من أجل إذلالهم والتشفي منهم . فالمقدمة هنا كانت إدخال السبايا على والي الكوفة ، والنتيجة هو إذلال أهل البيت عليهم السلام . ولكن الأمر كان مختلفاً مع سبايا العترة الطاهرة عليهم السلام ، فقد نجحت المقدمة وهي إدخالهم على الوالي ولكن النتيجة باءت بالفشل ، ولم ينجحوا في إذلالهم . بل كلما ازداد الضغط عليهم من قبل بني أمية كانوا يزدادون في عيون الأمة سموا وعلوا وتألقا.

فعندما جلس عبيدالله ابن زياد (والي الكوفة) في القصر للناس ، وأذن إذناً عاماً ، جيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه . وأدخل نساء الحسين عليهم السلام وصبياناه إليه ، فجلست زينب بنت علي عليها السلام متنكرة فسأل عنها فقيل زينب بنت علي عليها السلام فأقبل إليها ، فقال : الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدثكم . فقالت : (إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا) . فقال ابن زياد : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك . فقالت : (ما رأيت إلا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن يكون الفلج ^(١) يومئذ ...) .

(١) فلج : ظفر بسما طلب ، وفلج بحجته أثبتها .

فغضب ابن زياد وكأنه همّ بها ، فقال له عمرو بن حريث : إنها امرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقتها . فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك . فقالت : (لعمرى لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي وإحتشت أصلي فإن كان هذا شفاك فقد إشتفيت) . فقال ابن زياد : هذه سحّاعة ولعمرى لقد كان أبوك شاعرا وسجّاعا . فقالت : (يا بن زياد ما للمرأة والسحّاعة) .

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليه السلام ، فقال من هذا ؟ فقيل : علي بن الحسين (السجاد) . فقال : أليس الله قد قتل علي بن الحسين ؟ فقال علي عليه السلام : (قد كان لي أخ يقال له علي بن الحسين قتله الناس) . فقال : بل الله قتله . فقال علي عليه السلام (اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ **بُتِّ فِي مَنَامِهَا** ^(١) ..) . فقال ابن زياد : ألك جرأة على جوابي . ثم أمر بضرب عنق زين العابدين عليه السلام .

فنهضت له عمته الكريمة زينب بنت علي عليه السلام ، ما سكةً بيد الإمام عليه السلام صادحة بقوة الحق : حسبك يا بن زياد من دمائنا ما سفكت ، وهل أبقيت أحداً غير هذا ؟ فإن أردت قتله فاقتلني معه) . فقال علي عليه السلام لعمته : اسكتي يا عمّة حتى أكلمه . ثم أقبل ، فقال:

(١) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(أبالقتل تهددني يا ابن زياد ؟ أما علمت أن القتل لنا عادة ، وكرامتنا من الله الشهادة ؟)^(١) .
لقد كانت إرادة العقيلة زينب عليها السلام قوية إلى درجة انه تراجع عن قراره وهو في مجلسه ، وقال لجلاوزته
بـخجل : دعوه لها ، يا للرحم وددت أنها تقتل معه .
قال الجاحظ في رسائله ان ابن زياد قال لأصحابه في علي ابن الحسين : دعوني أقتله فإنه بقية هذا
النسل . يعني نسل الحسين عليه السلام . فأحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة .
إلا ان موقف زينب عليها السلام كان قد غير الأمر ، وجعل الحاشية تشير عليه بالإمسك عنه عليها السلام ظناً
منهم ان ما ألم به من المرض سوف يقضي عليه .
ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهله ، فحملوا إلى دار جنب المسجد الأعظم بالكوفة .

(١) عوالم العوالم ج ١٧ ص ٣٨٤ . واللهورف ص ٧٠ .

مؤارة أجساد قتلى آل النبي ﷺ: (١٣ محرم سنة ٦١ هـ)

بقيت أجساد العترة الطاهرة متناثرة في عراء الطف يومين أو ثلاثة أيام . وانبرى قوم من بني أسد من الذين لم يشتركوا في الحرب لدفنها ، فحفروا قبوراً لتلك الأجساد الطاهرة ، لكنهم تحيروا في معرفتها لأن الرؤوس كانت قد فصلت عنها وأخذت إلى الشام . حتى ورد الإمام زين العابدين ؑ من الكوفة فأوقف بني أسد على شهداء أهل البيت ، وأوقفهم أيضاً على أصحاب الحسين ؑ . وبادر إلى حمل جثمان أبيه ؑ ، فواراه الثرى ، وهو يقول : (يا أبتاه ، طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر ، فان الدنيا بعدك مظلمة ، والآخرة بنورك مشرقة . أما الليل فمسهد ، والحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم ، وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته .)

وعلم قبر أبيه ؑ بعلامة ، وكتب : (هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي قتلوه عطشاناً غريباً) . ووضع قبر أخيه المشهور بـ (علي الأكبر) عند رجلي والده الحسين ؑ ، وبقيّة الشهداء من بني هاشم والأنصار في قبر واحد .

ثم انطلق إلى نهر العلقمي فحفر قبراً لعمه أبي الفضل العباس قمر بني هاشم ، وهو يقول : (علي الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم ، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله و بركاته .)

دلالات رجوع السجاد ؑ إلى كربلاء:

- ١ - لاشك ان انصراف الإمام زين العابدين ؑ من سحن عبيد الله ابن زياد في الكوفة لتولي أمر أبيه ؑ في كربلاء دون علمهم به من الكرامات الخاصة بالامام السجاد ؑ . وإذا كانت المسافة بين الكوفة وكربلاء حوالي ٨٠ كيلومتراً ، فان قطعها يحتاج الى أكثر من يوم ، بالطريق الطبيعي . إلا ان الروايات المتواترة عن أهل البيت ؑ تثبت بان اختصار تلك المسافة كان من الكرامات الخاصة بالسجاد ؑ . وليس هذا غريباً ، فان الله تعالى قد خصهم بكرامات عديدة ، لخصائص مباركة فيهم .
- ٢ - الظاهر ان أمر رجوع الإمام زين العابدين ؑ الى كربلاء لدفن أبيه ؑ كان أمراً شائعاً متعارفاً . ويؤيده تلك المناظرة بين الإمام الرضا ؑ وابن ابي حمزة في بدايات القرن الثالث الهجري ، وموضوع المناظرة كان وجوب تغسيل الإمام المعصوم من قبل الإمام آخر.

قال الإمام الرضا عليه السلام له ، وهما في أوج حمى المناظرة : (اخبرني عن الحسين بن علي كان إماما .)
قال : بلى . قال عليه السلام : (فمن ولي أمره ؟) . قال : علي بن الحسين . فقال الرضا عليه السلام : (وأين
كان ؟) . قال ابن أبي حمزة : (كان محبوبا بالكوفة عند ابن زياد ولكنه خرج وهم لا يعلمون به حتى
ولي أمر أبيه ثم انصرف الى السجن) . فقال الرضا عليه السلام : (ان من مكّن علي بن الحسين أن يأتي
كربلاء فيلي أمر أبيه ثم ينصرف ، يمكّن صاحب هذا الأمر ان يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ^(١) وليس هو في
حبس ولا أسار) ^(٢) . ودلالة الرواية ان أمر الذهاب من الكوفة الى كربلاء لدفن أبيه عليه السلام كان من
الكرامات المعروفة المشهورة الخاصة بالسجاد عليه السلام .

في الشام (محرم / صفر سنة ٦١ هـ)

وكتب ابن زياد الى يزيد يخبره بقتل الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته ^(٣) . ولما وصل كتاب ابن زياد الى
الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه إليه . فأمر ابن زياد بنساء الحسين عليه السلام

(١) يقصد تغسيل الامام الكاظم عليه السلام .

(٢) إثبات الوصية للمسعودي ص ١٧٣ . طبعة النحف .

(٣) الكامل في التاريخ للجزري ج ٤ ص ٨٣ .

وصبياناه فجهّزوا ، وأمر بعلي بن الحسين عليه السلام فغل بقيده الى عنقه.

وانطلق ركب سبايا آل البيت عليهم السلام على الأفتاب إلى الشام تاركا الكوفة ومحنها . ومتوجها إلى أرض لم يطأها من قبل ، وإلى أناس لم يعرف ملامحهم ولا أخلاقهم . ولم يكلم علي بن الحسين عليه السلام أحدا من جنود ابن زياد في الطريق ولا بحرف ، حتى بلغوا الشام ^(١) . ودمشق مدينة مطردة الأنهار ، كثيرة الأشجار . وكان دخول سبايا آل البيت عليهم السلام مناسبة لأهل الشام للاحتفال ، فعلق أهلها الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون ، ودفعوا نساءهم للعب بالدفوف والطبول ، كما روى ذلك سهل بن سعد الساعدي.

وفي الشام تعرض الإمام السجاد عليه السلام لعدة مواقف نذكر منها ثلاثة لاهميتها . أولها : تذكير الناس وإرشادهم . ثانيا : مواجهته يزيد . ثالثا : خطبته البليغة في مجلس الطاغية . وفيما يلي نعرض لكل موقف من تلك المواقف:

الأول : تذكير الناس وإرشادهم

استثمر آل البيت عليهم السلام كل مناسبة كانت تسنح لهم للتعبير عن ارتباطهم بالرسالة والرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وكان تعاملهم مع الناس تعامل المعلم مع تلميذه ، والوالد مع ولده . وكانوا عليهم السلام ينشرون المعارف والعلوم ، ويغفرون الخطأ والزلل ، ويهدون الناس إلى طريق الحق.

(١) الارشاد ج ٢ ص ١١٩ .

وفي ذلك رواية لها أهمية خاصة ، لأنها تكشف طريقة تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع الناس في الشام . فقد فتح المسلمون بلاد الشام ، وحكمها خالد بن الوليد ومعاوية بن ابي سفيان . ولم ير أهل الشام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو اصحابه ، فاعتبروا سلوك معاوية واصحابه سنة للمسلمين ، وليس مستغرباً ان نقرأ الرواية التالية:

عندما دنا شيخ طاعن في السن من جمهور المختلفين واقترب من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الوضع ، بادرهم بالقول : الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم ، وأمكن أمير المؤمنين (يزيد) منكم.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام : (يا شيخ هل قرأت القرآن ؟) . قال : نعم .
قال عليه السلام : فهل عرفت هذه الآية ... : (قَبْلَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْتَةَ فِي الْقُبْرِ)^(١) ، قال الشيخ : نعم قد قرأت ذلك . فقال علي بن الحسين عليه السلام له : فنحن القربى .

(١) سورة الشورى : آية ٢٣ .

يا شيخ فهل قرأت في سورة بني إسرائيل: (قَرَأَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) ^(١) ... ، فقال الشيخ: قد قرأت .
فقال علي بن الحسين عليه السلام: فنحن القرى.

يا شيخ فهل قرأت هذه الآية: (وَعَلَّمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) ^(٢) ؟... قال الشيخ: نعم . فقال له علي بن الحسين عليه السلام: (فنحن القرى .

يا شيخ فهل قرأت هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ^(٣) ؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك . فقال علي بن الحسين عليه السلام: (فنحن أهل البيت الذي خصصنا
الله بآية الطهارة يا شيخ.

فبقي ذلك الانسان ساكناً نادماً على ما تلکم به ، وقال : بالله إنکم هم . فقال علي بن الحسين عليه السلام : (تالله إنا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

فبكى الشيخ ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إنا نبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جن وإنس . ثم قال : هل لي من

(١) سورة الاسراء : آية ٢٦ .

(٢) سورة الانفال : آية ٤١ .

(٣) سورة الاحزاب : آية ٣٣ .

توبة . فقال عليه السلام (: نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا) . فقال : أنا تائب . فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ ، فأمر به ، فقتل ^(١) .

وفي تلك الرواية دلالات ، منها:

١ . ان أهل الشام كانوا يعتقدون بما كان يقوله لهم إعلام بني أمية ولا يستنكرونه ، بل كانوا يأخذونه أخذ المسلمات .

٢ - ان القابلية على التغيير عند الأمة كانت موجودة . فما أن احتج عليه الإمام عليه السلام بالقرآن وبمصاديقه وأفحمه في ذلك ، حتى قبل ذلك الشيخ بالحجة واقتنع بها . وهذا المنحى في التغيير أتخذه الإنبياء عليهم السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام طريقا لهداية الناس .

٣ . ان طريق أهل البيت عليهم السلام كانت له مبادئ ، أهمها : الرحمة بالرعية ، والصفح عن اخطائهم ، وقبول توبتهم . ولذلك كان الإمام السجاد عليه السلام يطمع لندم ذلك الإنسان ويرجو الإعتراف بخطائه . ولم يشترط عليه شيء لقبول تلك التوبة ، ودرأ ذلك التقصير .

٤ . تفصح الرواية عن جهود السلطة الأموية في كم أفواه الناس ، فما أن علموا برواية الشيخ وحديثه مع السجاد عليه السلام ، حتى أمروا بقتله . لأن إطلاع الناس على حقائق الدين والتاريخ ، نذيرٌ بزوال حكمهم .

الثاني : مواجهة الظالم

ولا شك ان مواجهة الحاكم الظالم بعد معركة خاسرة عسكريا أمر صعب بل مرعب . خصوصا إذا كانت السبايا من النساء والصبيان والمرضى . إلا ان موقفا زينب عليها السلام وزين العابدين عليهما السلام أمام يزيد الطاغية قد قلبا كل المقاييس .

(١) اللهوف ص ٧٦ .

فقد توقع بنو أمية إذلال السبايا واهانتهم والتشفي منهم ، في وقت غابت عنهم فصاحة أهل البيت عليهم السلام وحتتهم البالغة القوية . وعلى أية حال ، فقد خابت آمال بنو أمية عندما انطلقت زينب عليها السلام في خطبتها الفصيحة البليغة تعدد مثالبهم وتكشف انحرافهم عن الاسلام وعن تعاليم القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة . بينما أرجع الإمام زين العابدين عليه السلام مصيبة كربلاء إلى ظلم بني أمية وإرادتهم ، ذلك الظلم المكتوب في الكتاب قبل ان يبرأ الله عزوجل الخلق.

وبتعبير آخر ، أراد الإمام السجاد عليه السلام تذكير الناس بان المصائب ومنها مصيبة كربلاء مكتوبة في اللوح المحفوظ ، ذلك الكتاب الذي فيه ما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة . فالله عز وجل يعلم ما في اللوح من آجال ، قبل ان يخلق الخلق . وهذا المعنى مستخلص من قوله تعالى في سورة الحديد : (**إِصْحَابِ مِنْ صُفْيَةِ لِأَرْضٍ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلُ نَأْتِيَهُمْ آيَاتُ اللَّهِ يَنْسِيهِ**) .^(١) (فواقعة الطف لم تكن مفاجئة لهم عليهم السلام . بل ان الأحاديث المتواترة تشير إلى انهم كانوا يتنبأون بها قبل وقوعها ، في مناسبات معروفة عديدة.

مع يزيد

ولما أدخل ثقل^(٢) الحسين عليه السلام ونساؤه برفقة السجاد عليه السلام على الطاغية يزيد وقد أوثقوهم بالحبال ، ابتدأ الإمام عليه السلام خطابه ليزيد : (ما ظنك بجذنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يرانا على مثل هذه الحالة ؟) .
فأمر يزيد بحل الوثاق وقال : قبح الله ابن مرجانة (عبيدالله بن زياد .) لو كان بينكم وبينه قرابة لما فعل بكم هذا.

ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام ، فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال : (ويحك يا يزيد أنتنكت بقضيبك ثغر الحسين ابن فاطمة عليها السلام أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرشف ثنايا وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول : أنتما سيدا شباب أهل الجنة ، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا) .

(١) سورة الحديد : الآية ٢٢ .

(٢) ثقل الرجل : عياله .

فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحباً من المجلس ، وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبيرى:
ليت أشياخي بيذر شهدوا جنع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واسـتهلوا فرحـا ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه بيذر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خير جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

خطبة زينب بنت علي عليها السلام

فقامت زينب بت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ناهزت الخمسين من العمر ، والإمام زين العابدين عليه السلام جالس مع السبايا ، فقالت:

(الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه كذلك يقول) : (**ثُمَّ**
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السَّوْءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)^(١) ، أظننت يا يزيد حيث
أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسرى إن بنا هوانا على الله وبك
عليه كرامة ، وإن ذلك

(١) سورة الروم : الآية ١٠ .

لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جدلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوثقة ، والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا . فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى :
(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّيهِمْ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّيهِمْ لِيُبَوِّدُوا إِنَّمَا وَهْمٌ عِدَابٍ مُّهِينٍ) .^(١)
أمن العدل يا ابن الطلقاء تحديرك حرائرك وإمائك ، وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدوا بمن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والديني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي . وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف ويستبسطاً في بغضاء أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان ، والإحن والأضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لاهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
منتحياً على ثنيايا أبي عبدالله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة تنكتهها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة وإستأصلت الشأفة باراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد
المطلب وتهتف بأشياحك ، زعمت إنك تناديهم . فلتردن

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

وشيكاً موردهم ولتودن إنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت . اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا . فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك ذريته ، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته ، وحيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ، (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ**) .^(١) (وحسبك بالله حاكما ومحمد ﷺ خصيما وبجرائيل ظهيراً ، وسيعلم من سؤل لك وممكنك من رقاب المسلمين ، بعس للظالمين بدلا وأيكم شر مكانا وأضعف جندا.

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك . لكن العيون عبرى ، والصدور حرى . ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء . فهذه الأيدي تنطف من دماءنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتبأها العواسل وتعفرها أمهات الفراعيل ولئن اتخذتنا مغنماً ، لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد . فيألى الله المشتكى وعليه المعول.

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٩ .

فكد كيدك ، وأسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحيننا ، ولا تدرك أمدنا ، ولا ترحض عنك عارها . وهل رأيك إلا فند ، وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين . فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، وآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تصاغر يزيد:

فقال يزيد بن معاوية:

يا صيحة محمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح
ثم قال يزيد : آية يا علي بن الحسين . أبوك الذي قطع رحمي ، وجهل حقي ، ونازعني في سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت.

فقال السجاد عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم (: مَا صَبَّكَ نَنْ صُيْبَةَ الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِنَا
إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِكَ نَبَّهْنَا بِذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَبُوا عَلَى مَا لَكُمْ لَا تَحْمِلُوا بَأْسًا
آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُجِبُ كُلَّ مِحْتَالٍ فَخُورٌ) . (١)

(١) سورة الحديد : آية ٢٢ - ٢٣ .

قال يزيد : بل قل : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) . (١) ... فرد الإمام علياً : (هذا في حق من ظلم ، لا في حق من ظلم .)

ثم قال علياً : (يا ابن معاوية وهند وصخر لم تنزل النبوة والإمرة إلا لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد . ولقد كان جدي علي بن أبي طالب في بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله ﷺ ، وأبوك وجدك في أيديهما راية الكفار . ويلك يا يزيد لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت بأبي وأهل بيته هربت في الجبال ، وافترشت الرماد ، ودعوت بالويل والثبور ، فابشر بالخزي والندامة إذا اجتمع الناس ليوم الحساب) .

وفي رواية المسعودي ان يزيد سأل زين العابدين علياً : كيف رأيت يا علي بن الحسين ؟ قال علياً : (رأيت ما قضاه الله عز وجل قبل ان يخلق السموات والأرض) .

فشاور يزيد جلساءه في أمره ، فاشاروا بقتله . فابتدر زين العابدين علياً الكلام ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : (يا يزيد لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه ، حيث شاورهم في موسى وهارون ، فانهم قالوا له : ارجه وأخاه . وقد أشار هؤلاء عليك بقتلنا .. ان أولئك كانوا الراشدة ، وهؤلاء لغير رشدك

—
(١) سورة الشورى : آية ٣٠ .

[ماضون] . ولا يقتل الأنبياء وأولادهم إلا أولاد الأعداء) . فأمسك يزيد مطرقاً (١)

الثالث : خطبة الإمام عليّ في مجلس يزيد

ثم أوعز يزيد إلى خطيبٍ من خطباء السوء اعتلاء المنبر ، والنيل من عليّ والحسين عليّ . فقام وبالغ في الذم وأطنب في مدح معاوية ويزيد . فانبرى السجاد عليّ مخاطباً : (ويلك أيها المتكلم اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار ...) .

وكان من أدب الإمام عليّ الجَمّ أن يسأل يزيد ، وهو صاحب المجلس على كل حال ، كي يسمح له بالكلام . والكلام في المجالس يحتاج إلى إذن . فقال عليّ : (أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا ، ولهُؤلاء الجالسين أجر وثواب) . فرفض يزيد في البداية ولكن الحاضرين . وهم من خلّص حاشية يزيد . أصروا عليه وهم يتوقعون انه عليّ لا يحسن الخطابة أو هكذا تظاهروا . فوافق يزيد . فقام الإمام عليّ ، فقال :

(الحمد لله الذي لا بداية له والدائم الذي لا نفاذ له ، والأول الذي لا أولية له ، والآخر الذي لا آخرية له ، والباقي بعد فناء الخلق ،

(١) إثبات الوصية لعلي بن الحسين المسعودي ص ١٤٠ طبعة النجف .

قدّر الليالي والأيام ، وقسّم فيما بينها ، فتبارك الله الملك العلام) . ثم استطرد في ذلك كثيرا إلى أن قال:
أيها الناس أعطينا ستّاً ، وفضلنا بسبع . أعطينا : العلم ، والحلم ، والسماحة ، والفصاحة ،
والشجاعة ، والمحبة في قلوب المؤمنين . وفضلنا : بأن منّا النبي المختار محمدا ﷺ ، ومنّا الصديق ،
ومنّا الطيار ، ومنّا أسد الله وأسد رسوله ﷺ ، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول ، ومنّا سبطا
هذه الأمة وسيدا شباب الجنة .

فمن عرفني فقد عرفني . ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي . أنا ابن مكة ومنى . أنا ابن زمزم والصفاء
أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء . أنا ابن خير من ائتزر وارتدى . أنا ابن خير من انتعل واحتفى
أنا ابن خير من طاف وسعى . أنا ابن خير من حج ولي . أنا ابن من حمل على البراق في الهواء . أنا
ابن من أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، فسبحان من أسرى .

أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى . أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . أنا
ابن من صلّى بملائكة السماء . أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى . أنا ابن محمد المصطفى . أنا
ابن علي المرتضى . أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا : لا إله إلا الله .

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ، وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وباع
البيعتين ، وصلّى القبلتين ، وقاتل ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين .

أنا ابن صالح المؤمنين ووراث النبيين ، وقامع الملحدين ، ويعسوب المسلمين ، وزين العابدين ، وتاج
الباكّائين ، وأصبر الصابرين ، وأفضل القائميين من آل ياسين ، رسول رب العالمين . أنا ابن المؤيد بجبرئيل
، المنصور بميكائيل .

أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، والمجاهد أعداءه الناصبين ،
وأفخر من مشى من قريش أجمعين ، وأوّل من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين ، وأقدم
السابقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد المشركين ، وسهم من مرّمي الله على المنافقين ، ولسان حكمة
العابدين .

وناصر دين الله ، ووليّ أمر الله ، ولسان حكمة الله ، وعيبة علمه ، سمح سخّي ، بهلول زكيّ ، أبطحيّ رضيّ مرضيّ ، مقدم همام ، صابر صوّام ، مهذب قوّام ، شجاع قمقام ، قاطع الأصلاب ، ومفرق الأحزاب . أربطهم عناناً ، وأثبتهم جناحاً ، وأجرأهم لساناً ، وأمضاهم عزيمَةً ، وأشدّهم شكيمَةً . أسد باسل ، وغيث هاطل ، يطحنهم في الحروب ، اذا ازدلفت الأسنّة وقربت الأعنة ، طحن الرحي . ويذروهم ذرو الريح الهشيم .

ليث الحجاز ، وصاحب الإعجاز ، وكبش العراق ، الإمام بالنص والستحقاق . مكّي مدنيّ ، أبطحيّ تهامي ، خيفيّ عقي ، بدريّ أحدي ، شجريّ مهاجري . من العرب سيّدها ، ومن الوغى ليثها . وارث المشعرين ، وأبو السبطين الحسن والحسين ، مظهر العجائب ، ومفرق الكتائب ، والشهاب الثاقب ، والنور العاقب ، أسد الله الغالب ، مطلوب كلّ طالب ، غالب كلّ غالب ، ذاك جدي علي بن أبي طالب عليه السلام .

أنا ابن فاطمة الزهراء . أنا ابن سيّدة النساء . أنا ابن الطهر البتول . أنا ابن بضعة الرسول صلى الله عليه وآله . أنا ابن المزمل بالدماء . أنا ابن ذبيح كربلاء . أنا ابن من بكى عليه الجنّ في الظلماء ، وناحت عليه الطير في الهواء .

ولم يزل عليه السلام يقول : أنا ، أنا ... حتى ضج الناس بالبكاء ، وخشي يزيد من وقوع الفتنة ، فأمر المؤذن حتى يقطع على الإمام عليه السلام كلامه .

فصاح المؤذن : (الله أكبر) . فالتفت إليه الإمام عليه السلام فقال له : (كبيرٌ كبيراً لا يقاس ، ولا يدرك بالحواسّ ، لا شيء أكبر من الله) . فلما قال المؤذن : (أشهد أن لا إله إلا الله) . قال علي بن الحسين : (شهد بما شعري وبشري ، ولحمي ودمي ، ومخّي وعظمي) . ولما قال المؤذن : (أشهد أن محمداً رسول الله) . التفت الإمام عليه السلام الى يزيد فقال له : (يا يزيد ، محمد هذا جدي أم جدك ؟ فإن زعمت أنه جديّ فقد كذبت . وإن قلت : إنه جديّ فم قتلت عترته) . ولم يجر يزيد جواباً لأن جد السجاد عليه السلام هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجدّ يزيد هو ابو سفيان عدو الإسلام الذي ما قال الشهادتين إلا حقنا لدمه .

دلالات خطبة السجاد ؑ:

- ١ - كان الإمام السجاد ؑ في غاية الأدب وسمو الخلق عندما طلب الإذن بالتحدث . وهو سجين مظلوم ، وكان يستطيع ان يصرخ بوجه الطغاة دون إذن . إلا انها أخلاق الإمامة ، ومشاعر أبناء الأنبياء ؑ.
- ٢ - وصف الإمام ؑ الكرسي الذي يجلس عليه الخطيب بالأعواد لا المنبر ، لأن المنبر مكان شريف يجلس عليه الأولياء المتقون . والأعواد يجلس عليها الصالح والطالح . وقد صعد على تلك الأعواد أنفا خطيب من خطباء السوء.
- ٣ - أجملت الخطبة كل إنجازات أهل البيت ؑ تحت إمرة رسول الله ﷺ وقيادته ، وأجملت تضحياتهم في سبيل الدين ، وعلو منزلتهم ، وعظيم دورهم في بناء الإسلام في نفوس الناس . وظهور البيان وفصاحته اغنانا عن التفصيل.
- ٤ - أظهرت الرواية بلاغة السجاد ؑ وجرأته وهو لا يزال في مقتبل العشرينات من عمره الزاخر بالعطاء الفكري والروحي والتشريعي.

الإصباح في الشام:

وفي بيان ما جرى عليه عليه السلام وعلى بقية العترة من مصاعب في الشام ، وقد قيل له كيف أصبحت ، فقال عليه السلام : (كيف حال من أصبح وقد قتل أبوه ، وقلّ ناصره ، وينظر الى حرم من حوله أسارى ، قد فقدوا الستر والغطاء ، وقد أعدموا الكافل والحمى . فما تراني إلا أسيراً ذليلاً قد عدمت الناصر والكفيل ، قد كسيت أنا وأهل بيتي ثياب الأسي ، وقد حرمت علينا جديد العرى . فإن تسأل فيها أنا كما ترى ، قد شمتت فينا الأعداء ، ووترقب الموت صباحاً ومساءً) . ثم قال عليه السلام : (قد أصبحت العرب تفتخر على العجم لأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم ، وأصبحت قريش تفتخر على سائر الناس لأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم ، ونحن أهل بيته أصبحنا مقتولين مظلومين ، قد حلت بنا الرزايا ، نساق سبايا ، ونجلب هدايا ، كأن حسبنا من أسقط الحسب ، ونسبنا من أرذل النسب . كأن لم نكن على هام المجد رقينا ، وعلى بساط جليل سعينا ، وأصبح الملك ليزيد لعنه الله وجنوده ، وأصبحت بنو المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من أدنى عبيده)^(١)

تنصل يزيد من مسؤولية قتل الحسين عليه السلام

وعندما واجه السجادة عليه السلام يزيد بتلك البلاغة والشجاعة ، أدرك يزيد انه خسر معركة القلوب بعد ان تغلب ظاهراً في معركة الأجساد . فحاول تدارك ذلك عبر أمرين:

الأول : إلقاء مسؤولية قتل الحسين عليه السلام على عبيدالله بن زياد والي الكوفة والتنصل منها شخصياً . فقال موجه خطابه للسجادة عليه السلام : (لعن الله ابن مرجانة . أما والله لو أني صاحبه ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيته إياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض ولدي . ولكن قضى الله ما رأيت . يا بني كاتبني بكل حاجة تكون لك وانه سيكون في قومك أمور فلا تدخل معهم في شيء)^(٢) . فسكت زين العابدين عليه السلام ولم يجبه بشيء .

الثاني : تطيب خاطر السجادة عليه السلام مكرًا وخداعاً عبر الإلحاح عليه إن كان له حاجة . فقال الإمام عليه السلام في نهاية المطاف : (أريد منك أن تريني وجه أبي . وأن تعيد على النساء ما أخذ منهن ، ففيها موارث الآباء والأمهات . وإذا كنت تريد قتلي ، فأرسل مع العيال من يؤدي بهن الى المدينة) .

(١) ناسخ التواريخ . من أحواله عليه السلام ج ٢ ص ٤٤ .

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٧ . ٨٨ .

وتلك المطالب الثلاثة ، تدخل ضمن منهج الإدانة الذي استخدمه الإمام زين العابدين عليه السلام في تعرية حكم بني امية:

- ١ - فالطلب برؤية أبيه الحسين عليه السلام هي إدانة واضحة لقاتليه . فكيف يسمح الضمير الإسلامي لهؤلاء الفجار بقتل ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم لا زالوا يقرون بالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ؟ فهنا توجيه ضمني من السجاد عليه السلام بانحراف النظام الأموي الظالم عن مبادئ الإسلام.
- ٢ - والطلب بإعادة ما أخذ من نساء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم نهباً وسلباً ، هو إدانة ثانية لطريقتهم الوحشية بالتعامل مع ذرية الأنبياء عليهم السلام وموارثهم . خصوصا وان ما سلب من النساء كان من خصوصيات فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كمغزلها ومقنعتها وقلادتها وقميصها.
- ٣ - والطلب بإرسال مع من يؤدي بالنساء الى المدينة ، على افتراض قتل السجاد عليه السلام صبراً ، فيه إدانة ثالثة للنظام السلياسي الأموي ، فكيف يقبل الضمير الإسلامي قتل مريض أَلَمَت به علته ؟ ولو كان الأمر لهم لقتلوه عليه السلام . ولكنهم كانوا دائما يخشون لوم العرب على فعلتهم.

وإذا كان زين العابدين عليه السلام يطالب بحق مهضوم ، فان يزيد أجابه بنفش درجة الظلم التي وضعها منهاجا لحكمه ، فقال : (أما وجه أبيك فلن تراه . وأما ما أخذ منكم فيرد إليكم . وأما النسوة فلا يردهن غيرك ، وقد عفوت عن قتلك) .^(١) وهو بذلك قرر ثلاث حقائق:

١ . إمضاء قتل الحسين عليه السلام كسياسة معلنة للدولة الأموية . وبذلك فلا ندم ولا اعتذار في ذلك من قبل يزيد.

٢ . الإقرار بعدم صحة سلب سبايا آل البيت عليهم السلام . وهو إقرار رسمي أموي بعدم صحة السبي لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . لكنه كان قرارا شكليا لم يترتب عليه أثر رجعي بمعاقبة المجرمين الذين ارتكبوه.

٣ - العفو عن قتل السجاد عليه السلام . وهو لم ينم عن تبدل في أخلاقية الخليفة الطاغية ، بل ان الظروف الإجتماعية التي خلقها مقتل الحسين عليه السلام وخطبة السجاد وزينب عليهما السلام هما اللذان أثريا يزيد عن قتله عليه السلام .

وروي ان رأس الحسين عليه السلام أعيد لاحقا فدفن بكريلاء مع جسده الشريف عليه السلام ، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى.

(١) اللهوف ص ٨٥.

إلى المدينة (صفر / ربيع أول سنة ٦١ هـ)

وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير بمصاحبة ركب آل البيت عليهم السلام ، وأمر بإخراجهم ليلا خوفا من الفتنة ، واضطراب الوضع . وكان اختيار النعمان بن بشير لمصاحبة الركب له دلالات:

١ . انه سبق وإن كان واليا على الكوفة من قبل بني أمية قبل عبید الله بن زياد . فهو يعرف خلفيات الوضع السياسي والاجتماعي لواقعة الطف .

٢ . انه كان واليا مسالما أثر عدم محاربة الحسين عليه السلام ، وأتهم على أثرها بالضعف . ولذلك استبدل من قبل يزيد بن معاوية ، وبعيد الله بن زياد .

وعندما سار الركب ، طلب السجاد عليه السلام من المكلف على حراسته ان يعرج إلى كربلاء ليحددوا العهد مع الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه من الشهداء . وكان ذلك في العشرين من صفر سنة ٦١ هـ ، أي بعد مضي أربعين يوما من أحداث العاشر من محرم من نفس السنة .

وكان جابر بن عبد الله الأنصاري ، وهو من أواخر من بقي على قيد الحياة من صحابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قد شد الرحال لزيارة الحسين عليه السلام . فورد كربلاء في وقت مقارب لوصول السبايا . وترك

الوصف لكتاب (الدهوف في قتلى الطفوف) ، فيقول عن ركب بني هاشم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أنهم لما وصلوا الى كربلاء وجدوا جابر بن عبد الله وجماعة من بني هاشم ورجالا من آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أقبلوا لزيارة قبور الحسين عَلَيْهِ السَّلَام والشهداء من أهله وأصحابه فتلاقوا بالبكاء وأقاموا المأتم ، وأجتمع إليهم من كان في حوار كربلاء من القبائل النازلة على الفرات (١) . وكان مما قاله السجاد عَلَيْهِ السَّلَام لجابر : (يا جابر ، ها هنا والله قتلت رجالنا ، وذبحت أطفالنا ، وسبيت نساؤنا ، وحرقت خيامنا.)

وبعد أيام مضى الركب يسير حثيثا الى المدينة . ولما وصل الى أطرافها ، أمر زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَام بشير بن خزيمة بدخول المدينة ونعي الحسين عَلَيْهِ السَّلَام . فدخل بشير مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ينادي:
يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدار
الجسم منه بكربلاء مضجج والرأس منه على القنائة يدار

في مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وكانت تلك مقدمة مناسبة لدخوله عَلَيْهِ السَّلَام إلى المدينة الباقية على فدح المصاب . فقام خطيبا بالناس:

(١) الدهوف ص ٨٦.

(الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، بارئ الخلائق أجمعين ، الذي بعد فارتفع في السماوات العلى ، وقرب فشهد النجوى ، نحمده على عظام الأمور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، ومضاضة اللواذع ، وجليل اللرز ، وعظيم المصائب الفاطعة ، الكاظة ، الفادحة ، الجائحة .
أيها القوم ، إن الله تعالى وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة ، قتل أبو عبدالله الحسين عليه السلام وعترته ، وسبيت نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان ، وهذه الرزية ما مثلها رزية.

أيها الناس ، فأبي رجالات منكم يسرون بعد قتله ، أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله ، أم أية عين منكم تحبس دمعها ، أو تظن عن ائتمالها ، فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها ، والسماوات بأركانها ، والأرض بأرجائها ، والأشجار بأغصانها ، والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السماوات أجمعون!؟

أيها الناس ، أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحزن إليه ، أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم!؟

أيها الناس ، أصبحنا مشردين ، مطرودين ، مذودين ، شاسعين عن الأمصار ، كأننا أولاد ترك وكابل من غير جرم أجرمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها . ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلا اختلاق . والله لو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا . فإننا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأفجعها ، وأكظمها وأفظعها ، وأمّرها وأفدحها ، فعنده نحتسب ما أصابنا ، فانه عزيز ذو انتقام ...).

المدينة بعد مقتل الحسين عليه السلام :

وصف ابن طاووس (- ٦٦٤ هـ) وضع المدينة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، فقال : ان زين العابدين عليه السلام رحل إلى المدينة بأهله وعياله ونظر إلى منازل قومه ورجاله فوجد تلك المنازل تنوح بلسان أحوالها ، وتبوح باعلال الدموع وإرسالها ، لفقد حمائها ، وتندب عليهم ندب الثواكل ، وتسأل عنهم أهل المناهل ، وتهيج أحزانه على مصارع قتلاه ، وتنادي لأجلهم واثكلاه ، وتقول يا قوم أعذروني على النياحة والويل ، وساعدوني على المصاب الجليل ، فإن القوم الذين أندب لفراقهم وأحن إلى كرم أخلاقهم كانوا سمار ليلي ونهاري ، وأنوار ظلمي وأسحاري ، وأطناب شرقي وإفتخاري ، وأسباب قوتي وإنتصاري ، والخلف من شموسي وأقماري.

كم ليلة شردوا باكرامهم وحشتي ، وشيدوا بأنعامهم حرمتي ، وأسمعوني مناجات أسحارهم ، وأمتعوني بإبداع أسرارهم ، وكم يوم عمرو آمالي بمحافلهم ، وعروا طبعي بفضائلهم ، وأورقوا عودي بماء عهودهم ، وأذهبوا نحوسي بماء سعودهم.

وكم غرسوالي من المناقب ، وحرسوا محلي من النوائب ، وكم أصبحت بها أشرف على المنازل والقصور ، وأميس في ثوب الجذل والسرور . وكم اعتاشوا في شعابي من أموات الدهور . وكم إنتاشوا على أعتابي من رفات المخدور.

فأقصدني فيهم منهم الحمام ، وحسدني عليهم حكم الأيام ، فأصبحوا غرباء بين الأعداء وغرضاء لسهام الإعتداء . وأصبحت المكارم تقطع بقطع أناملهم ، والمناقب تشكو لفقد شمائلهم ، والمحاسن تزول بزوال أعضائهم ، والأحكام تنوح لوحشة أرجائهم.

فيا لله من ورع أريق دمه في تلك الحورب ، وكمال نكس علمه بتلك الخطوب . ولئن عدمت مساعدة أهل العقول ، وخذلني عند المصائب جهل العقول ، فإن لي مسعدا من السنن الدارسة والأعلام الطامسة ، فإنها تندب كندبي ، وتجد مثل وجددي وكربي.

فلو سمعتم كيف ينوح عليهم لسان حال الصوات ، ويحن إليهم إنسان الخلوات ، وتشتاقهم طوية المكارم ، وترتاح إليهم أندية الأكارم ، وتبكيهم محاريب المساجد ، وتناديهم مآرب الفوائد ، لشحاكم سماع تلك الواعية النازلة ، وعرفتكم تقصيركم في هذه المصيبة الشاملة . بل لو رأيتم وحدتي وانكساري ، وخلو مجالسي وآثاري ، لرأيتم ما يوجع قلب الصبور ، ويهيج أحزان الصدور . لقد شمت بي من كان يحسدني من الديار ، وظفرت بي أكف الأخطار . فيا شوقاه إلى منزل سكنوه ، ومنهل أقاموا عنده واستوطنوه . ليتني كنت إنساناً أفديهم حز السيوف ، وأدفع عنهم حر الحتوف ، وأشفي غيظي من السنن ، وأرد عنهم سهام العدوان...

ولقد أحسن ابن قتيبة (رض) وقد بكى على المنازل المشار إليها فقال^(١):

مررت على أبيات آل محمد فلم أر أمثالها يوم حلت
لا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم بزعمي تخلت
ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت رقاب المسلمين فذلت
وكانوا غياثا ثم أضحووا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
الأم تر أن الشمس أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد إقشعرت

(١) اللهوف ص ١١٨ - ١٢١.

مواريث الإمامة

واستلم الإمام زين العابدين عليه السلام بعد دخوله المدينة ، مواريث الإمامة . تقول المصادر التاريخية : ان الحسين عليه السلام لما سار إلى العراق استودع مواريث النبوة والإمامة التي تسلمها من أخيه الحسن عليه السلام ، عند أم سلمة (أم المؤمنين) . وأمرها ان تدفعها الى ولده زين العابدين عليه السلام . فلما رجع السجاد عليه السلام إلى المدينة بعد واقعة كربلاء ، تسلم الوديعة من أم سلمة (رضوان الله عليها) ^(١) وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام ان عليا بن الحسين عليه السلام لما انتهى إليه الأمر ، فتح الخاتم الرابع من الوصية المنزلة على جده صلى الله عليه وآله وسلم ، فقرأ فيها : (يا علي اطرق واصمت) ^(٢) فقام عليه السلام بما أمر من السكوت والاعتزال ، واختلى عن الاختلاط بالناس حتى ضرب له بيتا من الشعر خارج المدينة ^(٣) ، تفرغاً فيه للعبادة والابتهاال لله عز وجل ، وحفظاً لدماء شيعته . لكنه استثمر عليه السلام الدعاء في تلك الفترة الحرجة من أجل تعريف الناس بحالهم سبحانه ، وإرشادهم إلى طرق الإتصال به ودينهم.

(١) أصول الكافي باب النص على السجاد ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ٢٤ . وأمالى الشيخ الطوسي ص ٢٨٢ .

(٣) فرحة الغري لابن طاووس ص ٣٣ . طبعة النجف .

وكان علياً دائماً الاتصال بعمته زينب الكبرى ، فكانت علياً تتلقى منه الأحكام الإلهية وتفيضها على الشيعة سترأ على زين العابدين من عادية اعدائه (١)

ويروى ان الإمام الحسين علياً كان مديناً لجماعة بمبلغ سبعين ألف دينار ، فأهتم السجاد علياً بذلك حتى قيل أنه أمتنع عن الطعام و الشراب حتى جمع المبلغ ودفعه إلى دائنيه ، وفاءً منه علياً لتفريغ ذمة أبيه علياً (٢)

روايات أخرى:

وذكرت روايات أخرى بمعان وألفاظ مختلفة ، منها:

أ . سئل الإمام الصادق علياً عن خاتم الحسين بن علي علياً إلى من صار ؟ وذكر له أنه أخذ من إصبغه فيما أخذ . قال علياً : (ليس كما قالوا . إن الحسين علياً أوصى إلى ابنه علي بن الحسين علياً ، وجعل خاتمه في أصبغه ، وفوض إليه أمره ، كما فعله رسول الله ﷺ بأمر المؤمنين علياً ، وفعله أمير المؤمنين بالحسن علياً ، وفعله الحسن بالحسين علياً ، ثم صار ذلك الخاتم إلى أبي علياً بعد أبيه ، ومنه صار إليّ ، فهو عندي وإني لألبسه كل جمعة وأصلي فيه) .

(١) إكمال الدين للصدوق ص ٢٧٥ . والغيبة للطوسي ص ١٤٨ .

(٢) سر السلسلة العلوية ص ٣٢ .

قال محمد بن مسلم : فدخلت عليه يوم الجمعة وهو يصلي ، فلما فرغ من الصلاة مدّ إلي يده ، فرأيت في إصبعه خاتماً نقشه : لا إله إلا الله عبداً للقاء الله . فقال : هذا خاتم جدي أبي عبد الله الحسين بن علي ؑ^(١)

ب . قال الإمام الباقر ؑ : إن الحسين ؑ لما حضره الذي حضره ، دعا ابنته الكبرى فاطمة ، فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة ووصية باطنة ، وكان علي بن الحسين ؑ مريضاً . فلما تم شفاؤه دفعت فاطمة الكتاب إلى أخيها علي بن الحسين ؑ ، ثم صار الكتاب إلينا . فقلت : فما في ذلك الكتاب ؟ فقال (: فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تغنى الدنيا)^(٢) . وإذا صحت هذه الرواية سنداً ، فإن الحفاظ على ذلك الكتاب في تلك الظروف الحرجة من أسر وترحل ، كان من أعظم كرامات أهل البيت ؑ .

وفي المدينة لم يكن حال الناس بأفضل من حال أهل الكوفة أو أهل الشام . ومن أهل المدينة من يقف كإبراهيم بن طلحة بن عميد الله ، فيخاطب السجاد ؑ على صيغة الاستفهام ، متشمتاً : من الغالب ؟ فيجيبه زين العابدين ؑ : (إذا دخل وقت الصلاة فليزَّ

(١) أمالي الصدوق ص ١٤٤ .

(٢) بصائر الدرجات ج ٣ باب ١٣ .

وأقم ، تعرف الغالب (١) . وظاهر مراد السجاد ؑ ان آل محمد ﷺ باقون منصورون ما بقي الدهر وبقيت الصلاة وبقي الإسلام . وما كان خروج الإمام الحسين ؑ إلا لنصرة الدين وإحيائه ، في حين أمات بنو أمية شعائر الإسلام وعلى رأسها إقامة الصلاة واستبدالها بعبادات جاهلية كالفجور والفسوق والغناء وشرب الخمر.

السجاد الحزين ؑ

لا ينكر أحد من المؤرخين حزن السجاد ؑ على مقتل أبيه الحسين ؑ وأهل بيته وأصحابه الذين ذبحوا عطشى على رمضاء كربلاء ، فكانت تخنقه العبرة عندما يتذكر مصرع أبيه ؑ وأهل بيته . وهذا هو الذي دفع بعض العلماء المتقدمين إلى القول : روي عن مولانا زين العابدين ؑ ، وهو ذو الحلم الذي لا يبلغه الوصف ، انه كان كثير البكاء لتلك البلوى وعظيم البث والشكوى (٢)

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٦٦ .

(٢) اللهوف لابن طاووس .

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره وقائماً ليله فإذا حضر الإفطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول : كل يا مولاي . فيقول : قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم جائعاً ، قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطشاناً ، فلا يزال يكرر ذلك ويكي حتى يتبل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل ^(١) أقول : وربما كان ذكر أربعين سنة في لفظ الرواية من قبيل المبالغة اللفظية من قبل الراوي ، لأنه عليه السلام عاش بعد مقتل أبيه الحسين عليه السلام أربع وثلاثين سنة فقط.

ويروى أيضاً : أنه برز يوماً الى الصحراء فاتبعه أحد غلمانه فوجده قد سجد على حجارة خشنة باكياً شاهقاً وهو يقول لألف مرة : (لا إله إلا الله حقاً حقاً . لا إله إلا الله تعبدوا ورقا . لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقاً) .

ثم رفع رأسه من سجوده بينما غمرت الدموع لحيثه ووجهه . فقيل له : يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل ؟ فقال عليه السلام : (ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، كان نبياً ابن نبي له أنني عشر أبنا فعيب الله واحدا منهم فشاب رأسه من

(١) اللهوف ص ١٢١ . ١٢٢ .

الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا . وأنا رأيت وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين ، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي (١)

إلا ان بكاءه لم يكن ليمنعه من مواصلة عمله الشرعي التكليفي في إمامة الأمة وإرشادها إلى طريق الخير والصلاح . واصبح البكاء . من دون قصد . من وسائل التوعية الدينية.

واشتهر عليه بوصف (السجاد) لكثرة سجوده لله حينما يرى تواتر نعمه وآلائه عليه . فكان عليه لا يذكر نعمة لله إلا سجد ، ولا يقرأ آية فيها سجدة إلا سجد ، ولا يدفع الله عنه سوءاً إلا سجد ، ولا يفرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ، ولا يوفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد (٢)

وكأنك ترى أثر السجود في مواضع سجوده عليه . ولم يشتهر عن انسان غيره أن سجوده لله عزوجل قد أثر على جسده ، كما اشتهر عنه عليه . وكان يلقب أيضا بذي الثفنات وهي آثار ناتئة تبرز في مواضع السجود ، وكان مشهوراً بوجودها على جبهته . ولا شك ان السجود يقرب العبد من مولاه ، والمخلوق من خالقه ،

(١) الخصال للصدوق ص ٢٧٢ ح ١٥ .

(٢) في رواية للامام الباقر عليه يصف أبيه السجاد عليه : معاني الأخبار للصدوق ص ٢٤ .

وقد قال تعالى : (... واسجد واقترب)^(١) . وهكذا زين العابدين عليه السلام قريبا من مولاه العظيم سبحانه وتعالى.

والمشهور في روايات الطرفين ان السجاد عليه السلام كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة . واذا افترضنا ان الركعة الواحدة تستغرق دقيقة واحدة ، فان اداء ألف ركعة يستغرق ألف دقيقة ، وهو ما يساوي سبعة عشر ساعة تقريبا في اليوم الواحد . وهذا الوقت يستوعب كل كل يوم المرء وليله . خصوصا إذا ما علمنا بان على المكلف تأدية واجباته العبادية الأخرى والقيام بما تمليه عليه وظيفته من حقوق الزوجية والأبوة والجيرة والقرابة وعبادة المرضى ، ودعوة عينيه للاسترخاء لمقدار من النوم.

وعبادته عليه السلام كانت لا تنفك عن تلاوة القرآن ، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن الكريم^(٢) ، وكان يرشد الأمة بتفسير القرآن^(٣) . وكان عليه السلام يردد : (عليك بالقرآن ، فإن الله خلق الجنة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وجعل ملاحظها المسك وتراها الزعفران وحصاها اللؤلؤ ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن ،

(١) سورة العلق : الآية ١٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٧ .

(٣) الاحتجاج ص ٣١٢ . ٣١٩ .

وكان والي المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان قد أرسل وفدا من وجهائها إلى يزيد الخليفة الأموي ، فيهم : عبدالله بن حنظلة ، وعبدالله بن أبي عمرو ، والمنذر بن الزبير وغيرهم . وكان الهدف من ذلك هو تثبيت ميولهم نحو الخلافة الأموية عبر النيل من هدايا السلطان ، إلا أنهم رجعوا . على الرغم من كل ما أغدق عليهم من جوائز وهدايا . وهم ناقمون على يزيد لما شاهدوا من استهتاره وفسقه ومجونه . وقالوا : قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويضرب بالطنابير ، وتعزف عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسمر عنده الحراب ^(١)

قال عبدالله بن حنظلة : (والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء . إنه رجل ينكح الأمهات والبنات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة . والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت فيه بلاء حسنا) ^(٢) . (ويقول المنذر بن الزبير : (ان يزيد قد أجازني بمائة ألف ، ولا يمنعني ما صنع بي ، أن أخبركم خبره ، والله إنه ليشرب الخمر ، والله أنه ليسكر حتى يدع الصلاة) ^(٣))
والغريب في ذلك ان قتل الحسين عليه السلام بتلك الفظاعة والوحشية لم يكن ليحرك عواطفهم ، ولكن رحلة واحدة إلى الشام أطلعتهم على فجور يزيد وفسقه ! فخلعوا بيعته بعد رجوعهم . وولّوا عليهم عبدالله بن حنظلة ، وعبدالله بن مطيع ، وطرّدوا عامل يزيد على المدينة .

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٨٠ . والحراب : اللصوص .

(٢) طبقات ابن سعد .

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٨ .

فبعث يزيد جيشاً قوياً في العدة والعدد بقيادة مسلم بن عقبة المري ، فالتقى الفريقان في (الحرة) واقتتلا في حرب طاحنة . وقتل عبدالهل بن حنظلة مع أولاده ، وانتصر جيش الشام على جيش المدينة ، بعد ان قتل من أبناء الأنصار والمهاجرين والوجود ما لا يحصى .

ويمكننا إدراك صورة الواقعة من خلال الأمور التالية:

١ - لم يشارك الإمام السجاد عليه السلام في معركة الحرة ، ولم يمل إلى طرف عبدالله بن حنظلة أو عبدالله بن مطيع . ومع ان عددا من رجال بني هاشم قد قتل في هذه الحرب ، إلا ان الموقف العلني للإمام زين العابدين عليه السلام كان عدم المشاركة بالسيف في هذه المرحلة . فقد كان له وسائل أخرى أمضى من السيف في مواجهة حكم بني أمية الظالم.

٢ - عندما طرد أهل المدينة والي يزيد ، هرب مروان وبنو أمية الى الشام ، وتركوا عيالهم في المدينة . فالتمس مروان بن الحكم رفيقه عبد الله بن عمر لرعاية عياله . إلا ان عبدالله بن عمر أبي عليه ولم يوافق . فكلم الإمام علي بن الحسين عليه السلام فوافق على ذلك ، وبقيت عيال مروان بن الحكم في رعاية السجاد عليه السلام حتى انتهاء المعركة . وهذا في غاية الخلق الديني ، لأن مروان كان عدوا صريحا لأهل البيت عليه السلام . وهو الذي هدد الحسين عليه السلام عندما دعي لمبايعة يزيد بن معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ .

٣ - أرسل يزيد تعليمات بل أوامر واضحة إلى (مسلم بن عقبة) للقضاء على ثورة المدينة : (أدع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم ، فإذا ظهرت عليهم فأبجها [أي المدينة] ثلاثاً [أي ثلاثة أيام] . فما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجد)^(١) . وأمره أن يجهز على جريحهم ويقتل مدبرهم^(٢)

دافع الناس عن مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستشهد أغلب المدافعين عنها بمن فيهم عبدالله بن حنظلة وعدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأباح مسلم بن عقبة ، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة ، المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد وقتل خلقا من أشرافها وقرااتها ، وانتهب أموالاً كثيرة منها ... وجاءته امرأة فقالت : أنا مولاتك وابني في الأسارى ، فقال : عجلوه لها ، فضرب عنقه ، وقال : أعطوها رأسه ، ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج .

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٨٤ .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٢٦٣ طبعة مصر .

قال المدائني ، عن هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد واقعة الحِمْيَر من غير زوج . وروي عن الزهري أنه قال : كان القتلى يوم الحِمْيَر سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الموالي ممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف ^(١)

ثم نصب لمسلم بن عقبة كرسِيّ ، وجيء بالاسارى من أهل المدينة فكان يطلب من كل واحد منهم أن يبايع ويقول : إنني عبد مملوك ليزيد بن معاوية يتحكّم في وفي دمي وفي مالي وفي أهلي ما يشاء ^(٢) ومن كان يمتنع ولم يبايع بالعبودية ليزيد وكان يصّر على القول بأنّه عبد لله سبحانه وتعالى ، كان مصيره القتل ^(٣)

وجيء له بيزيد بن عبد الله . وجدّته أم سلمة زوج رسول الله ﷺ . مع محمد بن حذيفة العدوي ، فطلب إليهما أن يبايعها ،

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٢٠ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٩٣ و ٤٩٥ .

(٣) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١١٨ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٧٠ .

فقالا : نحن نبايع على كتاب الله وسنة نبيه ، فقال مسلم : لا والله لا أقيلكم هذا أبداً ، فقدمهما فضرب أعناقهما (١)

٤ . عندما بلغه عليّ توجه جيش يزيد إلى المدينة ، لاذ السجاد عليّ بقبر النبي ﷺ . وهو يدعو هذا الدعاء : (رب كم من نعمة أنعمت بها عليّ ، قلّ لك عندها شكري . وكم بلية ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري . فيا من قل عند نعمه شكري فلم يجرمني ، وقلّ عند بلائه صبري فلم يخذلني . يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ويا ذا النعماء التي لا تحصى ابداً صلي على محمد وآله ، وادفع عني شره ، فاني ادراً بك في نحره ، واستعيد بك من شره) (٢)

فجاؤا به عليّ الى مسلم بن عقبة وكان سباباً بذيماً يعشق سفك الدماء . لكنه لما رآه ، أخذته هيبة السجاد عليّ وأرتعد وقام له وأقعده إلى جانبه ، ثم قال له : سلني حوائجك ، فلم يسأله في أحدٍ ممن قدم إلى السيف إلا شفعه فيه ، ثم انصرف عنه.

وكان السجاد عليّ يحرك شفّتيه ، في محضر مسلم بن عقبة ، بهذا الدعاء : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، والأرضين السبع وما أقلن (٣) ، ربّ العرش العظيم ، رب محمد وآله الطاهرين ،

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٩٢ .

(٢) الإرشاد للمفيد .

(٣) وما أقلن : أي وما حملن .

أعوذ بك من شرّه ، وادراً بك في نحره ، أسألك ان تؤتيني خيره ، وتكفيني شره. (١)

وعندما خرج السجاد عليه السلام منه ، انبرت حاشية مسلم بن عقبة تسأله : رأيناك تسب زين العابدين وسلفه ، فلما أتى به إليك رفعت منزلته . فقال : ما كان لرأي مني ، لقد ملئ قلبي منه رعباً (٢)

٥ . وكان مسلم بن عقبة قد تجاوز التسعين من عمره وقت إباحته المدينة ، فكان قريباً من حتفه ، وقد هلك بعيد واقعة الحرة وقبل أن يصل إلى مكة المكرمة لمهاجمتها والقضاء على ثورتها بقيادة عبدالله بن الزبير . وعندما لقي مسلم بن عقبة حتفه في الطريق ، تسلّم الحصين بن نمير قيادة الجيش الأموي ، ففرض حصاراً على مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها (٣)

وفي الوقت الذي كانت فيه مكة تحت الحصار ، مات يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة ٦٤ هـ ، وهو في سن الثامنة والثلاثين من عمره بعد ان قضى ثلاث سنوات وبضعة أشهر في الحكم.

(١) الصحيفة السجادية الخامسة ص ٨٠ دعاء ٢٧ في إستدفاع شر الأعداء.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٩٦ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٩٨ .

وكانت صحيفة أعماله مسوَّدة بقتل الحسين عليه السلام ، وإباحة المدينة ، وحرق الكعبة المشرفة.

حركة التوابين : سنة ٦٥ هـ

وندم أهل الكوفة على عدم نصره الحسين عليه السلام وهم الذين دعوه إليهم في بداية الأمر ، وقد أظهرىوا ندمهم بعد واقعة الطف سنة ٦١ هـ مباشرة . وأرادوا التكفير عن ذنبهم عبر الخروج المسلح على بني أمية . فبدأوا فترة إعداد تسليحي أستمر أربع سنوات ، وانتخبوا سليمان بن صرد الخزاعي زعيماً لحركتهم . فاجتمع للحركة عدد من المقاتلين قدَّ بأربعة آلاف رجل مع سلاح وعدة حرب.

وقرروا زيارة قبر الحسين عليه السلام وهم يتلون قوله تعالى) : **(فَتُوبُوا إِلَىٰ بَرِّئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَٰ بَرِّئِكُمْ)** .^(١) ... وكان تأويلهم للآية أن توبتهم لا تقبل إلا بقتال عدوهم والموت من أجل إظهار الحق ، وأطلق على هؤلاء بالتوابين.

وعسكر هؤلاء المقاتلون ، الذين كان شعارهم المطالبة بدم الحسين عليه السلام ، بالنخيلة قرب كربلاء . ثم ساروا حتى انتهوا إلى قرقيسيا من شاطئ الفرات ، ومنها إلى عين الوردة . بينما توجه الجيش الأموي بقيادة عبيدالله بن زياد في ثلاثين ألفاً . والتقى الطرفان في ربيع الأول من سنة ٦٥ هـ في معركة دامية غير متكافئة في عين الوردة . وظل القتال مستمراً أياماً ، حتى قتل معظم التوابين ، ولحق من بقي منهم بأمصارهم.

(١) سورة البقرة : الآية ٥٤ .

يقول أعشى همدان في رثائهم^(١)

فجائعم جمع من الشام بعده جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيدت جموعهم ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصير صرعى أصبحوا تعاورهم ريح الصبا والجنائب

وحول هذا التحرك ، لا يجد المؤرخ مفرأً من تسجيل الدلالات التالية:

١ . ان هذه الحركة كانت نتيجة طبيعية لمظلومية أهل بيت النبوة ﷺ . بل انها كشفت حقيقة مهمة وهي ان جذوة حب أهل بيت النبي ﷺ لا زالت تعمل أوارها في نفوس الناس . ومع ان عدد التوايين كان محدودا (٤ آلاف مقاتل) نسبة إلى جيش بني أمية (٣٠ ألف مقاتل) ، إلا ان الحركة والمعركة حركتا مشاعر الناس نحو حق آل البيت ﷺ المهدور.

(١) مروج الذهب ج 3 ص ١٠٠ - ١٠٤ .

٢ - كان موقف الإمام زين العابدين عليه السلام منسجم مع سياسته العامة بعدم الاشتراك المباشر حفظاً على الدين ، ولكن وجوده عليه السلام كان حاسماً في استلهاام معاني الثورة ضد الظلم.

٣ - تَمَرَّ عبد الله بن الزبير في مكة على بني أمية في حدود سنة ٦٤ هـ . وبادر بعد موت يزيد بن معاوية إلى بسط سلطانه فاستقطب البصرة والكوفة ومصر.

وعند موت يزيد ، تولى ابنه معاوية الثاني الحكم لأيام معدودة ، ثم نزع نفسه من الخلافة . وقام خطيباً فقال:

ايها الناس ! ما أنا بالراغب في التأمير عليكم ، ولا بالآمن لكراحتكم ، بل بلينا بكم وبليتم بنا . إلا أن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى بالأمر منه في قدمه وسابقته علي بن أبي طالب ، فركب جدي منه ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون ، حتى صار رهين عمله ، وضجيع حفرته ، تجاوز الله عنه.

ثم صار الأمر إلى أبي ، ولقد كان خليقاً أن لا يركب سننه ، إذ كان غير خليق بالخلافة فركب رده (١) ، واستحسن خطأه ، فقلّت مدته ، وانقطعت آثاره ، وخمدت ناره ، ولقد أنسانا الحزن به الحزن عليه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . ثم أخفت يترحم على أبيه.

(١) أي لم يرتدع.

ثم قال : وصرت انا الثالث من القوم ، الزاهد فيما لديّ أكثر من الراغب ، وما كنت لأتحمل آثامكم . شأنكم وأمركم ، خذوا من شئتم ولايته فولوه ! فقام إليه مروان بن الحكم فقال : يا أبا ليلى ! سنّة عمرية ؟ فقال له : يا مروان ! تخدعني عن ديني ، اثني برجال كرجال عمر أجعلها بينم شوري . ثم قال : والله ! إن كانت الخلافة مغنماً فقد أصبنا منها حظاً ، ولئن كانت شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها . ثم نزل . فقالت له أمه : ليتك كنت حيضة ، فقال : وأنا وددت ذلك ، ولم أعلم أن الله ناراً يعذب بها من عصاه وأخذ غير حقه (١)

حركة المختار : سنة ٦٦ هـ

خرج المختار بن أبي عبيدة الثقفي سنة ست وستين من الهجرة في الكوفة ، داعياً الناس للطلب بشارت الحسين عليه السلام . فقام بثلاثة أمور:

الأول : كاتب المختار الإمام السجاد عليه السلام ومحمد بن الحنفية (عم السجاد) بشأن التحرك ضد بني أمية . ولم يصرح السجاد عليه السلام تأييده للمختار بشكل علني ، كما هي سياسته العامة التي ذكرناها آنفاً.

(١) تنبيه الخواطر ص ٥١٨ .

أما محمد بن الحنفية فقد صرح للوفد الكوفي المرسل من قبل المختار قائلاً : (أما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا . فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه) (١) .
ففهم الوفد تأييد ابن الحنفية لحركة المختار.

وفي رواية البحار ان محمد بن الحنفية عندما دخل عليه وفد الكوفة ، قال لهم : قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين . فلما دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله ، قال عليه السلام محمد بن الحنفية : (يا عم ، لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته ، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ماشئت .) (فخرجوا وهم يقولون : قد أذن لنا زين العابدين ومحمد بن الحنفية) (٢)
الثاني : طرد المختار والي عبد الله بن الزبير على الكوفة . وكان عبد الله بن الزبير قد صعّد حملته ضد الشام بعد موت يزيد بن معاوية ، ودعا أهل الحجاز لمبايعته كخليفة فاستجابوا لذلك ، فعين والياً له على الكوفة.

الثالث : قتل المختار اغلب قتلة الحسين عليه السلام عبر تتبعهم في الكوفة وما حولها . وكان نداؤه : من اغلق بابه فهو آمن ، الا من اشترك في قتال آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقتل عمر بن سعد ، ذلك الرجس الخائن الذي ظن أنه بقتله الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار التنعم بملك الري . وقتل حرملة بن كاهل الذي ذبح عبد الله الرضيع في حجر أبيه الحسين عليه السلام . فدعا عليه علي بن الحسين عليه السلام : (اللهم أذقه حر الحديد ، اللهم أذقه حر النار) . فأمر المختار بتقطيعه أرباً أرباً وإلقاء أوصاله في النار . فكان ذلك العقاب الالهي المحتوم استجابة لدعاء السجادة عليها السلام

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٢ - ١٤ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٦٥ .

وأرسل المختار جيشا بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر لمقاتلة جيش بني أمية وقائده عبيد الله بن زياد . فالتقيا في الثامن من ذي الحجة سنة ست وستين بالقرب من الموصل في معركة دامية . وقتل عبيد الله بن زياد في العاشر من محرم سنة سبع وستين على يد إبراهيم بن مالك الأشتر . وقطعوا رأسه وأرسلوه الى المختار . فأرسله المختار إلى علي بن الحسين عليه السلام في المدينة . ولم يمتد نزول العقاب الإلهي على قتلة الحسين عليه السلام أكثر من ست سنوات . بل كان في واقع الأمر ست سنوات كاملة . فقد قطعوا رأس الحسين عليه السلام في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ ، وقطعت رؤوسهم في العاشر من محرم سنة ٦٧ هـ . فقال السجاد عليه السلام : (الحمد لله الذي لم يمّتي حتى أنجز ما وعد ، وأدرك ثأري من عدوي) ^(١)

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٦٤ .

ولكن حكم المختار الثقفي لم يدم طويلاً . فقد قضى عبد الله بن الزبير ، الذي سيطر على الحجاز مدة تسع سنين ، على المختار الثقفي . إلا أن آل مروان جيشبوا الجيوش للقضاء على آل الزبير ، وكان لهم ذلك وعادوا للسيطرة على الحجاز مرة أخرى . وبسط عبد الملك بن مروان سلطته على الحجاز والعراق . وولى الحجاج بن يوسف الثقفي على الكوفة لينتقم من شيعة آل البيت عليهم السلام شر انتقام .

المرحلة الثالثة : (سنة ٦٧ . ٩٥ هـ)

يقول ابن أبي الحديد المدائني : (وولى عبد الملك بن مروان ، فاشتد على الشيعة حين ولى الحجاج بن يوسف فتقرب الناس اليه ببغض علي عليه السلام ، وموالاة أعدائه ، وموالاة من يدعي قوم من الناس أنهم أيضاً أعداؤه . فآكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم . وأكثروا من البغض من علي عليه السلام وعييه ، والظعن فيه ، والشنآن له)^(١)

أبصر الإمام السجاد عليه السلام مجتمع المسلمين يذوب في الطغيان والفساد ، ولا يهتمّ الأمراء والسلاطين إلا نوادي الطرب ومجالس الغناء ، والناس على دين ملوكهم . وحيث ان صعوبة الوقت وحراجه الزمان قد حجبتة عن ارتقاء المنابر وإرشاد المسلمين ، فقد اتخذ لنفسه منهجاً آخر للبيان والإرشاد ، وهو أسلوب الدعاء والمناجاة وعبادة الله عز وجل . فكانت أدعيته وثائق ثقافية دينية تعلم الناس أسلوب الرجوع إلى الله تعالى ، وتلهب الروح ، وتملئ القلب حباً لله وخشية منه عز وجل . وكتب رسالة في الحقوق ، أوضح فيها حقوق العباد على ضوء الشريعة . وكانت مناجاته الرقيقة مع خالقه ومولاه العظيم تنقي أرواح المؤمنين من أدران الدنيا ، وتهيج اشتياقهم لملاقاته .

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥ .

والى ذلك ينقل الزهري مناجات علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام محاسباً نفسه وداعياً ربه بالقول : (يا نفس حتى متى إلى الدنيا غرورك ؟ وإلى عمارتها ركونك ؟ أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ، ومن وارته الأرض من الافك ؟ وفجعت بن من إخوانك ، ونقل إلى البلاء من أقرأنك ^(١) ؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسبهم فيها بـوال دوائر
خلت دورهم منها وأقوت عراضهم وساقطهم نحو المنايا المقادر
خلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمتهم تحت التراب الحفائر

(١) أمالي الصدوق ص ٤٥٢ (طبعة النجف ١٣٨٩ هـ)

في أيام عبد الملك بن مروان (٧٣ . ٨٦ هـ)

استقرت الخلافة لعبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين للهجرة وهي سنة مقتل عبدالله بن الزبير . ومات سنة ست وثمانين . أي دام ملكه ثلاث عشرة سنة . واشتهر بشرب الخمر وسفك الدماء والغدر ، بعد أن كان يتصنع العلم والعبادة .

قال نافع : لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشدّ تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان ! ولكن ما أن أفضي الأمر إليه والمصحف في حجره ، إلاّ أطبقه وقال : (هذا آخر العهد بك) . وكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يجلس الى أم الدرداء ، فقالت له مرة : بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء ^(١) بعد النسك والعبادة ، قال : (إي والله والدماء قد شربتها [أيضاً]) (٢)

وكانت من أعظم مساوئه محاربة زين العابدين عليه السلام واقعا والتظاهر بأمر آخر أقله المودة الكاذبة لذلك الإمام الرباني عليه السلام ، وكذلك تولية الحجاج الثقفي على العراق يذل المسلمين والصحابة

(١) الطلاء : الخمر .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢١٤ . ٢٢٢ . طبعة مصر .

قتلا وضربا وشتما وحبسا . والمشهور عنه انه أوصى ولده (الوليد) بالحجاج وقال له : أكرمه فانه هو الذي وطأ لكم المناير.

عبدالمملك بن مروان والإمام زين العابدين عليه السلام

وهنا جملة من الأمور التي واجهت الإمام زين العابدين عليه السلام في عهد عبدالمملك بن مروان:
أولا : محاولات عبدالمملك الخط من شأن الإمام عليه السلام : كان عبد الملك بن مروان يرى في شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام منافسا قويا نحو الخلافة . وكان الناس ترى السجاد عليه السلام إماما معصوما من أئمة أهل البيت عليه السلام ومن ذرية المصطفى ؛ وعهد الناس بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قريب تأريخيا . وكان سلوك الإمام السجاد عليه السلام يثبت واقع كونه إماما واجب الطاعة.
إلا ان عبدالمملك حاول التقليل من شأن السجاد عليه السلام رابع أئمة أهل البيت عليه السلام والانتقاص من قدره . وكان يزعمه عليه السلام في كل فرصة تسنح له . فكان يرسل إلى عامله بالمدينة أن يحمله عليه السلام إلى الشام مثقلا بالحديد أكثر من مرة . فحمل الإمام عليه السلام إلى الشام على ظهر دابة مكبلا بالقيود ، فيراه الزهري على تلك الحال في بعض

المنازل ، فيتألم ويتضجر . ولكن الإمام علي عليه السلام يشير عليه بان ذلك ينبغي ان لا يكرهه ، بل ان ثقل الحديد يذكر العبد بعذاب الله عز وجل (١)

وما ان يصل دمشق حتى يدخلوه على عبد الملك كي يرعبوه بهيبة السلطان وجبروته . ولكن هيهات . فان عرش السلطنة لا يرعب ولي الله . بل خلافاً لتوقعهم ، فان الخليفة هو الذي ارتعب من الإمام السجاد علي السلام . ويمثله قول عبد الملك الخليفة في سياق حديث للزهري جواباً عن سؤال عن السجاد علي السلام : (... ثم خرج . أي زين العابدين . فو الله لقد أمتلئ ثوبي منه خيفة) (٢)

ونستفيد من ذلك ، أنها كانت موعظة للزهري وعبد الملك معاً:

1- ان عذاب الله تعالى أمرٌ عظيم تهون دونه جميع الأمور ، والأسر والقيود وسائل لتذكير الإنسان بعذاب الله تعالى.

2- ان حال الأسر والقيود ينبغي ان لا يكرها المؤمن ، طالما كان الأمر بيد الله ، وهو قادر سبحانه على ان يغير الأمور ويقلبها.

3- ان الخالق سبحانه و تعالى منح الكرامة والفيض الالهي لأئمة أهل البيت علي السلام ، فكانوا قادرين على إنزال الرعب بالطغاة.

ثانياً : عبد الملك والمصير إليه : وعندما خرج عبد الملك إلى الحج سنة خمس وسبعين للهجرة وأراد الكعبة ، رمى ببصره إلى زين العابدين علي السلام .

(١) حلية الاولياء لابن نعمي ج ٣ ص ١٣٥ .

(٢) المناقب ج ٣ ص ٢٧٥ .

تعلوه الهيبة العلوية ونور الإمامة وهو يرتعد من خشية الهل عز وجل . فلم يلتفت الإمام عليه السلام إلى عبد الملك وهو الخليفة والأمير والسلطان . فحز في نفسه إعراض السجاد عليه السلام عنه . فقال عبد الملك لمن حضر عنده : رده إلي . يقصد باستدعاء زين العابدين عليه السلام إلى محضره . فلما جيء به عليه السلام إليه ، قال له عبد الملك : اني لست قاتل أبيك ، فما يمنعك من المصير إليّ ؟ فقال الإمام عليه السلام : (ان قاتل أبي عليه السلام أفسد دنياه عليه بما فعله ، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته . فإن أحببت ان تكون مثله ، فكن)

قال عبد الملك : كلا . ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا .

ولكن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن بحاجة الى دنياه ^(١) ، وملكه الزائل أهون عليه من شسع نعله .

وفي رواية الزهري قال : دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان ، فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام ، فقال : يا أبا محمد ! لقد بين عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله الحسنى ، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريب النسب ، وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك ، إلا من مضى من سلفك . وأقبل يثني عليه ويطريه . فقال علي بن الحسين عليه السلام (كلما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه ، فأين شكره على ما أنعم ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقف في الصلاة حتى تورم قدماه ، ويظماً في الصيام حتى يعصب [أي يجف] فوه ، فقيل له : يا رسول الله ! ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : (أفلا أكون عبداً شكوراً ، لله على ما أولى وأبلى ، وله الحمد في الآخرة والأولى)

(١) الخرائج ص ١٩٤ .

والله لو تقطعت أعضائي ، وسالت مقلتي على صدري ، لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمة التي لا يحصيها العادون ، ولا يبلغ حد نعمة منها على جميع حمد الحامدين ، لا والله ... لا يشغلني شيء عن شكره وذكره ، في ليل ولا نهار ، ولا سر ولا علانية. ولولا أن لأهلي عليّ حقاً ، ولسائر الناس من خاصّهم وعمهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم ، لرميت بطرقي إلى السماء ، وبقلبي إلى الله ، ثم لم أرددها حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين) . وبكى عليه السلام ، وتباكى عبد الملك وقال : شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها ، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته ، ما له في الآخرة من خلاق ! ثم أقبل يسأله عن حاجاته وعمّا قصد له ، فشفعه فيمن شفع ...^(١)

ثالثاً : الإمام السجاد عليه السلام وسياسة الروم : حاولت دولة الروم في الربع الأخير من القرن الأول الهجري التعرض لدولة المسلمين . على ما فيها من فساد إداري . وإهانتها وابتزازها ، وقد نقل لنا التاريخ حادثتان لهما أهمية تاريخية ودينية:

1. تحدى ملك الروم المسلمين بعدما كتب عبد الملك بن مروان في صدور الطوامير (قل هو الله أحد مشفوعة بذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومؤرخة بتاريخ تلك الفترة . فكتب ملك الروم : إنكم أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم ، فاتركوه وإلا أتاكم من دنانيرنا ذكر ما تكرهون . فعظم ذلك على المسلمين . فاستشار عبد الملك الإمام زين العابدين عليه السلام ، فأشار عليه السلام عليه بأن يحتم على المسلمين التعامل بدنانير أهل الروم ، ويضرب للمسلمين سككاً فيها ذكر الله وذكر رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فضربت الدنانير الإسلامية سنة خمس وسبعين.

2. ملك الروم توعّد عبد الملك بن مروان بالمسير لخرابه بجنود لا قبل له بها ، وقال في كتابه : أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة لاغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف^(٢) . فكتب عبد الملك إلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٥٧ عن فتح الأبواب.

(٢) المناقب لابن شهر اشوب ج ٢ ص ٢٥٩.

الحجاج ان يوقف علي بن الحسين عليه السلام على الكتاب ويسأله الجواب ويتهدده إن أبي . فأمثل الحجاج أمر سيده عبد الملك . فقال السجاد عليه السلام للحجاج : (ان الله تعالى لوحا محفوظا يلحظه في كل يوم ثلثمائة لحظة ، ليس فيها لحظة الا يحيي فيها ويميت ، ويعزّ ويذلّ ، ويفعل ما يشاء . واني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة) . فكتب الحجاج بهذه الموعظة إلى عبد الملك ، فكتبها إلى ملك الروم . فلما قرأ الكتاب قال : (ما خرج هذا الكلام إلا من معدن النبوة .) وكف عن المسير لحرب المسلمين ^(١) . ودلالة الموقفين نجملهما كالتالي:

أ . ان السجاد عليه السلام اثبت بمهذين الموقفين أنه الأمين على الدين ، وحافظ الشريعة ، والناصح لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فمع كل فساد عبد الملك وانحرافه ، إلا ان الإمام عليه السلام كان مكلفا بتقديم النصيحة من أجل حفظ دولة المسلمين.

ب . الظاهر ان كلمات الإمام السجاد عليه السلام في الموقف الثاني كان لها واقع علمي في الكتب الدينية لأهل الروم . ولذلك اضطرب الملك القاهر ، فتنفككت نيته عن غزو بلاد الاسلام.

رابعاً : وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حاول عبد الملك بن مروان الإنتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق تملك سلاحه صلى الله عليه وآله وسلم . فقرر شراء سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه.

(١) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ٤٧ .

فكتب إليه عليه السلام يطلب منه ذلك ويهدده إن لم يفعل . فكتب زين العابدين عليه السلام إليه : (أما بعد ، ان الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون ، والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقال جلّ ذكره : (... **لِإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**) .^(١)) فانظر أيّأ أولى بهذه الآية)^(٢)

ولكن عبد الملك لم يقتنع بذلك ، فكتب الى عامله في الكوفة الحجاج بن يوسف يأمره ان يشتريهما له . فأرسل الحجاج على علي بن الحسين عليه السلام واغتصب منه عليه السلام (درعا وسيفا ينسبان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

ولما حج عبد الملك تلك السنة ، واجتمع بزین العابدين عليه السلام ، سأله عليه السلام رد السيف والدرع المغصوبين منه ، وعزّفه بأنّ الحجاج أخذهما بالقهر منه . فزاده عبد الملك في الثمن دراهماً ، فأبى عليه السلام من البيع . فأقسم عليه عبد الملك أن يمضي البيع . فقال عليه السلام : على شريطة أن تكتب كتابا تشهد فيه قبائل قريش بأني وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان الدرع والسيف له دون كل هاشمي وهاشمية ، فأجابه عبد الملك الى ذلك ، وكان نصل الكتاب:

(١) سورة الحج : الآية ٣٨ .

(٢) المناقب ج ٣ ص ٣٠٢ .

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اشتراه عبد الملك بن مروان من علي بن الحسين وارث رسول الله ﷺ . اشترى درع رسول الله ﷺ وسيفه اللذان ورثهما منه بمائة ألف درهم . وقد قبض علي بن الحسين الثمن وقبض عبد الملك الدرع والسيف . ولا حق ولا سبيل لأحد من بني هاشم ، ولا لأحد من العالمين .) وأحضر قبائل قريش قبيلة قبيلة ، وأشهدهم على ما جرى بينه وبين علي بن الحسين علياً . وأخذ زين العابدين علياً الكتاب والمال .

فكانت قريش يقول بعضهم لبعض ان عبد الملك أجهل الخلق ، يقرّ لعلي بن الحسين علياً انه وارث رسول الله ﷺ دون الناس جميعاً ، ويتسمى بأمرّة المؤمنين ويصعد على منبر رسول الله ﷺ ، وهو أحق به منه ، أن هذا هو الخسران المبين^(١) . وبذلك سجّل الإمام علياً على عبد الملك بن مروان دليلاً على اغتصابه الخلافة الشرعية من أهلها .

خامساً : عبد الملك وآثار الجاهلية : ولم يهدأ لعبد الملك بال ، بل كان يتحين الفرص للإيقاع بزین العابدين علياً في الموارد التي كان يعتقد أنها منقصة للدين والشرف ، ومنها : تزويج الإمام علياً مرييته من مولى له ، وزواجه علياً من مولاة له كان قد أعتقها .

(١) مدينة المعاجز ص ٣١٨ عن هداية الحضيبي .

أ . فقد كان لزين العابدين عليه السلام مربية كريمة شريفة كان يطلق عليها لقب (أمي .) ووالدته توفيت في نفاسها كما ذكرنا ذلك سابقاً ، إلا أنه عليه السلام أزل مربيته منزلة أمه . وقد زوجها بأحد عتقائه . فكتب إليه عبد الملك يعيّره بذلك : (بلغني أنك زوجت أمك [وهي المربية المقصودة] من مولاك . وقد وضعت شرفك وحسبك)

فكتب إليه زين العابدين عليه السلام : (ان الله رفع بالإسلام كل خسيسة ، وأتم به الناقصة ، وأذهب به اللؤم . فلا لؤم على مسلم . إنما اللؤم الجاهلية . واما تزويجي أمي ، فانما أردت بذلك برّها) . فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال : لقد صنع علي بن الحسين عليه السلام أمرين ما كان يصنعهما أحد ، وزاد بذلك شرفاً ^(١) . ويفهم من تلك الرواية:

- ١ . أن الأمرين الشريفين اللذان أشار إليهما عبد الملك هما : الأول : عتقه عليه السلام أحد الرقيق . والثاني : تكريم المعتوق بتزويجه المربية التي ربت الإمام عليه السلام وسماها أمّه .
- ٢ . انه ساهم عليه السلام في تزوج مربيته ، من أجل البر بها . وهذا خلق عظيم .

(١) التهذيب للطوسي ج ٢ ص ٢٢٦ .

٣ - انه استلهم علياً من الدين الحنيف شرف المساواة بين البشر . فساوى بين السادة والعبيد ، وعتق علياً العبيد وزوجهم من ماله الخاص.

ب . وبلغ عبد الملك بن مروان ان عليا بن الحسين علياً تزوج مولاة له ، فكتب اليه : (انك علمت ان في اكفائك من قريش من تتمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد ، فلا لنفسك تطرت ولا على ولدك أبقيت.)

فكتب اليه السجاد علياً : (اما بعد فقد بلغني كتابك تعنفي فيه بتزويجي مولاتي ، وتزعم انه كان في قريش من أتمجد به في الصهر واستنجبه في الولد . وانه ليس فوق رسول الله ﷺ مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم . وكانت هذه الجارية ملك يميني ، خرجت مني إرادةً لله عز وجل بأمرٍ ألتمس فيه ثوابه . ثم ارتجعتها على سنة رسول الله ﷺ . ومن كان زكياً في دين الله تعالى ، فليس يخل به شيء من أمره ، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة وتمم به النقيصة ، وازهدب اللؤم فلا لؤم على امرئ مسلم . وانما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام)

فلما وقف عبد الملك على الكتاب رمى به الى ولده سليمان . وبعد ان قرأه ، قال : يا أمير لشد ما فخر عليك علي بن الحسين علياً . فقال : (يا بني لا تقل ذلك ، فانه ألسن بني هاشم التي

تفلق الصخر ، وتعرف من بحر ، ان علي بن الحسين يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس (١) ودلالاتها:

- ١ - ان السجاد عليه السلام أعتق أمة كانت له . ثم تزوجها . فاعتبر عبد الملك ذلك من موارد الانتقاص.
- ٢ - ولكن السجاد عليه السلام استشهد بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو حجة لا يقبل الرد والإنكار . وقد اعتق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفية بنت حي بن أخطب وتزوجها ، وأنكح عبده زيد بن حارثة بنت عمته زينب بنت جحش (٢) (وكانت أمها أميمة ابنة عبد المطلب سيد البطحاء) . ثم طلق زيد بن حارثة زوجته زينب فتزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٣ - كان مبدأ بني أمية : القومية والقبلية . وكان مبدأ السجاد عليه السلام : الإسلام . ولذلك قال عليه السلام : (وقد رفع الله بالإسلام الخسيصة وتمم به النقيصة . واذهب اللؤم . فلا لؤم على امرئ مسلم . وانما اللؤم لؤم الجاهلية) ، وتلك الكلمات القليلة كانت كافية في الرد على روايب الجاهلية التي كانت تعتمل في نفس عبد الملك بن مروان.
- سادسا : رسالة الإمام عليه السلام : وكتب الإمام السجاد عليه السلام رسالة موعظة إلى عبد الملك وفيها : (أما بعد . فانك أعز ما تكون بالله ،

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣ ص ٤٤٨ باب المؤمن كفؤ المؤمن.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٣٣.

وأحوج ما تكون إليه ، فإن عززت به فاعف له ، فإنك به تقدر ، وإليه ترجع ، والسلام)^(١)

في أيام الوليد بن عبد الملك (٨٦ . ٩٦ هـ)

ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة ست وثمانين للهجرة وتوفي سنة ست وتسعين ، أي مدة خلافته عشر سنوات . وكان الوليد جبارا ظلوما^(٢) . وكان يغلب عليه اللحن ، وقد خطب في المسجد النبوي ، فقال : يا أهل المدينة (بالضم) . مع ان القاعدة هي ان (أهل) منادى مضاف ، فلا بد أن ينصب . فعاتبه أبوه على إحنه ، وأشار عليه : أنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم . فجمع أهل النحو ليعلموه قواعد اللغة ، إلا انه خرج بعد فترة وهو أجهل من قبل^(٣) وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن شوذب قال : قال عمر بن عبد العزيز [عندما ولي الوليد الخلافة] (وكان الوليد بالشام ،

(١) البصائر والذخائر . لأبي حيان التوحيدي ص ٢١٧ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٢٣ .

(٣) تاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ١٣٨ .

والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حبارة بالحجاز ، وقرّة بن شريك بمصر) : امتلأت الأرض والله جوراً (١)
والفارق التاريخي هو انه مع جبروته وظلمه فقد تمت في عهده فتوحات واسعة . وهذا يبين ان أمر
الفتوحات لا يرتبط بعدالة الحاكم . بل أن الإسلام كدين أقوى من الحام كفرد . فقد يكون الخليفة
جائراً ظالماً ، ولكن الناس تدخل في الدين الحنيف باعتبار التوحيد والقرآن والصورة الكلية للإسلام.
وفي عهده قتل سعيد بن جبير شهيداً ، قتله الحجاج الثقفي في الكوفة.

الوليد والإمام زين العابدين عليه السلام

وهنا مجموعة من الشواهد التي مرّ بها السجاد عليه السلام أيام الوليد:
أولاً : خشية المخزومي من الإمام عليه السلام : بالغ ولاية المدينة الإساءة إلى الإمام السجاد عليه السلام وكان
منهم هشام بن اسماعيل المخزومي والي المدينة من قبل عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) ، بالرغم من
وصية سيده عبد الملك بعدم التحرش بالإمام عليه السلام وعدم أذائه . ودار دولاب الحياة ومرت الأيام وإذا
بالمخزومي يعزل من قبل الوليد بن

(١) المصدر السابق.

عبد الملك (ت ٩٦ هـ) ويجلد امام دار مروان بن الحكم . وكانت خشية المخزومي هي ان يقابله الإمام السجاد عليه السلام بالمثل وينتقم منه . ولكن السجاد عليه السلام كان أرفع من ذلك وأسمى . فقد أمر عليه السلام أصحابه وخواصه الا يتعرضوا لهشام المخزومي ، بعد ان أذله الله وسلبه سلطته . وعلم المخزومي بذلك فاستبدل سلوكه تجاه الإمام عليه السلام بسلوك آخر . فكان ، وهو يرى زين العابدين عليه السلام ، لا يتمالك نفسه إلا بالهتاف : الله اعلم حيث يجعل رسالته (١)

ودلالات ذلك:

١ - كان مبدأ عليه السلام العفو عن الظالمين الذين ظلموه . ويؤيده قوله عليه السلام : (لو ان قاتل أبي أودع عندي السيف الذي قتل به أبي لأديته إليه) (٢) . وتواتر الروايات القائلة بعفوه وسماحة نفسه تسقط الروايات المتعارضة التي تصوره وكأنه كان محباً للانتقام ، من ظالميه .

٢ - انه عليه السلام كان يقابل ظالميه ، وبعد ان هبطوا إلى أقصى حالات الضعف ، بالإحسان والرأفة . كما حصل مع هشام المخزومي ، ومروان بن الحكم وعياله ونحوهم .

ثانيا : السجاد ودعاء الكرب : ولى الوليد على المدينة صالح بن عبد الله المري ، وكتب إليه بإخراج

العلوي الحسن بن الحسن من السجن ،

(١) تاريخ الطبري ج ٨ ص ٦١ . والكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٤ ص ٢٠١ .

(٢) نور الأبصار ص ١٣٧ .

وضربه خمسمائة سوط . فأخرجه إلى المسجد ليضربه أمام الناس . ولما سمع الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك خف إليه وأشار عليه بدعاء الكرب حتى يفرج الله عنه . وهو : (لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العليّ العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب [الأرضين السبع] ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين) . فجعل الحسن يردد هذا الدعاء ، حتى صرف الله عنه . فلم ينفذ الوالي ما أمر به ، واشفق عليه ، وكتب إلى الوليد بشأنه ، فأمره بالإفراج عنه ^(١)

ثالثا : سراج الدنيا في ظلمات بني أمية : ولى الوليد على المدينة سنة ٨٧ هـ عمر بن عبد العزيز . وكان الأخير يتظاهر بالعدل والتقوى ، ولكنه كان يتجاهل الإمام زين العابدين عليه السلام . ففي بداية ولايته على المدينة أحضر عمر بن عبدالعزيز : عروة بن الزبير ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وغيرهم من فقهاء المدينة يطلب منهم العون على أمر الدين وتقويمه عند الأعوجاج كي لا يزل فيهوى في النار ^(٢) ولم يدع

(١) الإتحاف بحب الأشراف ص ٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٧١ . والكامل لأبن الأثير ج ٤ ص ٢٠١ .

السجاد ؑ إلى الإجماع . فكيف يكون ذلك ، وهو القائل : (ان علي بن الحسين سراج الدنيا وجمال الإسلام وزين العابدين)^(١)

قال في الكشكول : (لما وضع لعمر بن عبد العزيز ميل الناس عن بني أمية لافراطهم في سب باب مدينة علم الرسول ﷺ [علي بن أبي طالب ؑ] ، وأخذت الأندية تلهج بوخامة هذه الدنية أراد أن يبرر موقفه أمام الناس فاطهر الإستياء من هذه الفعلة ومنع العمال والولاة مما اعتادوه من لعن أمير المؤمنين ورد على العلويين فدكا رجاء ان يستميل القلوب ويستهوئ الأفئدة . وإلا فهو ما جبل عليه من العداء . فان الشجرة المرّ لا تنبت إلا مرّ .^(٢)

مع هشام بن عبد الملك

حج هشام ابن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ) في زمن أبيه^(٣) في سنة ٨٥ أو ٨٦ هجرية على الأرجح . وكان عمره آنذاك في حدود الرابعة عشرة من العمر . ذلك لأن ولادته كانت سنة نيف وسبعين كما في تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤٧ . وتولى الخلافة بعد حوالي عشرين سنة من تأريخ قصيدة الفرزدق ، أي سنة خمس ومائة للهجرة .

(١) تأريخ البيهقي ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول ﷺ . السيد حيدر الاملي ص ١٥٦ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ١ ص ١٥٣ بسنده المتصل الى عبد الله بن محمد عن أبيه .

وكان قد أحتشد بالبيت الحرام ذلك العام ، جمهور غفير من الحجيج للطواف والصلاة والتبرك بالحجر الأسود . حتى ان هشاما لما رأى ازدحام الناس على الحجر وتعسر عليه استلامه برفق ، وضع له منبر جلس عليه ينظر الجمع على راحته ويسلم من مدافعة الرجال.

وبينما هو على ذلك الحال ، أقبل الإمام زين العابدين عليه السلام ونور الإمامة يسطع من محياه ، وعليه إزار ورداء ، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة ، فهابه الحجيج ، وبصر به بعض من يعرفه من الحجاج فنأدى بأعلى صوته : (هذا بقية الله في أرضه ، هذا بقية النبوة ، هذا إمام المتقين ، وسيد العابدين .) فتقهقر الجمع ، حتى استلم الحجر وحده وقام باداء ما وجب عليه من دون تدافع أو مزاحمة . فتعجبت حاشية هشام من ذلك ، وأخذوا يتساءلون عنه . فتغير لون هشام . وهو الشاب المرشح للخلافة . ولم يرقه ان ينوه بمعرفته بالسجاد عليه السلام أحر ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الزمان . فانكر معرفته ظاهراً ، وهو على معرفة به باطنا.

فقيض الله له وليا يضم إيمانه بأل البيت عليهم السلام في وقت كان معروفاً بشاعر البلاط الأموي . وهذا المتفاني بحب ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة ت ١١٠ هـ) ، فقال شعراً جميلاً يعرِّب به زين العابدين وفضل أهل البيت عليهم السلام

والجدير بالذكر ان الفرزدق كان قد دخل مع أبيه على الإمام علي عليه السلام في البصرة سنة ٣٧ هـ . فسأل الإمام عليه السلام عن الفرزدق . ولم يكن له من العمر أكثر من سبع وعشرين سنة . فقليل انه يقول الشعر ، فأرشده عليه السلام الى ما هو خير له من ذلك وهو تعلم القرآن . وعمل بالنصيحة واستفادها في شعره لاحقاً.

قصيدة الفرزدق:

قال : انا اعرفه ، وانشأ الفرزدق (١)

(يا سائلي أين حل الجود والكرم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
هذا ابن خير عباد الله كلهم
إذا رأته قریش قال قائلها
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت
يكاد يمسكه عرفان راحته
يغضي حياء ويغضي من مهابته
بكفه خيزران ريجها عبق
من جدّه دان فضل الأنبياء له
عندي بيان إذا طلابه قدم)
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقى النقي الطاهر العلم
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
عن نيلها عرب الأقوام والعجم
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فما يكلم إلا حين يتسم (٢)
من كف أروع في عرينه شم (٣)
وفضل أمته داننت له الأمم

(١) المناقب ج ٣ ص ٣٠٦.

(٢) الإغضاء : إدناء الجفون . وأغضى على الشيء : سكت.

(٣) الخيزران : بضم الزاء شجر هنديّ ، وهو عروق ممتدة في الأرض . وعبق به الطيب بالكسر عبقا بالتحريك : أي لرق به .
ورجل عبق : إذا تطيب بأدنى طيب لم يذهب عنه أياما . والأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره . والعرين : بالكسر ،
الأنف . والشّم : محرّكة ، ارتفاع قصبه الأنف وحسنها واستواء أعلاها . وقوله : من كف : فيه تجريد مضاف إلى الأروع.

ينشق نور الهدى عن نور غرته
مشتمّة من رسول الله نبعته
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
الله فضّله قدما وشرفه
فليس قولك : من هذا ؟ بضائره
كلتا يديه غياث عم نفعهما
سهل الخليقة لا تخسى بوادره
جمّال أثقال أقوام إذا فدحوا
لا يخلف الوعد ميمون نقيته
ما قال لا قط إلا في تشهده
عم البرية بالإحسان فانقشعت

كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم (١)
طابت عناصره والخيم والشيم (٢)
بجده أنبياء الله قد ختموا
جرى بذلك له في لوحه القلم
العرب تعرف من أنكرت والعجم
يستوكفان ولا يعرفهما العدم (٣)
يزينه اثنان : حسن الخلق والكرم (٤)
حلو الشمائل تحلو عنده نعم (٥)
رحب الفناء أريب حين يعترم (٦)
لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عنها الغياصة والإملاق والعدم

(١) انجابت السحابة : انكشفت.

(٢) الخيم : بالكسر ، السجية والطبيعة . والشيم : بكسر الشين وفتح الباء : جمع الشيمة بالكسر ، وهي الطبيعة.

(٣) استوكف : استقطر.

(٤) البوادر : جمع البادرة وهي ما يبدو من حدّتك في الغضب من قول أو فعل.

(٥) فدحه الدين : أثقله.

(٦) النقيبة : النفس والعقل ، والمشورة ونفاذ الرأي والطبيعة . والأريب : العاقل . وقوله : يعترم على المجهول من العرام ، أي

عاقل إذا أصابته شدة.

من معشر حبّهم دين وبغضهم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم
هم الغيوث إذا ما أزيمة أزمتم
لا ينقض العسر بسطا من أكفهم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم
مقلّم بعد ذكر الله ذكرهم
يأبى لهم أن يحلّ الفمّ ساحتهم
أيّ الخلائق ليست في رقابهم
من يعرف الله يعرف أوليّه ذا
كفر ، وقربهم منجى ومعتصم
أو قيل : من خير أهل الأرض ؟ قيل : هم
ولا يبدانهم قوم وإن كرموا
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم^(١)
سيان ذلك وإن أثروا وإن عدموا^(٢)
ويسترب به الإحسان والنعّم
في كل بدء ومختوم به الكلم
خيم كريم وأيد بالندى هضم^(٣)
لأوليّة هذا أوله نعم
فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ولم يرق هشام تلك المصارحة التي سترها دون الشاميين ، وكبر عليه مدح الإمام زين العابدين
عليه السلام بمحضره . فأمر بسجن الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة ، والظاهر أنه أوصى بقطع صلته
وعطائه من البلاط . ولكن الفرزدق لم يعبأ بذلك.

(١) الأزيمة : الشدة ، وأزمت أي لزمت . والشرى : (كعلى) طريق في سلمى كثيرة الأسد . واحتدم عليه غيظا : تحرق ،
والنار التهب ، والدم اشتدت حرته حتى تسوّ . وفي بعض النسخ البأس بالباء الموحدة ، وفي بعضها بالنون . وعلى الأول المراد
أن شدّتهم وغيظهم ملتهب في الحرب . وعلى الثاني المراد أن الناس محتدمون عليهم حسدا .
(٢) أثرى : أي كثر ماله .
(٣) خيم : أي لهم خيم . والندى : المطر ، ويستعار للطاء الكثير . وهضم : ككتب) جمع هضوم ، يقال يد هضوم أي
تجود بما لديها .

ووصلته هدية مالية من الإمام عليّ عليه السلام هي أعظم هدايا ذلك الزمان . قيل انها اثني عشر الف درهم ، وقيل ألف دينار مشفوعة بالعدر بعدم وجدان الأكثر . فأرجعها الفرزدق خوفا من فوات الأجر الإلهي الذي توخاه من حبه لآل الرسول ﷺ . فأعلمه الإمام عليّ عليه السلام بقبول الله تعالى نصرته لذرية رسول الله ﷺ ، وأنهم عليّ لا يرجعون بعطايهم .

دلالات قصيدة الفرزدق:

١ . لاشك ان قصيدة الفرزدق تعد من أعظم الوثائق التاريخية التي تكشف حب الأمة الإسلامية لآل البيت عليّ في القرن الأول الهجري . وتكشف أيضا عن معرفة الأمة (على لسان الفرزدق) لفضائل ذرية رسول الله ﷺ وطهارتهم وتقواهم وعصمتهم . وديباجة القصيدة تشير الى أدب جم ونظر بعيد وبلاغة متناهية . وهذا ينطبق على أدب الفرزدق وشاعريته .

٢ . ان ذكر تلك القصيدة الرائعة في مصادر تاريخية واسعة يدل على تواترها وشيوعها بين الناس . لم لا وقد وصف الفرزدق بأعظم وصف ، وهو انه فاز بحب أهل البيت عليّ .

فقال ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) في شذرات الذهب : (مما يرجى له الزلفى وعظيم الفائدة بحميته في أهل بيت رسول الله ﷺ ومدحه زين العابدين علي بن الحسين وإعرابه عن الرغبة والرغبة)^(١) . وقال ابن خلكان في الوفيات والياضي في مرآة الجنان : (للفرزدق مكرمة يرجى له فيها الرحمة في دار الآخرة)^(٢) ثم ذكر الرواية تلازمها تلك القصيدة الرائعة . وقال ابن كثير في البداية والنهاية : (قال الفرزدق للسجاد عليّ انما قتل هذا الله عز وجل ونصرة للحق وقياماً بحق رسول الله في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشيء .)^(٣) وقال السيوطي في شرح شواهد المغني : (قال الفرزدق للسجاد عليّ حين رد الصلة : يا ابن رسول الله ما قلته الا غضبا لله عز وجل ورسوله ﷺ وما كنت لأخذ عليه شيئا)^(٤)

(١) شذرات الذهب ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) مرآة الجنان ج ١ ص ٢٣٩ .

(٣) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٩ .

(٤) شرح شواهد المغني ص ٢٥٠ طبعة مصر .

وقال الكنجي الشافعي في كفاية الطالب : (سمعت الحافظ فقيه الحرم محمد بن احمد بن علي القسطلاني يقول : سمعت شيخ الحرمين أبا عبد الله القرطبي يقول : لو لم يكن للفرزدق عند الله عمل الا هذا لدخل الجنة به ، لانها كلمة حق عند ذي سلطان جائر)^(١)

وصح إسناد هذه الرواية ، بقسميها الواقعة والقصيدة ، عن السبكي^(٢) (ت ٧٧١ هـ) ، وأبو نعيم^(٣) (ت ٤٣٠ هـ) ، والاصبهاني^(٤) (ت ٣٥٦ هـ) ، ومحمد بن مسعود العياشي (من أعيان المائة الثالثة)

٣ . ان السبب الباعث لإنشاء الفرزدق قصيدته هو تجاهل هشام (ولي العهد) بمعرفة زين العابدين عليه السلام عند استفهام أهل الشام منه ، بعدما شاهدوا جلالة الإمام عليه السلام وهيئته فتفقهقر جمع الحجيج عن الحجر ، حتى استلمه . ولن يعبأ الفرزدق بسطوة هشام ولا جبروت أبيه الخليفة الظالم ، فقال قوله الحق في الإمام زين العابدين عليه السلام

(١) كفاية الطالب ص ٣٠٦ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ١٥٣ .

(٣) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٩ .

(٤) الأغاني ج ١٩٠ ص ٤٠ .

الإمام عليّ في شخصيته

وكان الإمام السجاد عليّ كرمياً في نفسه ، جليلاً في قومه . وكان القوم يعظّمون مقامه ويشنون على إمامته وعبادته وتقواه . كان أفضل هاشمي في زمانه ^(١) ، وكان ذو فضل عظيم على أهل بيته وعصره ولقد أوتي من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤتّه أحد مثله ولا قبله إلا من مضى من سلفه ^(٢) ، وكان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه وكمال عقله ^(٣) ، وروى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصى كثرة وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلا والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء ^(٤) ، وله من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ^(٥) ولعل كتاب محمد بن طلحة القرشي الشافعي كان قد جمع صفات زين العابدين عليّ جمعاً رائعاً ، فقال:

(١) قاله حماد بن زيد من أبرز فقهاء البصرة (تهديب التهذيب ج ٣ ص ٩)

(٢) قاله عبد الملك بن مروان ، على الرغم من عداوته للإمام عليّ (بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٧٥)

(٣) قاله الذهبي في (سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٤٠)

(٤) قاله الشيخ المفيد في (الإرشاد ج ٢ ص ١٣٨ و ١٥٣)

(٥) قاله ابن تيمية في (منهاج السنّة ج ٢ ص ١٢٣)

(كان قدوة الزاهدين وسيد المتقين ، وإمام المؤمنين ، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله ﷺ ، وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفاً ، وثفناته تسجل له كثرة صلواته وتهجدّه ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها . درّت له اخلاق التقوى فتفوّقها ، وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها ، وآلفته أورد العباداة فأنس بصحبتها ، وحالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها ، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طريق الآخرة ، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مسافرة المسافرة . وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنه من ملوك الآخرة ...)^(١)

حج خمسا وعشرين حجة راجلا^(٢) . وكان المشي من المدينة إلى مكة يستغرق حوالي عشرين يوماً . وإذا كانت المسافة بين مكة والمدينة حوالي ٤٠٠ كيلومترا . وكان معدل مشي الإنسان في اليوم ٢٠ كيلومتر استغرق الذهاب ثلاثة أسابيع ، والإياب ثلاثة أخرى . وإذا افترضنا ان أداء المناسك يستغرق أسبوعين . استغرق حج الإمام عليّ^(عليه السلام) شهرين من كل سنة .

وكان فساد الوضع الاجتماعي وقلة الموالين يدعوانه إلى تكثيف العمل الإرشادي ، وتربية الناس على التعبد لله عزّ وجلّ ،

(١) مطالب السؤل ج ٢ ص ٤١ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٣ .

فكان عليّ ييذل وقتنا ثمينا في موعظة المؤمنين وتدريس المتعلمين في الوقت الذي يقوم فيه بتأدية العبادات كالصلاة والصيام والحج وجهاد النفس (الجهاد الأكبر) . فيتوهم المتوهم (وهو عباد البصري) ويسأله عن سبب تركه الجهاد الأصغر ، فيجيبه الإمام عليّ ، بان العلة تكمن في قلة الموالين الذين يعتمد عليهم في عمل عظيم كالقيام بالسيف . فإذا وجدوا (فالجهاد معهم أفضل من الحج)^(١) وكانت شخصية السجاد عليّ تجذب أطراف إجتماعية متباعدة كالزهرري عالم بني أمية ، والفرزدق شاعر البلاط الأموي ، وسعيد بن جبير التابعي الجليل ، ومحمد بن أسامة من بني هاشم ، وكان يصل الجميع بفكره ونصائحه ومحبه عليّ

فهذا الزهرري ، عندما عاقب شخصاً ومات في العقوبة ، خرج هائماً وتوحش ودخل إلى غار ، فطال مقامه تسع سنين . فنصحه الإمام زين العابدين عليّ وقال له:

(إني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك ، فابعث بديّة مسلّمة إلى أهله واخرج إلى أهلك ومعالم دينك) . فقال له : فرّجت عني يا سيدي ! الله أعلم حيث يجعل رسالته . ورجع إلى بيته ولزم علي بن الحسين عليّ ، وكان يعدّ عند البعض من أصحابه ، ولذلك قال له بعض بني مروان : يا زهرري ! ما فعل نبيك ؟

(١) المناقب ج ٣ ص ٢٩٨ . والاحتجاج ص ١٧١ .

يعني علي بن الحسين عليه السلام ^(١) . إلا ان الحق ان الزهري كان من حاشية آل مروان ، ولم يثبت أنه كان من أتباع أهل البيت عليهم السلام أصلاً.

أما الفرزدق (همام بن غالب) فقد ذكرنا قصيدته ودلالاتها العقائدية ، وانه قالها كلمة حق عند سلطان جائر.

وهذا سعيد بن جبیر يأتّم بعلي بن الحسين عليه السلام ، فكان زين العابدين عليه السلام يثني عليه ، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر . وذكر أنه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال : أنت شقي بن كسير ؟ قال : أمي كانت أعرف بي ، سمتني سعيد بن جبير .
قال : ما تقول في أبي بكر وعمر ، هما في الجنة أو في النار ؟
قال : لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها ، ولو دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها.

قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال أيهم أحب إليك ؟
قال : أرضاهم لخالقي . قال فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم .
قال : أييت أن تصدقني ؟ قال : بل لم أحب أن أكذبك ^(٢)

(١) المناقب ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) روضة الواعظين ص ٢٤٨ .

وهذا محمد بن أسامة عندما حضرة الموت ، دخلت عليه بنو هاشم ، فقال لهم : قد عرفتم قرابتي ومنزلي منكم ، وعليّ دين فأحب أن تضمنوه عني . فقال علي بن الحسين عليه السلام : (أما والله ثلث دينك علي) . ثم سكت وسكتوا . فقال علي بن الحسين عليه السلام : (علي دينك كله) . ثم قال علي بن الحسين عليه السلام : (أما إنه لم يمنعني أن أضمنه أولاً إلا كراهة أن تقولوا : سبقنا) ^(١) . وهكذا خلق الأولياء أبناء الأنبياء عليهم السلام

وكان الإمام السجاد عليه السلام يحنو على آل عقيل ويكرمهم ، لما لهم من مواقف مشرفة يوم عاشوراء ، فقد ضحى أبناء عقيل وأحفاده الشبان بين يدي الإمام الحسين عليه السلام . وكان عليه السلام يقول : (إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله عليه السلام فأرق لهم . ^(٢)) وكان من بره عليه السلام بآل عقيل انه بنى دورهم التي هدمها الأمويون ^(٣) وكانت ترد الإمام عليه السلام أموال من مصادر مختلفة ، فكان يستثمرها في ذلك .

(١) روضة الكافي ج ٨ ص ٣٣٢ .

(٢) كامل الزيارات ص ١٠٧ .

(٣) غاية الاختصار ص ١٦٠ .

الأيام الأخيرة

ذكر جملة من المؤرخين^(١) ان الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ) قد دس سما للإمام زين العابدين عليه السلام ، وقيل ان هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ) سمه^(٢) ولأن شهادته عليه السلام كانت أيام ملك الوليد الممتدة من سنة ٨٦ وحتى سنة ٩٦ للهجرة ، فانه يحتمل ان الوليد قد أوعز الى أخيه هشام بسمه في المدينة في شهر محرم الحرام سنة ٩٥ للهجرة . ولا يوجد من بين المصادر التاريخية تأريخا دقيقا يبين وقت إطعام السم . إلا انه من المؤكد انه قد حصل في شهر محرم الحرام . والسم لا يدع للمرء فرصة العيش إلا فترة زمنية قصيرة.

ولنعش تلك الأيام الأخيرة من حياة الإمام السجاد عليه السلام بين الوريقات القادمة.

(١) ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٢٠ . وابن الصباغ في الفصول المهمة . والشراوي في الإتحاف ص ٥٢ .

(٢) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري ص ٨٠ . ومناقب ابن شهر اشوب ج ٢ ص ٢٦٩ . وتاريخ القرماني ص ١١١ .

وصايا السجاد عليه السلام لأهل بيته

وكان من عادة آل البيت عليهم السلام إذا علموا بدنو الأجل وقرب الوفادة على الله تعالى أوصلوا أهلهم بحسن طاعة الله تعالى وحسن التعامل مع الناس . وكان الإمام السابق يوصي الإمام اللاحق بوصايا الإمامة والحكمة.

ومن ذلك ان مجموعة من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام دخلت عليه أيام مرضه لعيادته ، فقالوا له : كيف أصبحت يا ابن رسول الله فدتك أنفسنا . قال عليه السلام : (في عافية والله المحمود على ذلك) . ثم قال لهم : (كيف أصبحتم جميعا .) قالوا : أصبحنا لك والله يا ابن رسول الله محبين وادين . قال عليه السلام : (من أحبنا الله تعالى أدخله الله ظلاً ظليلاً يوم لا ظل إلا ظله ، ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا بالجنة ، ومن أحبنا لغرض دنيماً أتاه رزقه من حيث لا يحتسب)^(١)

ومما أوصى به ولده : (إذا أصابتكم مصيبة أو نزلت بكم فاقة فليتوضأ الرجل ويحسن وضوءه ويصلي أربع ركعات أو ركعتين ، وبعد الفراغ يقول : يا موضع كل شكوى ، يا سامع كل نجوى ، يا شافي كل بلاء ، ويا عالم كل خفية ، ويا كاشف ما يشاء . يا نجى

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢١٨ .

موسى ، ومصطفى محمد ، يا خليل إبراهيم ، أدعوك دعاء من اشتدت فاقته ، وضعفت قوته ، وقلّت
حيلته ، دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما فيه إلا أنت . يا أرحم الراحمين ، لا إله إلا
أنت سبحانك أني كنت من من الظالمين) . ثم قال ﷺ : (من أصابه البلاء ودعا بهذا الدعاء أصابه
الفرج من الله تعالى) ^(١)

وقال ﷺ : (يا بني أخذ بيدي جدي وقال : يا بني أفعل الخير إلى كل من طلبه منك ، فإن كان
أهله فقد أصبت موضعه . وإن لم يكن أهله كنت أهله . وإن شتمك رجل وتحول الى يسارك واعتذر
إليك ، فأقبل منه) ^(٢) . و (جالسوا أهل الدين والمعرفة ، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة أنس وأسلم ،
فإن أبيتم إلا مجالسة الناس فجالسوا أهل المروآت ...) ^(٣)

وقال ﷺ لبعض ولده : (ان الله تعالى رضيني لك و لم يرضك لي ، وأوصاك بي ولم يوصني بك ،
فعليك بالبر تحفة يسيرة) ^(٤) . و (... اعلم أن خير الآباء للابناء من لم تدعه المودّة إلى التفريط فيه ،
وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير الى العقوق له) ^(٥)

(١) كشف الغمة للأربلي ص ١٦٥ .

(٢) مشكاة الأنوار ص ٦٥ .

(٣) رجال الكشي ص ٤١٩ .

(٤) تحف العقول ص ٦٧ .

(٥) العقد الفريد ج ٣ ص ٨٩ .

وقال **عائشة** : (يا بني خمسة لا تصاحبهم ولا توافقهم ولا تحدثهم . إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب . وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك بأكلة أو أقل منها . وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك فيما تكون إليه أحوج . وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد ان ينفعك فيضرك . وإياك ومصاحبة قاطع رحمه ، فاني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع ^(١) . قال تعالى : **(يَهْلِكُ سَمِيمٌ نَّوَسِيمٌ إِنَّ نُغْمَ يَدُوا لِأَرْضٍ وَتُقَطَّعُونَ أَرْجَامَكُمْ * وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَعَمَى أَبْصَارَهُمْ)** . ^(٢) وقال الله تعالى : **(وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَعُونَ مَأْرَرًا بِهِ يُصِلُ يَصِيلٌ وَيُنْفِقُونَ فِي الْأَرْضِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ الْعَذَابُ بِسُوءِ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ)** . ^(٣) وقال الله تعالى : **(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)** . ^{(٤) (٥)}

(١) كشف الغمة ص ٢٠٠ .

(٢) سورة محمد : الآية ٢٢ - ٢٣ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٢٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٧ .

(٥) الوافي ج ٣ ص ١٠٥ .

ثم قال **عليه السلام**: (أحبكم الى الله أحسنكم عملاً ، وأعظمكم عند الله عملاً أسعاكم لعياله ، وأكرمكم عند الله أتقاكم لله تعالى)^(١)

وقال **عليه السلام**: (يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرتك عليك أكثر من منفعتك له)^(٢) . (وإياك ومعادات الرجال فانها لن تعدمك مكر حلیم أو مفاجأة لئيم)^(٣)

وصايا السجاد **عليه السلام** لابنه الباقر **عليه السلام**

وفي أيام مرضه **عليه السلام** أيضاً جمع أولاده محمداً والحسن وعبد الله وزيدا والحسين وأوصى بالإمامة إلى ابنه محمد بن علي **عليه السلام** ، وكناه الباقر . وجعل أمرهم إليه **عليه السلام** . وقال له:

(يا بني : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والعقل ترجمان العلم . واعلم ان العلم أبقي ، واللسان أكثر هذرا . وان صلاح الدنيا بخذافيرها في كلمتين بهما إصلاح شأن المعاش : ملء مكياال

(١) تحف العقول ص ٦٧ .

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٨ . والبيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٥٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٦٠ الطبعة القديمة .

ثلثاه فطنة وثلثه تغافل . لأن الإنسان لا يتغافل عن شيء قد عرفه ففطن له. ^(١)

واعلم ان الساعات تذهب عمرك وأنتك لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى . وإياك والأمل الطويل ، فكم من مؤمل أماً لا يبلغه ، وجامع مال لا يأكله ، ومانع ما سوف يتركه . ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه أصابه حراماً وورثه واحتمل أصره وباء بوزره . ذلك هو الخسران المبين ^(٢)

وقال عائشة لأبنة الباقر عائشة أيضاً : (أوصيك بما أوصاني به أبي عائشة : أصبر على الحق وإن كان مرا) ^(٣) . و (أفعل الخير إلى كل من طلبه منك) ^(٤) . (يا بني اني جعلتك خليفتي من بعدي لا يدعي فيما بيني وبينك أحد إلا قبله الله يوم القيامة طوقاً من النار ، فاحمد الله على ذلك واشكره . يا بني اشكر لمن انعم عليك ، فانه لا تزول نعمة إذا شكرت ، ولا بقاء لها إذا كفرت . والشاكر بشكره اسعد منه

-
- (١) قال الجاحظ : لم يجعل عائشة لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح لأن الانسان لا يتغافل عن شيء الا وقد عرفه وفطن . قال الطائي : ليس الغبي بسيد في قومه ، لكن سيد قومه المتغابي .
- (٢) كفاية الأثر للخزاز القمي ص ٣١٩ .
- (٣) مجموعة ورام ص ١٤ .
- (٤) روضة الكافي ملحقة بتحفة العقول ص ١٩١ حديث ١٤١ .

بالنعمة التي وجب عليه بها الشكر) ثم تلا قوله تعالى : (**وَذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا مَن رَّبُّنَا إِنَّهُ لَعَلَّيْنَا قَال:**) وفي رواية أخرى ، أنه **عَلَّيْنَا** قال:

إياك يا بَنِي أَنْ تصاحب الأحمق أو تخالطه ، واهجره ولا تحادثه ، فان الأحمق هجنه عين ^(٦) غائبا كان أو حاضرا . إن تكلم فضحه حمقه ، وإن سكت قصر فقره عنه ، وإن عمل أفسد ، وإن استرعى أضاع . لا علمه من نفسه يغنيه ، ولا علم غيره ينفعه ، ولا يطيع ناصحه ، ولا يستريح مقارنه . تود أمه لو أنها ثكلته ، وأسرته فقدته ، وجاره بعد داره ، وجليسه الوحدة من مجالسته . إن كان أصغر من في المجلس أغنى من فوقه ، وإن كان أكبر أفسدهم من دونه. ^(٣)

وبقي الزهري يزور الإمام زين العابدين **عَلَّيْنَا** أيام مرضه ، فعندما زاره في تلك الأيام أكرمه الإمام **عَلَّيْنَا** فقدم إليه طبق فيه هندباء وقال له : (كل منه انه الهندباء ، وما من ورقة إلا وعليها قطرة من ماء الجنة وفيه شفاء من كل داء .) (وجيء إليه بدهن البنفسج ، فقال **عَلَّيْنَا** :) فضله على الادهان كفضل الإسلام على الأديان) . ثم

(١) سورة إبراهيم : الآية ٧ . أمالي الطوسي ص ٣١٩ . وكفاية الأثر للخزاز القمي ص ٣١٩ .

(٢) الهجنة : القبيح وما يعيبه الانسان . والعين : (بتشديد النون) العليظ الخشن .

(٣) ناسخ التواريخ .

دخل عليه أبو جعفر الباقر عليه السلام ، فجعل عليه السلام يسأره طويلاً ، فسمع الزهري قول زين العابدين عليه السلام لابنه : عليك بحسن الخلق.

قال الزهري : فوقع في نفسي انه نعى نفسه . فقلت له يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن وقع من أمر الله ما لا بد لنا منه ، فألى من نختلف بعدك . قال عليه السلام : (يا أبا عبد الله الى ابني هذا . وأشار الى محمد الباقر عليه السلام . فانه وصيي ووارثي وعيبة علمي . هو معدن العلم وبقاره) .

قلت : يا ابن رسول الله ما معنى (باقر العلم) ؟ قال عليه السلام : (سوف يختلف إليه خلص شيعتي ، فيقرر العلم عليهم بقرا) .

قلت له : هلا أوصيت إلى أكبر ولدك ؟ قال عليه السلام : (يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالكبر والصغر . هكذا عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهكذا وجدناه مكتوبا في اللوح والصحيفة) .

قلت : يا ابن رسول الله كم عهد إليكم نبيكم أن يكون الأوصياء بعده ؟ قال عليه السلام : (وجدنا في الصحيفة واللوحة اثني عشر اسما مكتوبة إمامتهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم . يخرج من صلب محمد ابني سبعة من الأوصياء فيهم المهدي عليه السلام) ^(١) .

وقال عليه السلام للباقر عليه السلام : (أني حججت على ناقتي هذه عشرين حجة لم اقرعها بسوط . فاذا نفقت فادفنها ، لا يأكل لحمها السباع .

(١) كفاية الأثر ص ٣١٩ .

فان رسول الله ﷺ قال : ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة وبارك في نسله) . فلما نفقت دفنها . أبو جعفر الباقر عليه السلام (١) .

ثم ضمّه إلى صدره عليه السلام وقال : (يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وان أباه أوصاه به ، وهو : يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك نصرا إلا الله) (٢) . ثم أخرج سفظاً وصندوقاً ، وأمر أبا جعفر الباقر عليه السلام بحمله إليه . وكان فيه سلاح رسول الله ﷺ ودرعه ، وألواح موسى عليه السلام وعصاه ... (٣) .

وقال لأبي جعفر عليه السلام : (يا بني اذا مت فلا يلي غسلي غيرك ، فإن الإمام لا يلي غسله إلا إمام مثله يكون بعده) (٤) .

الإستشهاد

وفي الليلة التي قبض فيها عليه السلام أخبر من كان عنده بان هذه الليلة هي التي قدر الله فيها الرحلة الى جوار قدسه (٥) . وأغمي

(١) ثواب الأعمال ص ٢٩ . والمحاسن للبرقي ج ٢ ص ٦٣٥ .

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٤٤ عن الكافي .

(٣) بصائر الدرجات ص ٤٦ - ٤٨ .

(٤) الخرائج ص ٢٠ .

(٥) بحار الأنوار ج ١١ ص ٤٣ .

عليه ثلاث مرات ، قرأ بعد المرة الأخيرة : (إذا وقعت الواقعة)^(١) ، و (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)^(٢) . ثم قال عليه السلام ... : (الحمد لله لئلي مدقما عداه وأرثنا لأرضه نتبهم من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)^(٣) . ثم قبض من ساعته ولم يقل شيئا^(٤)

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : (مرض علي بن الحسين عليه السلام ثلاث مرضات ، في كل مرضة يوصي بوصية ، فاذا أفاق أمضى وصيته)^(٥)

وقبض الإمام زين العابدين عليه السلام مظلوما شهيدا مقتولا بأمر الوليد بن عبد الملك الذي أوعز إلى أخيه هشام بدس السم اليه ، كما ألمحنا الى ذلك سابقاً . فكان مصداقا لقول النبي ﷺ : (ما من نبي ولا وصي إلا شهيد)^(٦) ، وما قاله أئمة أهل البيت عليهم السلام : (ما منا إلا مقتول شهيد)^(٧) . فتوفي عليه السلام في الخامس والعشرين من محرم الحرام

(١) سورة الواقعة : الآية ١ .

(٢) سورة الفتح : الآية ١ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧٤ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٤٦٨ .

(٥) الكافي ج ٧ ص ٥٦ .

(٦) بصائر الدرجات ص ١٤٥ .

(٧) أعلام الوري للطبرسي ص ٢١١ .

سنة ٩٥ للهجرة عن عمر ناهز السابعة والخمسين عاما . فضجّت المدينة بالبكاء ، وكان يوماً كيوم وفاة رسول الله ﷺ . وشهد جنازته البر والفاجر ، وأثنى عليه الصالح والطالح . وانحال الناس يتبعونه حتى جيء بالجنازة الى البقيع . وعندما غسله أبوه محمد الباقر عليه السلام وجد علي كتفيه جلب كجلب البعير .^(١) فسأل الناس ما هذه الآثار ؟ فقليل لهم : من حمل الطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء^(٢) . وتم مواراة جسده الظاهر في تربة عمهم الحسن بن علي عليه السلام في قبة العباس ابن عبد المطلب^(٣) .

فسلام علي زين العابدين عليه السلام يوم ولد ، ويوم استشهد ، ويوم بيعت حياً .

(١) جلب : قشرة تعلق الجرح عند البرء .

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ٤٥ .

(٣) الفصول المهمة ص ٢٢١ . ومطالب السؤل ص ٧٩ . والصواعق المحرقة ص ١٢٠ .

الفصل الثاني : الخصائص الشخصية

الإمامة

يعد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، حسب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وحتى نفهم إمامة زين العابدين عليه السلام لابد لنا من شرح مختصر لمعنى (الإمامة) لفظاً واصطلاحاً .

المعنى اللفظي : ومعنى الإمام هو من يأتّم به الناس ويقتي . وأصل الكلمة (أم) القوم أي تقدمهم في الصلاة أو في الفكر . والنتيجة أن الإمامة هي منصب رئاسة . والخلافة والولاية كلمتان إضافيتان ترادفان كلمة الإمامة .

وقد وردت تلك الالفاظ في القرآن الكريم . فجاءت كلمة الإمام مطلقة في الهداية والضلال ، وهو كل من تعلم لفرقة فاتبعة الناس . فقال تعالى في أئمة الضلال : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْبَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ)^(١) (قَبِيلُوا أَعْتَبَهُ الْكَاذِبُ نَهْمُهُمْ بِهَذَا كَيْفَ)^(٢) ... وقال في شأن ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام

(١) سورة القصص : الآية ٤١ .

(٢) سورة براءة : الآية ١٢ .

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) (1) ... ، وفي حق إبراهيم الخليل عليه السلام :
(مَدَّ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَّهَا قَالَ إِنَّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا). (2) ...

وجاءت كلمة الخلافة ككلمة إضافية ، لأنها تقتضي النيابة والبدلية . والإستخلاف لا بد أن يكون عن الله عز وجل ، وعن رسوله ﷺ يكون خليفة الله أو خليفة رسوله . قال عز وجل في شأن آدم مخاطبا الملائكة ... : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (3) ... ، وقال تعالى مخاطباً النبي داود عليه السلام : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ لَدُنَّاسٍ لِّمِثَمَلٍ الْأَرْضِ) (4) ... ، وبخصوص موسى وهارون ... : (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) . (5) ... وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام في غزوة تبوك : (يا علي إنما خلفتك على أهلي ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى). (6) ...

وجاءت كلمة الولاية إضافية أيضاً ، لأنها أقتضت التكفل . بمعنى ان يقوم الولي بكفالة المؤمنين مهما كان عددهم . قال تعالى:

(١) سورة الانبياء : الآية ٧٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٦ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٤٢ .

(٦) الخصائص ص ١٤ . رواها النسائي عن سعد بن أبي وقاص .

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِكَيْفُونِ).^(١)

المعنى الاعتقادي : والإمامة الشرعية أصل من أصول الدين . لأنها رئاسة ربانية تقود الأمة إلى طريق الهداية والرشاد . ومن أجل فهم المعنى الاعتقادي للإمامة كان لابد من عرض مجموعة المبادئ التي تشكل الأساس لفكرة الإمامة:

١ - ان الإمامة الكلية والولاية المطلقة لرسول الله ﷺ ولخلفائه أئمة أهل البيت عليهم السلام إنما هي بالجعل الآلهي لا بالتكوين . أي ان الإنسان لا يستطيع مهما اجتهد ودرس أن يكون بمنزلة الإمام المعصوم عليهم السلام . لأن القضية ليست قضية اكتساب واجتهاد ، إنما هي إرادة إلهية اقضت أن يكون هؤلاء الاطهار من آل النبي محمد ﷺ أئمة هدى ، وإلى ذلك قال تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .^(٢) (فالإرادة الإلهية شاءت أن تحصر الإمامة الشرعية الكلية بهم عليهم السلام . فالإمامة بهذا المعنى هي شرعية جعلية وليست تكوينية.

(١) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

أن ان الإمامة ليست مرتبة علمية ، ولا منزلة إجتماعية يكتسبها الانسان بالجدّ والاجتهاد ، ولا سلطة إدارية يتلبس بها الانسان قهراً . وكل من تغلب على أمور الناس واستولى على مقدراتهم ، فهو إمام قهر وغلبة . وكل من ثبتت له الولاية الآلهية وكان له زمام الدين ، فهو إمام عدل وهداية.

٢ - ان الإمامة منصب إلهي ، وليست منصباً عرفياً أو عقلائياً . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم (**وَدِّ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَّنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**) .^(١) (... فالإمامة تنتهي إلى من له ملك السموات والأرض فيقلدها من اصطفاه من عباده ، ويجعلها لمن ابتلاه من خيرة خلقه . وبمعنى آخر ، أن الإمامة لا تجري مجرى الانتخاب أو التصويب . بل هي بالتعيين الإلهي أو الإصطفاء. ويشترط فيمن تكون له الولاية والإمامة ان تكون له اللياقة التامة الكاملة من قبيل إمتلاكه الفضائل الإنسانية والكمالات الروحية والجسمية والملكات القدسية ، وتلك صفات أساسية يعلمها الله تبارك وتعالى لعباده الذين يصطفاهم لهذه المهمة العظيمة.

٣ - يصنّف العلماء المجعولات الشرعية إلى صنفين . الأول : أصول الدين ، وهي الإعتقادات . والثاني : فروع الدين ، وهي الأعمال التكليفية . والإمامة من الصنف الأول . أي هي أصل من الأصول العقائدية مثلها مثل التوحيد والنبوة والمعاد ، لأنها ليست من الوظائف العملية المرتبطة بالتكليف كالصلاة والصيام والزكاة ونحوها.

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

ولذلك أمر الإسلام بوجود الإيمان بالإمامة ، كاعتقاد له مصاديق واقعية حية إلى يوم القيامة . وكل أمر يجب الاعتقاد به في الدين يعد من أصول الدين . فالإمامة أصل من أصول الدين . وأوجب الدين معرفة الإمام عليه السلام بنص حديث الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم المشهور المتواتر المتفق عليه بين الفريقين : (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) ^(١) . فالإمامة إذن أصل يجب معرفته وتشخيص موارده والإيمان قلبيا صحيحا .

٤ . ان من لوازم الإمامة اللياقة العلمية الآلهية : فالإمامة الإلهية لا تكتمل إلا بعلم رباني وفيض إلهي يحيط بجميع شؤون ولاية الإمام عليه السلام . بمعنى انه لا بد للإمام من العلم بجميع حقائق الشريعة ، وتمام خصوصيات الأحكام ، وفهم تام لجميع آيات القرآن ، وإدراك تام لعوا لم الوجود . فالولاية التامة تقتضي علما كاملا بعوا لم التشريع والتكوين وما له الولاية عليه وألوية التصرف فيه .

وتشير جملة من الآيات القرآنية الشريفة إلى مراتب العلم الإلهي . فيقول تعالى بخصوص الخضر عليه السلام

(وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا

(١) ورد الحديث بالفاظ مختلفة . لاحظ صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٢ ، ومسند أحمد ج ٢ ص ٨٣ ، ومنهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ٦٧ ، وكنز العمال ج ٣ ص ٢٢٠ .

عِلْمًا) (١) ، وبخصوص لقمان (ع) : (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (٢) ... ، وفي شأن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) ، وفي حق وزير سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ (قَالَ اللَّهُ إِنَّهُ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) (٤) وبخصوص عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ (مُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّ فِي اللَّهِ لَأُنْيُسًا بِآبَاءِ تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ). (٥)

دليل اللياقة العلمية : وفي الإستدلال على اللياقة العلمية للإمام نأتي بآيتين لهما خصوصية في هذا

المقام:

الأولى : قوله تعالى في قصة آدم) : (مَذَّ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ لَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

(١) سورة الكهف : الآية ٦٥ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٢ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٨٠ .

(٤) سورة النمل : الآية ٤٠ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٩ .

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * لَآ إِلَهَ إِلَّا يَآ مَ أَ نُبِّئُهُمْ بِأَنَّهُمْ بَانِعِينَ * لِمَا نَبِئْتُهُمْ * لَمْ يَأْتِيهِمْ * لَآ لَمْ أَقْبَلْ لَكُمْ إِيَّيَ أَعْلِيمَ
بِأَنَّ سَلْمَةَ لِحَا لَأَرْضٍ * وَعَلَّمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ). (1)

وهذه الآية صريحة في ان الإمامة الإلهية أو الخلافة لا تتم إلا باللياقة العلمية الربانية الشاملة لجميع الحقائق والكليات . وهي موهبة خاصة لا تتوفر للملائكة الذين جبلوا على الطاعة والعبادة والتقديس . فالخلافة أو الإمامة هنا لا تحصل إلا بإفاضة العلم الرباني على الخليفة الرباني.

الثانية : قوله تعالى (...) : (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) . (2) وهذه الآية غالباً ما يستشهد بها أئمة أهل البيت عليهم السلام على قدرتهم العلمية والإعجازية . وهذا الذي عنده علم الكتاب ويكون شهيدا بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقومه لا بد أن يكون حائزا على فيض رباني وعلم إلهي وفضيلة حتى يكون مؤهلا للشهادة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهادة تامة من جميع الجوانب . وكيف يستطيع ذلك الشاهد إدراك أفضلية خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يكن فاضلا نفسه.

وعلم الكتاب يعني العلم بكل شيء ، لأن الكتاب الذي يعلمه لا بد أن يكون أحد أمرين : إما اللوح المحفوظ الذي درو فيه

(1) سورة البقرة : الآية ٣٠ - ٣٣ .

(2) سورة الرعد : الآية ٤٣ .

كل شيء ، وإما القرآن الكريم الذي يصرح بأنه ...) (تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) ^(١) ، (وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) . ^(٢) (وإذا انحصر الكتاب بالقرآن الكريم ، فمن عنده علم الكتاب هو العالم العارف بكليات القرآن الكريم وجزئياته . وإذا كان الذي عنده علم من الكتاب قادراً على إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ قبل أن يرتد إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ طرفه ، فإن الذي عنده علم الكتاب (وهو الإمام) قادر على الإحاطة العلمية الكاملة بقضايا التشريع والتكوين.

٥ - العصمة من لوازم الإمامة : العصمة هي ملكة روحية تصون صاحبها عن الخطأ والنسيان ، والجهل والعصيان . وتعبير آخر فإن الإمام يجب أن يكون معصوماً عن ارتكاب المخالفات الشرعية أو ارتكاب الأعمال التي يستقبحها العقل ، بصورة كلية أو جزئية ، عمداً أو سهواً ، ومن الصبا المبكر وحتى الممات.

فالمعصوم ينبغي ان لا يخالف التكاليف الشرعية ، مع قدرته عليها ، لعدة اسباب:
الأول : ان الهدف من الإمامة هو حفظ الشريعة . فلا بد أن يكون الإمام حافظاً للدين . ومن أجل تحقيق ذلك لا بد ان يكون معصوماً . أي لا بد أن لا يخطأ ولا ينسى ولا يجهل أمور الدين ، وان لا يرتكب المعصية الشرعية أو العقلية وهو قادر عليها . ولا يمكن ان تكون العصمة في الدين متجزأة ، أي لا يمكن ان يكون له فهم في أمور ، وجهل في أمور اخرى . بل لا بد ان تكون العصمة تامة كاملة وشاملة لجميع موارد الدين بما فيها الاعتقادات والعبادات.

الثاني : ان الحاجة من وجود الإمامة هو عدم تفويت المصالح على العباد . أي ان الإمام المعصوم يمنع الظلم ويتنصف للمظلوم ، ويرفع الفساد ، ويحمل الناس على الطاعة ، ويمنعهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات ، ويحسم مادة الفتن ، ويقيم الحدود والفرائض . ولو جازت المعصية من إنسان من هذا القبيل لانتفت المصلحة من وجوده.

(١) سورة النحل : الآية ٨٩.

(٢) سورة الانعام : الآية ٥٩.

وغير المعصوم يمكن ان يرتكب المعصية فلا تحصل الفائدة . و غير المعصوم تصدر منه الصغائر التي لا تنافي العدالة ، ولا تحصل الفائدة من وجوده لأنه يحتاج عندئذ إلى إمام آخر لا يرتكب الصغائر . والإمام الذي يخطأ يحتاج إلى إمام آخر يمنعه عن ارتكاب الاخطاء . وحتى لو كان معذوراً فإن العذر لا يصح تفويت تلك المصالح على العباد.

وبذلك نستنتج بأن الإمام ينبغي أن يكون معصوماً عصمة تامة ، حتى تحرز العدالة الواقعية من أفعاله وأقواله . ويؤيدها قوله تعالى) : (**مُذَّابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلِمَاتٍ فَبَأْتَمَّهِنَّ قَبَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**) .⁽¹⁾ (وهي صريحة في ان الولاية أو الإمامة لا ينالها الظالم . والمعصية مهما كان حجمها لا تتعدى كونها أحد أنواع الظلم الثلاثة ، وهي : ظلم بحق الله تعالى ، أو ظلم بحق الناس ، أو ظلم بحق النفس . وكلها تعد تعدياً لحدود الله ، وقد قال تعالى : (**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**)⁽²⁾

قال السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية الآنفه الذكر : (قال ابن عباس : لا ينال عهده من هو في رتبة ظالم ولا ينبغي ان يوليه شيئاً من أمره . وعن مجاهد : ان المعنى هو أن لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به)

الثالث : هناك احتمال بأن يخالف غير المعصوم الحق عمداً أو خطأً . فيلزم عندئذ الخروج عن طاعته والإنكار عليه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإذا تم ذلك كان خلاف الهدف الذي تم فيه نصب الإمام . وقد قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَطِيعُوا الرَّسُولَ هُوَ الْأَمْرُ مِنْكُمْ**)⁽³⁾ والآية صريحة في وجوب طاعة أولي الأمر على الإطلاق كوجوب طاعته عز وجل وطاعة رسوله ﷺ . وهذا لا يتحقق إلا بالعصمة ، لأن غير المعصوم قد يأمر بالمعصية خطأً أو نسياناً أو جهلاً ، وعندئذٍ يجب مخالفته بينما أوجبت الآية طاعته . فعندئذٍ يقع التناقض بين وجوب الطاعة للولي وحرمة الطاعة في معصية الله عز وجل . وهذا مستحيل بحق القرآن.

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٩ .

الرابع : ان الإمام هو مثل أعلى للناس ، فإذا لم يكن معصوما وصدرت منه المعصية أحياناً ، ولو كانت من الصغائر ، أصبح مورداً لعدم الاطمئنان به وبقيادته . لأن الصغيرة من الإمام أفتح من الكبيرة من عموم الناس . فهنا يسقط من القلوب ولا تنقاد الناس إلى إمامته . قال تعالى في خطابه إلى نساء النبي ﷺ ... : (**يَتَّعَمِرْنَ مَكِينَ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ خَبَّرَهُنَّ بِأَلْعَلْبِ مُعِينٍ**) وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ **يَسِيرًا**) .^(١)

الإمام المنصوص عليه:

إجمالاً ، إذا كانت الإمامة هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا^(٢) ، والتقدم في ما يقتضي طاعة صاحبه والإقتداء به في ما تقدم به^(٣) ، والتقدم لأمر الجماعة^(٤) ، فإن الإمام ينبغي ان يكون منصوصاً

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٠ .

(٢) شرح المواقف للحرجاني ج ٨ ص ٣٤٥ .

(٣) الإفصاح للشيخ المفيد ص ٢٧ .

(٤) الحدود والحقائق للقاضي الآبي (من متكليمي الإمامية) ص ١٥ رقم ١٦ .

عليه من قبل الله تعالى . لأن العلم بتحقيق شروط الإمامة لإنسان ما لم يكون إلا عند علام الغيوب وهو الله عزوجل . ومنزلتها كمنزلة النبوة ، إلا ان النبوة مرتبطة مباشرة بالوحي . والدليل على ذلك على قول رسول الله ﷺ لعلي بن ابي طالب ؑ : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)^(١)

ويمكننا تصور شخصية الإمام ؑ عبر هذه القطعة الأدبية الشارحة لطبيعة الإصطفاء الرباني له :
(الحمد لله ... الذي نزه اوليائه عن دار الغرور ، وسما بهم الى أنوار السرور ، ولم يفعل ذلك بهم محاباة لهم على الخلائق ، ولا إلقاء لهم إلى جميل الطرائق ، بل عرف منهم قبولاً للألطف ، واستحقاقاً لمحاسن الأوصاف ، فلم يرض لهم التعلق بحبال الإهمال ، بل وفقهم للتخلق بكمال الأعمال ، حتى فرغت نفوسهم عن سواه ، وعرفت أرواحهم شرف رضاه ، فصرفوا أعناق قلوبهم إلى ظله ، وعطفوا آمالهم نحو كرمه وفضله .

فترى لديهم فرحة المصدق بدار بقائه ، وتنظر إليهم مسحة المشفق من أخطار لقائه ، ولا تزال أشواقهم متضاعفة إلى ما قرب من مراده ، وأريحيتهم مترادفة نحو إصداره وإيراده ، وأسماعهم مصغية إلى

(١) وهو من الأحاديث المتواترة . رواه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٢٠٨ . ومسلم في صحيحه ج ٢ ص ٣٦٠ . وأحمد في مسنده ج ١ ص ١٧٣ .

استماع أسرارهم وقلوبهم مستبشرة بحلاوة تذكاره ، فحباهم منه بقدر ذلك التصديق ، وحباهم من لدنه حياء البر الشفيق . فما أصغر عندهم كل ما أشغل عن جلاله ، وما أتركهم لكل ما باعد من وصاله ، حتى أنهم يتمتعون بأنس ذلك الكرم والكمال ، ويكسوههم أبدأً حلل المهابة والجلال ، فإذا عرفوا أن حياتهم مانعة عن متابعة مرامه ، وبقاتهم حائل بينهم وبين إكرامه ، خلعوا أثواب البقاء ، وقرعوا أبواب اللقاء ، وتلذذوا في طلب ذلك النجاح ، ببذل النفوس والأرواح ، وعرضوها لخطر السيوف والرماح ... (١)

ونستنتج مما سبق أن للإمام المنصوص عليه لياقات أخرى إضافية ، وهي:

- ١ . قبول الألفاظ الإلهية . أي الرضا بما يقسم الله عز وجل من نعم أو إبتلاءات دنيوية.
- ٢ . التوفيق لكمال الأعمال ، أي التوفيق لأداء حق الله تبارك وتعالى كاملاً في الطاعة وعدم المعصية ، وأداء حقوق العباد.
- ٣ . الإشتغال بقرب المراد . وهو التسامي في مراتب العبادة ، والإشتغال بالله تعالى وحده . أي تفرغ النفس من كل ما يتعلق بشواغل الحياة الدنيوية ، من مال أو جاه ، أو ولد أو زوجة ، أو حزن أو فرح ، أو شوق لغيره تعالى.

(١) ابن طاووس في اللهوف ص ٦٠٥ .

٤ . الإستعداد لقرع باب اللقاء في أية لحظة . أي تحقيق حالة عقلية مستعدة للموت في سبيل الله .
وبذلك نعلم ان المعصوم عليه السلام هو أشجع الناس . لأن الشجاعة العقلية أو الإستعداد النفسي والعقلي
للموت أعظم من الشجاعة الجسدية المجردة عند الإنسان.

النص الخاص على إمامة زين العابدين عليه السلام

والنص على زين العابدين عليه السلام بالإمامة يمكن استقراؤه بطريقتين:

الأول : الأخبار الواردة في الأئمة الإثني عشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي:

١ . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الأئمة من بعدي اثنا عشر . أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم

الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها. ^(١))

٢ . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا انه قال : (... إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن

أبي طالب فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي ... وان منه إمامي أممي وسيدي شباب أهل الجنة

(١) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٢٦ .

الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين عليه السلام تاسعهم قائم أمّتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) (١)

٣ - في ليلة وفاته صلى الله عليه وآله ، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له : (يا أبا الحسن إ حضر صحيفة ودواة) . ثم أملى صلى الله عليه وآله وصيته حتى انتهى إلى بيان الخلفاء من بعده ، فقال : (يا علي سيكون بعدي اثنا عشر إماماً . فأنت يا علي أولهم ، سمّاك الله في سمائه علياً المرتضى وأمير المؤمنين والصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم والمأمون ، فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك ...

وأنت خليفتي على أمّتي من بعدي ، فإذا حضرتك الوفاة فسلّمها إلى ابني الحسن البر الوصول . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني علي سيد العابدين ذي الثغفات . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني محمد باقر العلم . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني جعفر الصادق . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني موسى الكاظم . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني الرضا . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني محمد الثقة التقي . فإذا حضرتك الوفاة فليسلمها إلى ابني علي

(١) المصدر السابق.

الناصح . فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل . فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد (١)

الثاني : الروايات التي وردت في إمامة علي بن الحسين عليه السلام خاصة ، وقد ذكرنا قسماً منها في الفصل الأول . ولكن الإستدلال يحتم علينا ذكرها هنا أيضاً ، وهي :

١ . عن الزهري قال : (كنا عند جابر فدخل عليه علي بن الحسين عليه السلام ، فقال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الحسين بن علي عليه السلام فضمه إلى صدره وقبله وأقعهده إلى جنبه . ثم قال : يولد لإبني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : ليقيم سيد العابدين فيقوم هو) (٢)

٢ . عن أبي جعفر عليه السلام قال : (ان الحسين بن علي عليه السلام لما حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام . فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة . وكان علي بن الحسين مبطوناً (٣) معهم لا يرون إلا ما ألم به ، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا يا زياد ! قال : قلت : ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك ؟ قال : فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ

(١) الغيبة للطوسي ص ١٠٥ ، ومختصر البصائر ص ٣٩ ط . النجف .

(٢) كفاية الطالب للكنجي ص ٤٤٨ .

(٣) المبطون : عليل البطن .

خلق الله آدم إلى أن تفتى الدنيا والله إن فيه الحدود حتى أن فيه أرش الخدش. (١)

٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (ان الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية ، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعها إليه) (٢)

٤ - روى المجلسي بإسناده عن محمد بن مسلم قال : (سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن خاتم الحسين بن علي عليه السلام إلى من صار ، وذكرت له اني سمعت أنه أخذ من اصبعه فيما أخذ . قال عليه السلام : ليس كما قالوا ، ان الحسين أوصى إلى ابنه علي بن الحسين عليه السلام وجعل خاتمه في اصبعه وهو إليه أمره كما فعله رسول الله ﷺ بأمر المؤمنين عليه السلام ، وفعله أمير المؤمنين بالحسين عليه السلام ، وفعله الحسن بالحسين عليه السلام ، ثم صار ذلك الخاتم إلى أبي بعد أبيه ، ومنه صار إلي فهو عندي . وإني لأبسه كل جمعة وأصلي فيه) . قال محمد بن مسلم : فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلي فلما فرغ من الصلاة مدّ إلي يده ، فرأيت في إصبعه خاتماً نقشه لا إله إلا الله عزّ للقاء الله . فقال : هذا خاتم جدي أبي عبد الله الحسين بن علي) (٣)

(١) الكافي . باب الإشارة والنص على علي بن الحسين عليه السلام ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٢ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٧ .

صفات الأئمة ؑ

وكان الإمام زين العابدين ؑ ينبّه الأمة ويرشدها إلى فكرة الإمامة وصفات الإمام ؑ

١ - قال ؑ بخصوص وصف أئمة أهل البيت ؑ : (نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغرّ المحجلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، وبنا السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، ولم تخل الأرض منذ خلق الأرض من حجة لله مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ، ولو لا ذلك لم يعبد الله) . فقيل له : كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟ فقال ؑ : (كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب)^(١)

٢ - وبخصوص الدعاء لهم ؑ ، قال : (رب صل على أطياب أهل بيته ﷺ الذين اخترتهم لأمرك ، وجعلتهم خزنة علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك في أرضك ، وحججك على عبادك ، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلة إليك ، والمسلك إلى جنتك . رب صل على محمد وآله صلاةً تجزل لهم بها من تحفك

(١) أمالي الصدوق ص ١١٢ .

وكرامتك ، وتكمل لهم الأشياء من عطايك ونوافلك ^(١) ، وتوفّر عليهم الحظّ من عوائدك وفوائدك . رب صلّ عليه وعليهم صلاةً لا أمد في أولها ، ولا غاية لأمدها ، ولا نهاية لآخرها . رب صلّ عليهم زنة عرشك وما دونه ، وملء سمواتك وما فوقهنّ ، وعدد أراضيك وما تحتهنّ وما بينهنّ ، صلاةً تقرّهم منك زلفى ، وتكون لك ولهم رضى ، ومتصلة بنظائرهن أبدأً ^(٢)

٣ - (نحن خلفاء الأرض ، ونحن أولى الناس بالله ، ونحن المخصوصون في كتاب الله ، ونحن أولى الناس بالله ، ونحن الذين شرع الله لنا دينه ، فقال : (شَرَحَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَكَانَ وَآحِينَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ^(٣) ... فقد علمنا ، وبلغنا واستودعنا علمهم ، ونحن ورثة الأنبياء ، ونحن ذرية أولي العلم ، أن أقيموا الدين بآل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تتفرقوا فيه) ^(٤)

٤ - وبخصوص وجوب طاعة الإمام : (اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علما لعبادك ، ومنارا في بلادك ^(٥) ، بعد أن وصلت

(١) الناقله : العطية الفاضلة.

(٢) الصحيفة السجادية . الدعاء السابع والأربعون ص ٢٠٨ .

(٣) سورة الشورى : الآية ١٣ .

(٤) ناسخ التواريخ ج ٢ ص ٤٩ .

(٥) المتار : موضع يوضع عليه المصباح ليلا ليراه المار بالطريق فيعرف موضعه منه.

حبله بجبلك ، وجعلته الذريعة إلى رضوانك ، وافترضت طاعته ، وحدّرت معصيته ، وأمرت بامثال
أوامره ، والانتهاء عند نهيّه ، وألّا يتقدمه متقدّم ، ولا يتأخر عنه متأخّر ، فهو عصمة اللائذين ، وكهف
المؤمنين ، وعروة المستمسكين ، وبهاء العالمين.

اللهم فأوزع لوليتك ^(١) شكر ما أنعمت به عليه ، وأوزعنا مثله فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ،
وافتح له فتحاً يسيراً ، وأعنه بركنك الأعزّ ، وأشدّد أزره ، وقوّ عضده ، وراع به عينك ، واحمه بحفظك ،
وانصره بملائكتك ، وأمدده بجندك الأغلب ، وأقم به كتابك ، وحدودك وشرائعك ، وسنن رسولك
صلواتك اللهم عليه وآله ، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك . وأجل به صدأ الجور عن
طريقتك ، وأبن به الضراء من سبيلك ، وأزل به الناكبين عن صراطك ، واحقق به بغاة قصدك عوجاً ،
وألن جانبه لأولياك ، وابسط يده على أعدائك ، وهب لنا رأفته ورحمته وتعطفه وتحننه ، واجعلنا له
سامعين مطيعين ، وفي رضاه ساعين ، وإلى نصرته والمدافعة

(١) وهو كناية عن الإمام المهدي (عج) كما في شرح الصحيفة . وقال مصنف (مكيال المكارم) أن المراد بالولي في ألسنتهم
ودعواتهم عليهم السلام هو الإمام صاحب العصر والزمان المهدي عجل الله فرجه.

عنه مكنتين وإليك وإلى رسولك صلواتك اللهم عليه وآله بذلك متقربين (١)

الأفضلية

تقتضي الإمامة المطلقة ان يكون الإمام المعصوم أفضل الناس في زمانه وأكملهم من ناحية الفضائل الإنسانية والكمالات . ذلك أن الإمامة الحققة رئاسة ربانية ، ويقبح عقلاً جعلها لمن هو مفضول . فكيف يكون المفضول قائدا للفاضل ؟ لا يمكن ذلك . وقد قال تعالى ... : (فَمَنْ يَهْدِي لِيَ الْخَبْرَ أَجْقَنًا يُتَّبَعْ لَمْ يَلْتَمِسْ لِيَ الْيَهْدِي إِلَّا تَأْتِيهِمْ فَمَّا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (٢) ، و (... قُلْ هَبْ لِي سَبْعًا مِنَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَنْبَاءُ) (٣) .

وغاية الإمامة هي سوق العالم إلى الكمال المطلق والصلاح الدائم وتحصيل سعادة الدارين . والإمام زين العابدين عليه السلام كان يجمع صفات الفضائل البشرية والكمالات ، فقد كان عليه السلام معصوماً ، أعلم الناس في زمانه بشريعة المصطفى محمد ﷺ ، وأحرص الناس على هدايتهم ،

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء السابع والأربعون ص ٢٠٩ .

(٢) سورة يونس : الآية ٣٥ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٩ .

وأحفظهم على رعاية شؤون الأمة ، وأرقبهم لحقوق الرعية ، وأعرفهم بالسياسة الشرعية.
يقول الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) : كان الإمام علي بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علما
وعملا فهو أولى بأبيه وأحق بمقامه من بعده بالفضل والنسب والأولى بالإمام الماضي أحق بمقامه من
غيره (١)

ولو أخذنا بقول سعيد بن المسيب ، من علماء المدينة المعاصر للإمام علي (عليه السلام) ، دليلاً على أفضلية
الإمام السجاد (عليه السلام) كفى . قال : (ما رأيت أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيت قط إلا مقت
نفسى) (٢) ، و (ما رأيت أروع منه) (٣)
والزهري ، وهو فقيه بني أمية على الحجاز والشام ، يقول : (لم أدرك في أهل البيت رجلاً كان
أفضل من علي بن الحسين) (٤)

وزيد بن أسلم ، من مفسري القرآن ، يقول : (ما رأيت مثل علي بن الحسين فهما حافظا) (٥)

(١) الإرشاد للشيخ المفيد.

(٢) توقف العلماء المتأخرين في قدحه أو مدحه كما سيأتي في محله.

(٣) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ٤٦.

(٤) العبر في خير من غير ج ١ ص ١١١.

(٥) شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٥.

(٦) طبقات الفقهاء ج ٢ ص ٣٤.

ويشير الذهبي إلى انه عليه السلام كان : (أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتأله وكمال عقله)^(١) .
ويشير اليعقوبي إلى انه عليه السلام كان : (أفضل الناس وأشدهم عبادة)^(٢) .
وهذه النعاذج تكفي للتدليل على أفضليته عليه السلام في العلم والورع والتقوى في زمانه . والأفضل .
بموجب نظرية الإمامة . ينبغي أن يكون قائدا وإماما للمفضول .
وقد وصفه علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣ هـ) وصفا جامعاً مانعاً رائعاً ، فقال :
(مناقب الإمام علي بن الحسين تكثر النجوم عدداً ، ويجري واصفها إلى حيث لا مدى ، وتلوح في
سماء المناقب كالنجوم لمن بها اهتدى ، وكيف لا وهو يفوق العالمين إذا عدا علياً وفاطمة والحسن
والحسين ومحمداً ، وهذا تقدم لسجع في الطبع فلا تكن متردداً ، ومتى أعطيت الفكر حقه وجدت ما
شئت فخاراً وسؤدداً ، فإنه الإمام الرباني ، والهيكل النوراني ، بدل الأبدال ، وزاهد الزهاد ، وقطب
الأقطاب ، وعابد العباد ، ونور مشكاة الرسالة ، ونقطة دايرة الإمامة ، وابن الخيرتين ، والكريم الطرفين
، قرار القلب ، وقرّة العين علي بن الحسين ، وما أدراك ما علي بن الحسين ؟!! الأواه الأواب ، العامل
بالسنة والكتاب ،

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٤٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٦ .

الناطق بالصواب ، ملازم المحراب ، المؤثر على نفسه . المرتفع في درجات المعارف ، فيومه يفوق على أمسه ، المتفرد بمعارفه ، الذي فضّل على الخلائق بتليده وطارفه ، وحكم في الشرف فتسنم ذروته ، وخطر في مطارفه . وأعجز بما حواه من طيب المولد ، وكريم المحتد ، وذكاء الأرومة ، وطهارة الجرثومة ، عجز عنه لسان واصفه ، وتفرد في خلواته بمناجاته ، فتعجبت الملائكة من مواقفه ، وأجرى مواضعه خوف ربه ، فأرّبى على هامى الصوب وواكفه (١)

فانظر أيّدك الله في أخباره ، والمح بعين الاعتبار عجائب آثاره ، وفكّر في زهده وتعبده وخشوعه ، وتمجده ودؤوبه في صلواته ، وأدعيته في أوقات مناجاته ، واستمراره على ملازمة عبادته ، وإيثاره وصدقائه ، وعطاياه وصلواته ، وتوسلاته التي تدلّ على فصاحته وبلاغته على خشوعه لربه ، وضراوته ووقوفه موقف العصاة مع شدة طاعته واعترافه بالذنوب على براءة ساحته ، وبكائه ونحيبه ، وخفوق قلبه من خشية الله ، ووجيبه وانتصابه وقد أرخى الليل سدوله ، وجرّ على الأرض ذبوله ، مناجياً ربه تقدست أسماؤه ، مخاطباً له تعالى ، ملازماً بابه عزّ وجلّ ، مصوراً نفسه بين يديه ، معرضاً عن كل شيء ، مقبلاً عليه ، قد انسلخ من الدنيا الدنية ، وتعرّى من الجثة البشرية ، فجسمه ساجد في الثرى وروحه متعلقة بالمأ الأعلى ، يتململ إذا

(١) الصوب : المطر . والواكف : المطر الذي يسيل قليلا قليلا .

مرت به آية من آيات الوعيد حتى كأنه المقصود بها ، وهو عنها بعيد ، تجد أموراً عجيبة وأحوالاً غريبة ، ونفساً من الله سبحانه قريبة ، وتعلم يقيناً لاشك فيه ولا ارتياب ، وتعرف معرفة من قد كشف له الحجاب ، وفتحت له الأبواب ، ان هذه الثمرة من تلك الشجرة ، كما ان الواحد جزء من العشرة ، وان هذه النطفة العذبة من ذلك المعين الكريم ، وان هذا الحديث من ذلك القدم ، وان هذه الدرّة من ذلك البحر الزاخر ، وان هذا النجم من ذلك القمر الباهر ، وان هذا الفرع النابت من ذلك الأصل الثابت ، وان هذه النتيجة من هذه المقدمة ، وان خليفة محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة المكرمة المعظمة هذا أصله الطاهر (١)

وكانت له من صفات الكمال ما يمكن استقراؤها من صحائف التأريخ ، عبر الوريقات القادمة.

الأفضلية في العلم

تميّز الإمام زين العابدين عليه السلام بذهنٍ متقدّم ، وعلمٍ جَمّ ، وقدرة عقلية إلهامية أكثر منها إكتسابية . وقد ألحنا سابقاً إلى ان من شروط الإمامة : العلم اللدني ، أي العلم المفاض من قبل الله تبارك

(١) كشف الغمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام . الأرنبي . ترجمة علي بن الحسين عليهما السلام .

وتعالى على الإمام عليّ عليه السلام . وقد أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى ذلك فقال (: اعطاه الله علمه واستودعه سره وأحیی به مناهج سبله وفرائضه وحدوده ، فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل ...)^(١) ولذلك اشتهر بين الناس في زمانه أنه عليه السلام كان أوسع الناس علماً . وكان عنده من العلماء والرواة الذين رووا عنه من العلوم ما لا يحصى^(٢) . ومن أجل إدراك شخصيته العلمية ، لا بد من عرض نماذج له في التفسير والحديث والفقه والكلام.

أ. القرآن الكريم:

وكان من حبه وشغفه بالقرآن الكريم أنه قال : (لو مات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي)^(٣)

ولم يقتصر انشغاله بالقرآن على حفظه وتفسيره والتدبر في معانيه ، بل كان عليه السلام من أحسن الناس صوتاً في تلاوته ، وكان السقائون الذين يمرون ببابه يقفون لاستماع صوته^(٤) . ولا عجب ، وهو العارف بالقرآن الكريم ، ان يدعو الناس إلى التدبر في معانيه ، فيقول : (آيات

(١) غيبة النعماني ص ١٢٠ .

(٢) خلاصة تذيب الكمال ص ٢٣ . أقول : أحصى علماء الرجال من رواه وتلامذته أكثر من مائة وسبعين راوياً . والذين فقدت اسمائهم أكثر .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٧ .

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٦١٦ .

القرآن خزائن كلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها) . وكان اهتمامه ﷺ بالقرآن منصباً على أمرين . الأول : التأكيد على أهمية القرآن الكريم للمسلمين . والثاني : تفسير آيات الكتاب المجيد وشرحها .

أولاً : أهمية القرآن:

تنبع أهمية القرآن الكريم من كونه كلام الله المجيد ، الذي يخاطب فيه المولى عز وجل عقل المسلم وضميره وروحه . فهو مصباح هداية ، ووسيلة لمنازل الشرف في الآخرة ، وسبباً لحفظ الذنوب ، وشفية يرتضيه الله تبارك وتعالى لغفران زلات المذنبين . وعلى ضوء ذلك ، كان الإمام زين العابدين ﷺ حريصاً على تبيين أهمية القرآن في حياة الإنسان ، عن طريق الدعاء والمناجاة ، أو الإرشاد والموعظة:

١ - يقول ﷺ في فضل القرآن : (اللهم صلّ على محمد وآله ، واجبر بالقرآن خلّتنا من عدم الاملاق ^(١) ، وسق إلينا به رغد العيش ، ، وخصب سعة الأرزاق ، وجنّبنا به الضرائب ^(٢) المذمومة ، ومداني الاخلاق ^(٣) ، واعصمنا به من هوة الكفر ، ودواعي النفاق ،

(١) الاملاق : الفقر.

(٢) الضرائب : جمع ضريبة بمعنى الطبيعة.

(٣) مداني الأخلاق : الأخلاق الدنيئة.

حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً ، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعديّ حدودك ذائدا ، ولما عندك بتحليل حاله وتحريم حرامه شاهدا .

اللهم صلّ على محمدٍ وآله ، وهوّن بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق ^(١) وجهد الأنين ، وترادف الحشارج ^(٢) إذا بلغت النفوس التراقي ^(٣) وقيل من راق ، وتجلّى ملك الموت ليقبضها من حجب الغيوب ، ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق ، وداف لها من زعاف الموت ^(٤) كأسا مسمومة المذاق ، ودنا منّا إلى الآخرة رحيلٌ وانطلاقٌ ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق ، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق .

اللهم صلّ على محمد وآله ، وبارك لنا في حلول دار البلى ، وطول المقامه بين أطباق الثرى ، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا ، ولا تفضحنا في حاضري القيامة بمويقات آثامنا ، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز

(١) كرب السياق : حالة المحتضر عند الموت .

(٢) الحشارج : جمع حشرجة ، وهي الغرغرة عند الموت .

(٣) التراقي : جمع ترقة وهي العظم المحيط بالرقية .

(٤) زعاف الموت : خالصه .

عليها زلزل أقدامنا ، ونور به قبل البعث سدف قبورنا ^(١) ، ونَجِّنَا به من كل كرب يوم القيامة ، وشدائد أهوال يوم الطامة ، وبيّض وجوهنا يوم تسودّ وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة ، واجعل لنا في صدور المؤمنين ودّاً ، ولا تجعل الحياة علينا نكداً ^(٢) .

٢ - ويقول ﷺ في كون القرآن وسيلة إلى الشرف المنازل : (اللهم صل على محمد وآله ، واجعلنا ممن يعتصم بحبله ، ويأوي من المشابّهات إلى حرز معقله ، ويسكن في ظلّ جناحه ، ويهتدي بضوء صاحبه ، ويقتدي بتبليج أسفاره ، ويستصبح بمصباحه ، ولا يلتمس الهدى في غيره . اللهم وكما نصبت به محمداً علماً للدلالة عليك ، وأنصحت بآله سبل الرضا إليك ، فصلّ على محمد وآله ، واجعل القرآن وسيلةً لنا إلى أشرف منازل الكرامة ، وسلماً نخرج فيه إلى محلّ السلامة ، وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة ، وذريعةً نقدم بها على نعيم دار المقامة .

اللهم صلّ على محمد وآله ، واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار ، وهب لنا حسن شمائل الأبرار ، واقف بنا آثار الذين قاموا لك اناء الليل وأطراف النهار ، حتى تطهّرنا من كل دنسٍ بتطهيره ، وتقفوا بنا آثار الذين استضاؤوا بنوره ، ولم يلهمهم الأمل عن العمل ،

(١) سدف قبورنا : ظلمة قبورنا.

(٢) الصحيفة السجادية . الدعاء الثاني والأربعون ص ١٧٤ .

فيقطعهم بخدع غروره . اللهم صلّ على محمدٍ وآله ، واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً ، ومن نزغات الشيطان ^(١) وخطرات الوسوس حارساً ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً ، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير آفة مخرساً ، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً ، ولما طوت الغفلة عنا من تصفّح الاعتبار ناشراً ، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه ، وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله.

اللهم صلّ على محمدٍ وآله ، وادم بالقرآن صلاح ظاهرننا ، واحجب به خطرات الوسوس عن صحة ضمائرنا ، واغسل به درن قلوبنا ، وعلائق أوزارنا ، واجمع به منتشر أمورنا ، وأرو به في موقف العرض عليك ظمأ هواجرنا ، واكسنا به حلال الأمان يوم الفرع الأكبر في نشورنا ^(٢)

٣ - وفي دعائه بعد ختم القرآن يقول **عَلَيْهِ** : (.. اللهم فإذا أهدتنا المعونة على تلاوته ، وسهّلت جواسي ألسنتنا ^(٣) بحسن عبادته ، فاجعلنا ممن يرعاه حقّ رعايته ، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحکم آياته ، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه ، وموضحات بيناته . اللهم إنك أنزلته على نبيك

(١) نزغات الشيطان : جمع نزغة ، وهي الوسوسة.

(٢) الصحيفة السجادية . الدعاء الثاني والأربعون ص ١٧٣ .

(٣) جواسي : جمع جاسية وهي الغليظة . والمراد غلاظ الألسنة.

محمد ﷺ مجملاً ، وأهمته علم عجائبه مكملاً ، وورثتنا علمه مفسراً ، وفضلتتنا على من جهل علمه ، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله .

اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملةً ، وعزفتنا برحمتك شرفه وفضله ، فصلّ على محمد الخطيب به ، وعلى آله الخزان له ، واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه ، ولا يخلجنا الزبغ عن قصد طريقه (١)

٤ . الحال المرتحل : قيل له ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال ﷺ : (الحال المرتحل) . فقيل له : وما ذاك ؟ قال ﷺ : (هو فتح القرآن وختمه فانه كلما جاء بأوله أرتحل بآخره . ولقد قال رسول الله ﷺ : من أعطاه الله القرآ ، فرأى ان رجلاً أعطي أفضل مما أعطاه الله فقد صغر عظيمًا وعظم صغيراً) (٢)

ثانيا : تفسير القرآن:

ولم يقتصر إهتمام الإمام السجاد ﷺ بالقرآن الكريم بحفظه أو تلاوته فحسب ، بل تعدى إلى فهم شامل لمعاني الكتاب السماوي . ذلك لأن في آيات القرآن : المحكم والمتشابه ، والظاهر والباطن ،

(١) الصحيفة السجادية ص ١٧٢ .

(٢) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٢ ص ٥٣٠ .

والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ . ولا يمكن ان يتجرأ أحد على تفسير القرآن الكريم دون أساس علمي شرعي يخوّلة بذلك . وهو القائل **عَلَيْهِ** : (نحن خلفاء الأرض ، ونحن أولى الناس بالله ، ونحن المخصوصون في كتاب الله (...) ، ونحن ورثة الأنبياء ، ونحن ذرية أولي العلم) ، (... فقد علمنا وبلغنا واستودعنا علمهم) ^(١) . فلا ريب أن نأخذ بعلمه **عَلَيْهِ** في تفسير كتاب الله المجيد:

١ . في تفسير الآية الكريمة : **(لَمَّا جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشَا)** ^(٢) ، قال **عَلَيْهِ** : إنه سبحانه وتعالى جعل الأرض ملائمة لطباعكم ، موافقة لأجسادكم ، ولم يجعلها شديدة الحمأ ^(٣) والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة الريح فتصدع هاماتكم ، ولا شديدة النتن فتعطبكم ^(٤) ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وابتنتكم وقبور موتاكم ، ولكنه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به ، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم ، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم ، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

(١) ناسخ التواريخ ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢ .

(٣) الحمأ : شدة حرارة الشمس .

(٤) تعطبكم : تهللكم .

ثم قال عز وجل : (والسَّماءُ بناءً) أي سقفاً من فوقكم ، محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

ثم قال عز وجل : (وأنزل من السَّماءِ ماءً) يعني المطر ينزله من عل ليلبغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ^(١) ، ثم فرَّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً ^(٢) لتنشفه أرضوكم ، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

ثم قال عز وجل : (فأخرج به من الثَّمرات رزقا لكم) يعني مما يخرج من الأرض رزقا لكم (فلا تجعلوا لله أندادا) أي أشباها وأمثالا من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء (وأنتم تعلمون) أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي انعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى) ^(٣)

٢ . في تفسير قوله تعالى ...) : (**رَوَّيْلَ الْقُبُورِ تَبْرِيْلًا**) ^(٤) (قال **عائِشَةَ**) : (بيَّنه . أي القرآن في تلاوته . تبييناً ، ولا تنثره نثر البقل ، ولا تهذه هذي الشعر . قفوا عند عجائبه لتحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة)

(١) الهضاب : الأرض المرتفعة . الأوهاد : الأرض المنخفضة.

(٢) الرذاذ : المطر الضعيف . الوابل : المطر الشديد . الهطل : المطر الضعيف الدائم.

(٣) عيون أخبار الرضا **عائِشَةَ** ج ١ ص ١٣٧ . ١٣٨ .

(٤) سورة المزمل : الآية ٤ .

٣ . في تفسير قوله تعالى : ((تَلَوْنَهَا لِأَرْضٍ لَّيْسَ بِهَا نَارٌ وَنُورٌ رَّزَقَ اللَّهُ النَّاسَ مِنَ الْجِبَالِ وَجِيءَ بِالنَّيِّبِينَ وَلَشِبَّاهَءٌ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (١)) إذا كان يوم القيامة بعث الله الناس من حفرهم عزلاً ، جرداً مرداً ، في صعيد واحد يسوقهم النور ، وتجمعهم الظلمة ، حتى يقفوا على عتبة المحشر ، فيزدحمون دونها ، ويمنعون من المضي ، فتشتد أنفاسهم ، ويكثر عرقهم ، وتضيق بهم أمورهم ، ويشتد ضجيجهم ، وترتفع أصواتهم ، وهو أول هول من أهوال القيامة.

فينادي مناد اسمعوا منادي الجبار . فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم ، فتخشع قلوبهم ، وتضطرب فرائصهم ، ويرفعون رؤوسهم الى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي ، ويقول الكافرون : هذا يوم عسير . فيأتي النداء من قبل الجبار : أنا الله لا إله إلا أنا ، أنا الحكم الذي لا يجور ، أحكم اليوم بينكم بعدلي وقسطي ، لا يظلم اليوم عندي أحد ، آخذ للضعيف من القوي ، ولصاحب المظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات ، وأثيب على الهبات ، ولا يجوز هذه العقبة ظالم . ولا أحد عنده مظلمة يهبها لصاحبها ، إلا وأثيبه عليها ، وآخذ له بها عند الحساب ، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا ، وأنا شاهدكم وكفى بي شهيدا (٢)

(١) سورة الزمر : الآية ٦٩ .

(٢) تفسير البرهان ج ٢ ص ٩٥ .

٤ . في تفسير قوله تعالى (: **لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ فِي اللَّهِ هُوَ التَّوْبُ الرَّحِيمِ**) : (١) ... اني ضامن عن ربي تعالى أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب تعالى) . وكان **عَلِيًّا** يقول : (ليس من شيء إلا وكل به ملك ، إلا الصدقة فإنها تقع في يد الله تعالى) (٢)

٥ . في تفسير قوله تعالى ... : (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْتَةَ فِي الْقَبْرِ**) (٣) ... قال **عَلِيًّا** : (هي قرابتنا أهل البيت) (٤)

أقول : ان الأجر المطلوب في آية المودة لم يكن من سنخ المال . فالأنبياء أرقى وأجل من أن يطلبوا مالا أو يأخذوا جعلاً على تبليغ رسالة السماء . وقد صرح أنبياء الله **عَلِيًّا** بنفي الأجرة على التبليغ ، ففي الحكاية عن هود وصالح وشعيب ويسوف عليهم السلام (٥) : (**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا أَجْرِي إِلَّا عَلَى رِءَسَالَتِهِ**) . (٦) (وعن نوح ع ... :) (**فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا أَجْرِي**)

-
- (١) سورة التوبة : الآية ١٠٤ .
 - (٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٤٤١ ، وتفسير الصافي ص ٢٢٣ .
 - (٣) سورة الشورى : الآية ٢٣ .
 - (٤) أحكام القرآن للحصص ج ٣ ص ٤٧٥ .
 - (٥) سورة الشعراء : الآية ١٠٩ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ . ومعنى مشابه في سورة يوسف : الآية ١٠٤ .
 - (٦) سورة الشعراء : الآية ١٠٩ .

عَلَى اللَّهِ (١) ... ، وفي الحكاية عن النبي محمد (ص) : (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) (٢) (...، وقوله ...) : (قُلْ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) . (٣) (وطلب المال لا تتحملة طباع الناس) : (لَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْمٍ مُمْتَقِلُونَ) (٤) ، (لَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) . (٥)

ولكن المقصود من المودة في القربي هو مودة آل الرسول ﷺ ، وهو من سنخ الدعوة الإلهية . وهذا المطلب يليق بمقام النبوة ، والدعوة إليه والتعريف به . ويكون طلب الرسول ﷺ من الأمة مودة آله الأقربين وهم أئمة الهدى الاثنا عشر عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ، تحنناً منه ﷺ عليهم . لأنه يعود في النهاية على نفعهم ومصالحتهم.

٦ . في تفسير قوله تعالى) : (مَلَّذِينَ فِي أُمَّهَاتِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ مَلْمُوجٌ) (٦) ، قال (ع) : (الحق المعلوم الشيء الذي يخرج من ماله

(١) سورة يونس : الآية ٧٢ .

(٢) سورة سبأ : الآية ٤٧ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .

(٤) سورة القلم : الآية ٤٦ .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ٧٢ .

(٦) سورة المعارج : الآية ٢٤ - ٢٥ .

ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين ... يصل به رحماً ، ويقوي به ضعيفاً ويحمل له كل (١) ، أو يصل
أخاً في الله ، أو لنايبة تنويه (٢)

أقول : السائل هو الفقير الذي يسأل ، والمحروم : الفقير الذي يتعفف ولا يسأل . وسياق الآيات
القرآنية الواردة في الزكاة تؤيد هذه الرواية . فان للزكاة موارد مسماة لمستحقيها في آية الصدقة) : (إِنَّمَا
الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ
السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) (٣) ، والآية ليست مختصة بالسائل والمحروم.

٧. في تفسير قوله تعالى : (فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) : (٤) (هو العفو من غير عتاب) (٥)

٨. في تفسير قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) : (٦) (ولكم
(في القصاص حياة) لأن من هم بالقتل فعرف أنه يقتصر منه ، فكف ذلك من القتل
، كان حياة للذي هم يقتله ، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل ، وحياة لغيرهما

(١) الكل (بالفتح) : النقل ، والعيال.

(٢) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٦٩.

(٣) سورة التوبة : الآية ٦٠.

(٤) سورة الحجر : الآية ٨٥.

(٥) وسائل الشيعة ج ٥ ص ٥١٩.

(٦) سورة البقرة : الآية ١٧٩.

من الناس : إذا علموا أن القصاص واجب ، ولا يجسرون على القتل مخافة القصاص (يا أولي الألباب)
أولي العقول (لعلكم تتقون)^(١)

٩ - في قوله تعالى ... : (وَمَنْ وَارَثَهُمْ بَخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)^(٢) ، قال عليّ (عليه السلام) : البرزخ هو القبر ...
والله ان القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من النار)^(٣)

١٠ - في قوله تعالى : (الله الصمد)^(٤) : (الصمد الذي لا شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء ،
ولا يعزب عنه شيء ، ولا يعزب عنه شيء ، والذي لا جوف له ... والذي لا يأكل ولا يشرب ، والذي
لا ينام ، والذي لم يزل ولا يزال)^(٥)

١١ - قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام : يا ابن رسول الله كيف يعاتب الله هؤلاء الأخلاف [عرب قريش
[على قبائح أسلافهم وهو سبحانه يقول : (وَلَا تَبْوَؤُوا بُيُوتَ فَرٍفِرٍ أُخْرَى) .^(٦) ... فقال (ع) : (ان
القرآن نزل بلغة العرب ، فهو يخاطب أهل اللسان بلغتهم فإنك ترى الرجل التميمي يقول : أغرنا على
قوم كذا . وإنما غار عليهم أسلافه .

(١) الإحتجاج للطبرسي ص ٣١٩ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٠٠ .

(٣) الخصال للصدوق ج ١ ص ٥٩ .

(٤) سورة الإخلاص : الآية ٢ .

(٥) الوافي ج ١ ص ٨١ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٦٤ .

ويقول العربي : نحن فعلنا ببني فلان كذا ، ونحن سبينا آل فلان ، ونحن خربنا البلد الكذائي ، ولا يريد أنهم باشروا ذلك بأنفسهم ، وإنما يريد هؤلاء بالإفتخار أن قومهم فعلوا كذا . وهكذا قول الله عز وجل في هذه الآيات إنما هو توبيخ لإسلافهم وتوبيخ عدل هؤلاء الموجودين . لأن هؤلاء الأخلاف رضوا بفعل أسلافهم ومصوبون لهم ، فجاز أن يقول أنتم فعلتم كذا ، أي انكم رضيتم بقبيح أفعالهم (١)

ب . الحديث الشريف:

وكان غاية العلم في القرون المجرية الأولى هو نقل الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ باسانيدها الصحيحة في وقت كثر فيه الكذب على رسول الله ﷺ . فكان زين العابدين عياض يروي الحديث النبوي مسندا عن أبيه الحسين عياض عن علي بن أبي طالب عياض عن رسول الله ﷺ . فكان نقل الحديث النبوي الصحيح له قيمة عظيمة في حفظ الدين ، لأن السنة النبوية الشريفة تعدّ المصدر الثاني للشرعية بعد القرآن الكريم . فحفظ القرآن الكريم . فحفظ القرآن الكريم بالوعد الإلهي : (**نَا بِن نَزَلْنَا الذِّكْرَ مَرْنَا لَه حَافِظُونَ**) (٢) ، وحفظت السنة النبوية بأئمة أهل البيت عياض وتقانيهم في صيانتها عن التحريف.

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ١٧٠ .

(٢) سورة الحجر : الآية ٩ .

فكان الدرس العلمي للإمام زين العابدين عليه السلام ينعقد في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، يطرح فيها أحاديث شريفة يرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسند متصل صحيح . وكان يذكر أقوال أمير المؤمنين عليه السلام بسند صحيح . ومن المسلم به عند الطائفة أن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان لا يقول شيئا إلا واقتبسه أو نقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وبالنتيجة فان درس الإمام زين العابدين عليه السلام كان علما نابعا من منابع الإسلام الأصيلة.

أولا : ما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وهذه روايات رواها الإمام عليه السلام بسند صحيح متصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم)^(١)

٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن حينا أهل البيت)^(٢) .

(١) الخصال ص ٥ .

(٢) الخصال ص ٢٣١ .

٣. قال رسول الله ﷺ : (ما يوضع في ميزان امريء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق)^(١)
٤. قال رسول الله ﷺ في آخر خطبته : (طوبى لمن طاب خلقه ، وطهرت سجيته ، وصلحت سريرته ، وحسنت علانيته ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، وأنصف الناس من نفسه)^(٢)
٥. قال رسول الله ﷺ : (من أحب السبل إلى الله عز وجل جرعتان : جرعة غيظ تردّها بحلم ، وجرعة مصيبة تردّها بصبر)^(٣)
٦. قال رسول الله ﷺ : (ان الله عز وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون ، في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، فجعل العلم نفسه ، والفهم روحه ، والزهد رأسه ، والحياء عينه ، والحكمة لسانه ، والرأفة همه ، والرحمة قلبه ، ثم حشاه وقواه بعشرة أشياء : باليقين ، والإيمان ، والصدق ، والسكينة ، والإخلاص ، والرفق ، والعطية ، والقنوع ، والتسليم ، والشكر . ثم قال له عز وجل : أدبر فأدبر . ثم قال له : أقبل فأقبل . ثم قال له : تكلم ، فقال : الحمد لله الذي ليس له سند ولا ند ، ولا شبيه ولا كفو ، ولا عديل ولا مثيل ، كل شيء لعظمته خاضع ذليل . فقال الله تبارك

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٩٩.

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ١٥٦.

(٣) أصول الكافي ج ٢ ص ٩٩.

وتعالى : وعزّي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، ولا أطوع لي منك ، ولا أرفع منك ، ولا أشرف منك ، ولا أعزّ منك . بك أواحد ، وبك أعطي ، وبك أوجد ، وبك أعبد ، وبك ادعى ، وبك أرتجى ، وبك أبتغى ، وبك أخاف ، وبك أحذر ، وبك الثواب وبك العقاب (١) .

٧ . قال رسول الله ﷺ : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه) (٢) .

٨ . قال رسول الله ﷺ : (انتظار الفرج عبادة ، وأن من رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه القليل من العمل) (٣) .

٩ . قال رسول الله ﷺ : (لا يتوارث أهل ملتين ، ولا يرث مسلم كافراً ، ولا كافر مسلماً) (٤) .

وقرأ عَائِشَةَ : (...) (٥) .

١٠ . قال رسول الله ﷺ : (ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل من

(١) الخصال ص ٣٩٦ . ٣٩٧ .

(٢) المعرفة والتاريخ ج ١ ص ٣٦٠ .

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٨٨ .

(٤) الجامع المختصر لابن الساعي ج ٩ ص ٨٧ .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٧٣ .

عترتي ما حرم الله ، والمتسلط بالجبروت ليدلّ من أعزه الله ، ويعزّ من أذله الله ، والمستأثر بغيء المسلمين المستحل له (١)

١١ . حدثني أبي أن جده رسول الله ﷺ قال : (أعبد الناس من أقام الفرائض ، وأسخى الناس من أدى الزكاة ، وأزهد الناس من اجتنب المحارم ، وأتقى الناس من قال بالحق في ما له وعليه ، وأعدل الناس من رضى للناس بما يرضى لنفسه ، وكره لهم ما كره لنفسه ، وأكيس الناس من كان أشد ذكراً للموت ، وأغبط الناس من كان تحت التراب قد أمن العقاب ويرجو الثواب ، وأعقل الناس من يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال ، وأعظم الناس في الدنيا خطراً من لم يجعل للدنيا خطراً ، وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه ، وأشجع الناس من غلب هواه ، وأكثر الناس قيمة أكثرهم علماً ، وأقل الناس لذة الحسود ، وأقل الناس راحة البخيل ، وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عليه ، وأولى الناس بالحق أعلمهم ، وأقلّ الناس حرمة الفاسق ، وأقلّ الناس وفاءً للملوك ، وأقلّ الناس صديقاً للملوك ، وأفقر الناس الطمّاع ، وأغنى الناس من لم يكن للحرص أسيراً ، وأفضل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً ، وأكثر الناس ... (٢) أتقاهم ، وأعظم الناس حذراً من ترك ما لا يعنيه ، وأورع الناس من ترك المرء وإن كان محقاً ، وأقل ،

(١) الخصال ص ٣٠٨ .

(٢) كلمة ساقطة في المتن ، ولعلها وأكثر الناس إيماناً أتقاهم .

الناس مروءة من كان كاذباً ، وأشقى الناس المملوك ، وأمقت الناس المتكبر ، وأشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب ، وأحلم الناس من فرّ من جهال الناس ، وأسعد الناس من حالف كرام الناس ، وأعقل الناس أشدهم مداراة للناس ، وأولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة ، وأعتى الناس من قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأحق الناس بالذنب السفيفه ، وأذل الناس من أهان الناس ، وأحزم الناس أكظمهم للغيب ، وأصلح الناس أصلحهم للناس ، وخير الناس من انتفع به الناس (١)

- ١٢ . قال رسول الله ﷺ : (ما زلت أنا ومن كان قبلي من النبيين مبتلين بمن يؤذينا ، ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله عز وجل من يؤذيه ليؤجره على ذلك) (٢)
- ١٣ . قال رسول الله ﷺ : (رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل التحبب إلى الناس) (٣)
- ١٤ . قال رسول الله ﷺ : (إن أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخال السرور على المؤمن) (٤)

(١) الغايات لأبن بابويه القمي.

(٢) وسائل الشيعة ج ٥ ص ٤٨٦.

(٣) الخصال ص ١٧.

(٤) مصادقة الأخوان للشيخ الصدوق.

١٥. قال رسول الله ﷺ : (كفى بالمرء عبياً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يؤذي جلسه بما لا يعنيه)^(١)
١٦. أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال له : ما بقي من الشر شيء إلا عملته ، فهل من توبة ؟ فقال ﷺ : (هل بقي من والدك أحد ؟) قال : نعم . قال ﷺ : (فبره ، فلعله أن يغفر لك) . فولى الرجل . فقال ﷺ : (لو كانت أمه .)^(٢)
١٧. قال رسول الله ﷺ : (إن المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله فيعطيه الله من الأجر ما يعطي الصائم القائم ، إن الله يحب الشاكرين)^(٣)
١٨. قال رسول الله ﷺ : (الإيمان أقرار باللسان ، ومعرفة بالقلب ، وعمل بالأركان)^(٤)
١٩. قال رسول الله ﷺ : (الإيمان قول وعمل)^(٥)
٢٠. روى علي بن أبي طالب بسنده عن آبائه علي بن أبي طالب أن المسلمين قالوا لرسول الله ﷺ : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثير عددنا وقوينا على عدونا ، فقال رسول الله ﷺ : (ما

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٤٦ .

(٢) الدعوات للقطب الراوندي ص ٤٧ .

(٣) ربيع الأبرار ج ٤ ص ٣٢٨ .

(٤) الخصال ص ١٦٥ .

(٥) الخصال ص ٥٣ .

كنت لألقى الله عز وجلّ ببدعة لم يحدث إلي فيها شيء ، وما أنا من المتكلفين) . فأنزله الله تبارك وتعالى يا محمد : (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآتَىٰ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ كُلِّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**) . (2) ... (1)

٢١- قال **عليه السلام** : حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين **عليه السلام** ، قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب **عليه السلام** قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (قال الله عز وجل : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ، فمن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله باخلاص باخلاص دخل في حصني ، ومن دخل في حصني أمن من عذابي) (٣)

٢٢- قال رسول الله ر : (حيي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة : عند الوفاة ، وفي القبر ، وعند النشور ، وعند الكتاب ، وعند الحساب ، وعند الميزان ، وعند الصراط) (٤)

٢٣- قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** : (قال الله عز وجل : علي بن أبي طالب حجتي على خلقي ، ونوري في بلادي ، وأميني على علمي) .

٢٤- قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** : (خلقت أنا و علي من نور واحد) (٥)

(١) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٢) التوحيد للصدوق ص ٣٤٢ .

(٣) التوحيد ص ٢٥ .

(٤) الخصال ص ٣٣٠ .

(٥) الخصال ص ٣١ .

٢٥ - قال رسول الله ﷺ : (يا علي أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنت ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك ، فمن أقر بذلك وكان يعتقدده صار إلى النعيم الذي لا زوال له) .

٢٦ - قال رسول الله ﷺ : (هبط علي جبرئيل فقال : إن الله يقرئك السلام ويقول : حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك)^(١) . والصلب الذي أنزله هو عبد الله ، والبطن التي حملته هي آمنة بنت وهب ، والحجر الذي كفله هو أبو طالب وفاطمة بنت أسد .

٢٧ - دخل رسول الله ﷺ على نفر من أهله ، فقال : (ألا أحدثكم بما يكون خيراً من الدنيا والآخرة لكم ، وإذا كرتتم أو غمتم دعوتهم الله عز وجل ففرج عنكم . قالوا : بلى يا رسول الله . قال ﷺ قولوا : (الله ، الله ، الله ، ربنا لا نشرك به شيئاً . ثم ادعوا ما بدا لكم)^(٢))

٢٨ - قال رسول الله ﷺ يخاطب أمير المؤمنين علي عليه السلام : (الجنة تشتاق إليك ، وإلى عمار ، وإلى سلمان ، وأبي ذر ، والمقداد)^(٣))

(١) التعظيم والمنة ص ٣٢ .

(٢) دعوات القطب الراوندي ص ٢٠ .

(٣) الخصال ص ٢٧٥ .

٢٩ - قال رسول الله ﷺ : (علي بن أبي طالب خليفة الله وخليفتي ، وحجة الله وحجتي ، وصفي الله وصفني ، وحبيب الله وحبيبي ، وخليل الله وخليلي ، وسيف الله وسيفي ، وهو أخي وصاحبي ووزير ، محبته محبي ، ومبغضه مبغضي ، ووليه وليي ، وعدوه عدوي ، وزوجته ابنتي ، وولده ولدي ، وحره حربي ، وقوله قولي ، وأمره أمري ، وهو سيد الوصيين ، وخير أمتي)^(١)

٣٠ - قال رسول الله ﷺ لأصحابه : (أن الله قد فرض عليكم طاعتي ، ونهاكم عن معصيته ، وهو وصيي ، ووارثي ، وهو مني وأنا منه ، حبه إيمان وبغضه كفر.)^(٢)

ثانيا : ما رواه عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وهذه روايات رواها الإمام عليه السلام بسند صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام . ولاشك ان علي بن أبي طالب عليه السلام كان يستلهم علمه من رسول الله ﷺ ، فيرجع الأمر الى نفس المنبع الالهي .

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : (إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة : أخفى رضاه في طاعته ، فلا تستصغرن شيئا من طاعته فرما

(١) روضات الحنات ج ٦ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ينابيع المودة القندوزي . باب ٤١ .

وافق رضاه وأنت لا تعلم . وأخفى سخطه في معصيته ، فلا تستصغرن شيئاً من معصيته فرمما وافق سخطه وأنت لا تعلم . وأخفى إجابته في دعوته ، فلا تستصغرن شيئاً من دعائه فرمما وافق إجابته وأنت لا تعلم . وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله فرمما يكون وليه وأنت لا تعلم (١)

٢ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : (الأعمال على ثلاثة أحوال : فرائض ، وفضائل ، ومعاص . فأما الفرائض فبأمر الله ، وبرضى الله ، وبقضاء الله وتقديره ومشئته وعلمه عز وجل . [وأما الفضائل ...] (٢) ، وأما المعاصي فليست بأمر الله ، ولكن بقضاء الله ، وتقدير الله وبمشئته وعلمه ، ثم يعاقب عليها ...) (٣)

٣ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : (إنما الدهر ثلاثة أيام أنت في ما بينهن : مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبداً ، فإن كنت عملت فيه خيراً لم تحزن لذهابه ، وفرحت بما استقبلته منه ، وإن كنت قد فرطت فيه فحسرتك شديدة لذهابه ، وفرحت بما استقبلته منه ، وإن كنت قد فرطت فيه فحسرتك شديدة لذهابه ، وتفريطك فيه وأنت في يومك الذي أصبحت فيه من غد في غرة ، ولا تدري لعلك لا تبلغه ، وأن بلغته لعل حظك فيه في

(١) الخصال ص ١٩١ .

(٢) محذوقة في متن الرواية .

(٣) الخصال ص ١٥٦ .

التفريط مثل حظك في الأمس الماضي عنك ، فيوم من الثلاثة قد مضى أنت فيه مفرط.
ويوم تنتظره لست منه على يقين من ترك التفريط ، وإنما هو يومك الذي أصبحت فيه ، وقد ينبغي لك إن عقلت وفكرت في ما فرطت في الأمس الماضي مما فاتك فيه من حسنات ألا تكون اكتسبتها ، ومن سيئات ألا تكون ابتعدت عنها.

وأنت مع هذا مع استقبال غد على غير ثقة من أن تبلغه وعلى غير يقين من اكتساب حسنة أو مرتدع عن سيئة محبطة ، فأنت في يومك الذي تستقبل على مثل يومك الذي استدبرت فاعمل عمل رجل ليس يأمل من الأيام إلا يومه الذي أصبح فيه وليلته ، فاعمل أو دع ، والله المعين على ذلك (١)
٤ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : (اللهم منّ عليّ بالتوكل عليك ، والتفويض إليك ، والرضا بقدرك ، والتسليم لأمرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت يا رب العالمين) (٢)

٥ - قال أمير المؤمنين في قصة تروى : (... من اعتدل يومه فهو مغبون ، ومن كثرت همومه في الدنيا كثرت حسرته عند فراقها ، ومن كان غده شراً من يومه فمحروم ، ومن لم ييال بما يرى في آخرته

إذا

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٤٥٣.

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ٤٥٣.

سلمت له دنياه فهو هالك ، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى ، ومن كان في نقص
فالموت خير له ... إن الدنيا حقيرة ولها أهل ، وإن الآخرة لها أهل ، طلقت أنفسهم عن مناصرة أهل
الدنيا ، لا يتنافسون في الدنيا ، ولا يفرحون بغضارتها ، ولا يجزنون لبؤسها ... من خاف البيات قل
نومه ، وما أسرع الليالي والأيام في عمر العبد ، فأخزن كلامك ، وعدّ أيامك ، ولا تقل إلا بخير ، إرض
للناس ما ترضى لنفسك ، وأت إلى الناس ما تحب أن يؤتى إليك^(١).

٦ . سأل زيد بن صوحان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

أي سلطان أغلب وأقوى ؟ فأجاب الإمام عليه السلام : (الهوى .)

أي ذل أذل ؟ فأجاب عليه السلام : (الحرص على الدنيا .)

أي فقر أشد ؟ فأجاب عليه السلام : (الكفر بعد الإيمان .)

أي دعوة أضل ؟ فأجاب عليه السلام : (الداعي بما لا يكون .)

أي عمل أفضل ؟ فأجاب عليه السلام : (التقوى .)

أي عمل أنجح ؟ فأجاب عليه السلام : (طلب ما عند الله .)

أي صاحب أشر ؟ فأجاب عليه السلام : (المزين لك معصية الله .)

أي الخلق أشقى ؟ فأجاب عليه السلام : (من باع دينه بدنيا غيره .)

أي الخلق أقوى ؟ فأجاب عليه السلام : (الحكيم .)

(١) أمالي الطوسي ص ٢٧٧ .

- أي الخلق أشح؟ فأجاب عليه السلام: (من أخذ من غير حله ، فجعله في غير حقه.)
- أي الناس أكيس؟ فأجاب عليه السلام: (من أبصر رشده من غيبه.)
- من أحلم الناس؟ فأجاب عليه السلام: (الذي لا يغضب.)
- أي الناس أثبت رأيا؟ فأجاب عليه السلام: (من لم يغيره الناس من نفسه ، ولم يغيره الدنيا بشقوقها.)
- أي الناس أحمق؟ فأجاب عليه السلام: (المعتر بالدنيا ، وهو يرى ما فيها من تقلب أحوالها.)
- أي الناس أشد حسرة؟ فأجاب عليه السلام: (الذي حرم الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين.)
- أي الخلق أعمى؟ فأجاب عليه السلام: (الذي عمل لغير الله تعالى ، ويطلب بعمله الثواب من عند الله .)
- أي القنوع أفضل؟ فأجاب عليه السلام: (القانع بما أعطاه.)
- أي المصائب أشد؟ فأجاب عليه السلام: (المصيبة بالدين.)
- أي الأعمال أحب إلى الله؟ فأجاب عليه السلام: (انتظار الفرج.)
- أي الناس خير عند الله؟ فأجاب عليه السلام: (أخوفهم له ، واعملهم بالتقوى ، وأزهدهم في الدنيا.)
- أي الكلام أفضل عند الله؟ فأجاب عليه السلام: (كثرة ذكره ، والتضرع [له] ، ودعاؤه.)

أي القول أصدق؟ فأجاب عليه السلام: (شهادة أن لا إله إلا الله.)

أي الأعمال أعظم عند الله؟ فأجاب عليه السلام: (التسليم والورع.)

أي الناس أكرم؟ فأجاب عليه السلام: (من صدق في المواطن)^(١)

٧. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله عزّ وجلّ خلق خلقاً خلقاً ، وضيق الدنيا عليهم نظراً لهم ، فزهدهم فيها وفي حطامها ، فرغبوا في دار السلام الذي دعاهم إليه ، وصبروا على ضيق المعيشة ، وصبروا على المكروه ، واشتاقوا إلى ما عند الله من الكرامة وبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله ، وكان خاتمة أعمالهم الشهادة ولقوا الله وهو عنهم راض ، وعلموا أن الموت سبيل لمن مضى وبقي ، فتزودوا لآخرتهم غير الذهب والفضة ، ولبسوا الخشن ، وصبروا على أدنى القوت ، وقدموا الفضل ، وأحبوا في الله ، وابتغوا في الله عزّ وجلّ ، أولئك المصاييح وأهل النعيم في الآخرة)^(٢)

٨. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أيها الناس أتدرون من يتبع الرجل بعد موته؟) فسكتوا . فقال عليه السلام: (يتبعه الولد يتركه فيدعو له بعد موته ويستغفر له . وتتبعه الصدقة يوقفها في حياته فيتبعه أجرها بعد موته . وتتبعه السنة الصالحة يعمل بها بعدة فيتبعه أجرها ، وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء.)

(١) أمالي الطوسي ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق.

٩ . وهذه خطبة رواها الإمام زين العابدين عليه السلام وهي من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (إن الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستهديه ، وأعوذ بالله من الضلالة ، من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، انتجبه لأمره ، واختصه بالنبوة ، أكرم خلقه ، وأحبهم إليه ، فبلّغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وأدى الذي عليه .

أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خير ما توصى به عباد الله ، وأقربه لرضوان الله ، وخيره في عواقب الأمور عند الله ، وبتقوى الله أمرتم ، وللإحسان والطاعة خلقتكم . فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه ، فإنه حدّ بأسا شديداً .

واخشوا الله خشية ليست بتعذير ، واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فإن من عمل لغير الله ، وكله الله إلى ما عمل له . ومن عمل لله مخلصاً تولى الله أجره . واشفقوا من عذاب الله فإنه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قد سمى آثاركم ، وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم . فلا تغروا بالدنيا فإنها غرارة بأهلها ، مغرورون من اغتروا بها ، وإلى فناء ما هي . وإن الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا

يعلمون ، اسأل الله منازل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، ومعيشة السعداء ، فإنما نحن له وبه (١) .
١٠ . قال أمير المؤمنين عليه السلام : (النوم على أربعة أوجه : الأنبياء تنام على أفقيتها مستلقية ، وأعينها لا تنام ، متوقعة وحي الله تعالى . والمؤمن ينام على يمينه مستقبل القبلة . والملوك وأبناؤها تنام على شمائلها ليستمرؤا ما يأكلون . وإبليس وإخوانه وكل مجنون وذو عاهة ينام على وجهه منبطحا) (٢) .
أقول : نقل المحدث النوري أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام تذكر النوم مستقبل القبلة كهيئة الميت عند وضعه في القبر ، واضعاً يده اليمنى تحت خده الأيمن (٣) .

ج . فقه العبادات :

والناس زمن الإمام زين العابدين عليه السلام كانت بحاجة إلى معرفة أحكام عباداتها وعقائدها ، بسبب كثرة الإدعاءات ونسبة الأحاديث المزورة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتصدى الإمام السجاد عليه السلام لشرحها وتفصيلها . ولو أخذنا حديث الصوم الذي قاله عليه السلام لجماعة

(١) وقعة صفين ص ١٣ .

(٢) الخصال للصدوق ج ١ ص ١٢٥ .

(٣) دار السلام للنوري ج ٢ ص ٣٣ .

من علماء ذلك الزمان ، لأدركنا حجم الشمول العلمي الذي كان يتمتع به بدقائق الشريعة ومقتضياتها . فقد كان زين العابدين عليه السلام بحق مرجعاً يرجع إليه الفقهاء في شؤون الدين ، أصولاً وفروعاً . إليك هذا النموذج:

تذاكر علماء ذلك الزمان حول موضوع الصوم ، وأجمعوا على ان الصوم الواجب هو صوم شهر رمضان . فألمح الإمام عليه السلام بان هذا الجواب لا يكفي ، بل أن الأمر يحتاج إلى تفصيل ، فكان تفصيله على الوجه التالي : (الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها صومهن حرام ، وأربعة عشر وجهاً صيامهن بالخيار إن شاء صام وإن شاء فطر ، وصوم الإذن على ثلاثة أوجه ، وصوم التأديب ، وصوم الإباحة ، وصوم السفر والمرض .

أما الواجب : (١) فصيام شهر رمضان . (٢) وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً . (٣) وصيام شهرين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب قال الله تعالى... : (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْبًا فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَرِيَّةَ مُسْلِمَةٍ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا نَأَىٰ صَبَدًا فَيَا كَبَانَ مِنْ قِيَمِ عِبْدِكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ يُبَىٰ كَبَانَ مِنْ قِيَمِ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقَ فِدْيَةٍ مُسْلِمَةٍ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِّنْ بَيْنِكُمْ) ... (٤) .^(١) (وصيام شهرين

(١) سورة النساء : الآية ٩٢ .

متتابعين في كفارة الظهار ^(١) لمن لم يجد العتق ، قال الله تعالى) : (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَلِلَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * حِينَ لَمْ يَدْعُوا مِنْهُمْ مِهْرًا يُتَايَجُونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا) ... (٥). (٢) (وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد له الإطعام ، قال الله تبارك وتعالى...) : (وَلَمَّا جَاءَ مِنْكُمْ مَلَائِكَةٌ يُعَلِّمُوكُمُ الْكِتَابَ وَإِنَّكُمْ فِيهَا كَافِرُونَ) ... (٣) ، كل ذلك تتابع وليس بمفترق . (٦) وصيام أذى الحلق . حلق الرأس . واجب ، قال الله تبارك وتعالى...) : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) ... (٤) ، وصاحبها فيها بالخيار بين صوم ثلاثة أيام أو صدقة أو نسك . (٧) وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي ، قال الله تبارك وتعالى...) : (مَنْ جَاءَ بِالْمُعْرُوفَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ لَبَنٍ أَوْ مِثْلِهِ فَمَنْ يَدْعُ مِنْ يَمِينِهِ أَوْ يَدْعُ مِنْ شِمَالِهِ فَمَنْ يُدْعِ لِحَجِّهِ فَمَنْ يَدْعُ لِحَجِّهِ فَمَنْ يَدْعُ لِحَجِّهِ فَمَنْ يَدْعُ لِحَجِّهِ فَمَنْ يَدْعُ لِحَجِّهِ) ... (٥) (٨) (٥) ... وصوم جزاء الصيد واجب ، قال الله تبارك وتعالى...) : (وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مِثْلًا فَأَجْرُهُ كَانَ الَّذِي قُتِلَ مِنْكُمْ فَجَزَاءٌ مِثْلَ مَا قُتِلَ مِنْكُمْ)

(١) الظهار : أن يقول الرجل لامرأته : أنت علي كظهر أمي.

(٢) سورة المجادلة : الآية ٣ . ٤ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٨٩ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٩٦ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٦ .

النَّعْمَ يَجْزِيكُمْ بِهِ فِي أَعْلَىٰ مَنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ وَأَكْفَأَ طَعَامَ مَسْبُوكِينَ وَأَعْلَىٰ ذَلِكَ صِيَامًا (١) ...) ، [ويكون عدل ذلك صياما] تقوم الصيد قيمة ثم تفضي تلك القيمة على البر ، ثم يكال ذلك البر اصواعاً ، فيصوم لكل نصف صاع يوماً . (٩) وصوم النذر واجب . (١٠) وصوم الاعتكاف واجب .
وأما الصوم الحرام : (١١) فصوم يوم الفطر . (١٢) ويوم الأضحى . (١٣ . ١٥) وثلاثة أيام من أيام التشريق (١٦) . وصوم يوم الشك أمرنا به ونهينا عنه . أمرنا أن نصومه من شعبان ، ونهينا أن ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشك فيه الناس (٣) . (١٧) وصوم الوصال حرام (٤) . (١٨) وصوم الصمت حرام (١٩) . وصوم النذر للمعصية حرام . (٢٠) وصوم الدهر حرام .
وأما الصوم الذي صار صاحبه فيه بالخيار فصوم : (٢١) يوم الجمعة . (٢٢) والخميس . (٢٣) والاثنين . (٢٤ . ٢٦) وصوم الأيام

(١) سورة المائدة : الآية ٩٥ .

(٢) أيام التشريق هنا : هي الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة .

(٣) يحرم صيام يوم الشك إذا نوى المكلف أنه من شهر رمضان . قال الإمام السجاد عليه السلام : (ينوي ليلة الشك أنه صائم من

شعبان ، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه ، وإن كان من شعبان لم يضر) فروع الكافي ج ١ ص ١٨٥ .

(٤) صوم الوصال هو ان يصل الليل بالنهار صياما .

البيض^(١) . (٢٧ . ٣٢) وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان . (٣٣) ويوم عرفة . (٣٤) ويوم عاشوراء^(٢) . كل ذلك صاحبه فيه بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر .
وأما صوم الأذن : (٣٥) فإن المرأة لا تصوم تطوعاً إلا بأذن زوجها . (٣٦) (والعبد لا يصوم تطوعاً إلا بأذن سيده . (٣٧) والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بأذن مضيفه ، قال رسول الله ﷺ : (فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بإذنتهم) .
(38) وأما صوم التأديب فإنه يؤمر الصبي إذا راهق تأديباً ، وليس بفرض . وكذلك من أفطر لعلبة من أول النهار ثم قوي بعد ذلك ، أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض . وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم قدم أهله أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً

(١) الأيام البيض : هي الثالث عشر ، الرابع عشر ، والخامس عشر . وسميت لياليها بيضا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها (مجمع البحرين . مادة : بيض) .
(٢) اختلف الفقهاء في هذه الفقرة ، هل تجري مجرى التقية أم لا ؟ قال مصنف (الحدائق) بجمرة صوم عاشوراء ، وقال المحقق الحلبي في (الشرائع) باستحبابه ، وأقر ذلك مصنف (جواهر الكلام) . وعلى أية حال فإن روايات الحرمة ضعيفة سنداً ولا يعتد بها . وروايات الاستحباب كثيرة منها صحيحة القداح : (صيام يوم عاشوراء كفارة سنة) . ولا إشكال في حرمة صوم عاشوراء بعنوان الفرع بمقتل الحسين عليه السلام فتجري مجرى روايات الإباحة والتخيير . قال السيد الخوئي في (مستند العروة الوثقى . الصوم ج ٢ ص ٣٠٢) بكراهية صوم عاشوراء .

وليس بفرض . (٣٩) وأما صوم الإباحة ، فمن أكل أو شرب أو تقيأ من غير تعمد أباح الله ذلك وأجزأ عنه صومه.

(40) وأما صوم السفر والمرض فإن العامة اختلفت فيه . فقال قوم : يصوم . وقال قوم : لا يصوم . وقال قوم : إن شاء صام ، وإن شاء فطر . وأما نحن فنقول : يفطر في الحالين جميعا . فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء في ذلك لأن الله عز وجل يقول... : (**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَيَّ سَفَرًا فَعَلَىٰ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**)... (١).

د . في علم الكلام:

انتشرت في زمن الإمام عليّ عقائد وثنية غريبة عن الإسلام مثل تجسيم الخالق عزّ وجلّ وتشبيهه ، وعقيدة الجبر التي كانت تحيل كل ما يجري على الأمة من فساد وظلم وجور إلى الله تعالى وقضائه وإذنه ، وعقيدة الإرجاء التي كانت ترجئ أعمال الإنسان المسلم إلى الله حتى لو كفر علنا أو أذنب ذنبا يوجب خروجه عن الإسلام.

فتصدى الإمام عليّ لردّ تلك الأفكار الغريبة ، وقام بتوضيح الفكرة الدينية في توحيد الخالق عز وجلّ ، والقضاء والقدر ،

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٤ . فروع الكافي ج ١ ص ١٨٥ . والخصال ص ٥٠١ . 504

والصفات . فهو ﷺ في الوقت الذي نفى التشريك في الإلوهية ونفى التشبيه ونفى التدخل في صانعية الوجود والكون ، أستعمل ألفاظاً تدلّ على غاية التذلل والخضوع لله تعالى . فكلمات السجاد ﷺ بحق الخالق عز وجل تليق بذاته وصفاته الثبوتية الكمالية ؛ وكلماته في التوحيد تنزه الخالق عن النقص والعجز والجهل والتركيب واحتياج المكان وغير ذلك من الصفات السلبية:

١ - عندما سئل : أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟ قال الإمام زين العابدين ﷺ : (إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد . فالروح بغير جسد لا تحس ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها ، فإذا اجتمعا قويا وصلحا . كذلك العمل والقدر ، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق ، وكان القدر شيئاً لا يحس ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم.) ...

٢ - وعندما رأى جماعة يختصمون في التوحيد ، قال ﷺ لهم وهو يقرهم من معرفة الله تبارك وتعالى : (من كان ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ، كان نعته لا يشبه نعت شيء فهو ذاك) ^(١) . (إن الله يعرف بخلق سماواته وأرضه ، وهو في كل مكان) . وهو (نورٌ لا ظلام فيه ، وحياة لا موت فيه ، وصمد لا مدخل فيه).

(١) التوحيد للصدوق ص ٣٦٧ .

وكان يفرع إلى قبر جده رسول الله ﷺ ، مناجياً ربه تبارك وتعالى : (إلهي بدت قدرتك ، والتقدير على غير ما به وصفوك ، وإني بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك . ليس كمثلك شيء . إلهي ولن يدر كوك وظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك وفي خلقك يا إلهي مندوحة (١) أن يتناولوك ، بل ساووك بخلقك ومن ثم لم يعرفوك واتخذوا بعض آياتك رباً فبدلك وصفوك ، تعاليت عما به المشبهون نعتوك) (٢)

٣ - ورد عنه عليه السلام قوله : (عجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه . وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى) (٣)

٤ - وقال عليه السلام : (لا يوصف الله تعالى بالمحدودية . عظم الله ربنا عن الصفة ، وكيف يوصف بمحدودية من لا يجد ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير).

٥ - وله عليه السلام تمجيد يقول فيه : (الحمد لله الذي تجلّى للقلوب بالعظمة ، واحتجب عن الأبصار بالعرّة، واقتدر على الأشياء بالقدرة . فلا الأبصار تثبت لرؤيته ولا الأوهام تبلغ كُنّه عظمته . تجرّ

(١) المندوحة : الفسحة الواسعة.

(٢) الأرشاد للشيخ المفيد ص ٢٤٠.

(٣) صفة الصفوة ج ٢ ص ٣.

بالعظمة والكبرياء ، وتعطف بالعز والبر والجلال، وتقدس بالحسن والجمال ، وتمجد بالفخر والبهاء ،
وتجلل بالمجد والألاء ، واستخلص بالنور والضياء . خالق لا نظير له ، وأحد لا ندد له ، وواحد لا ضد له ،
وصمد لا كفؤ له ، وإله لا ثاني معه ، وفاطر لا شريك له ، ورازق لا معين له .
والأول بلا زوال ، والدائم بلا فناء ، والقائم بلا عناء ، والمؤمن بلا نهاية ، والمبدئ بلا أمد ،
والصانع بلا أحد ، والرب بلا شريك ، والفاطر بلا كلفة ، والفعال بلا عجز . ليس له حد في مكان ،
ولا غاية في زمان . لم يزل ولا يزول ولن يزال كذلك أبدا هو الإله الحي القيوم ، الدائم القادر الحكيم (١)
٦ - وفي دعائه يوم عرفة ، قال ﷺ : (... أنت الله لا إله إلا أنت الأحد المتوحد الفرد المتفرد ،
وأنت الله لا إله إلا أنت الكريم المتكرم ، العظيم المتعظم ، الكبير المتكبر . وأنت الله لا إله إلا أنت
العلي المتعال ، الشديد الخال . وأنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم العليم الحكيم . وأنت الله لا إله
إلا أنت السميع البصير القديم الخبير ، وأنت الله لا إله إلا أنت الكريم الأكرم الدائم الأديم ، وأنت الله
لا إله إلا أنت الأوَّ قبل كل أحد والآخر بعد كل عدد ، وأنت الله لا إله

(١) الصحيفة السجادية ص ٢٥٣ .

إِلَّا أَنْتَ الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ ، وَالْعَالِي فِي دُنُوِّهِ ، وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ذُو الْبَهَاءِ وَالْمَجْدِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْحَمْدِ (١)

الأفضلية في الحلم وحسن الخلق

وكان الإمام السجاد عليه السلام أعظم الناس حلماً ، وأكظمهم غيظاً في زمانه . وكان عليه السلام . على شاكلة جده المصطفى صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . على خلق عظيم . والحلم هو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة عليه (٢)

فمن آيات حلمه انه كان يتعرض إلى السب والشتيم من قبل بعض اعداء آل البيت عليهم السلام ، لكنه كان يصفح عنهم بالقول : (يا فتى إن بين أيدينا عقبة كؤوداً ، فإن جزتُ منها فلا أبالي ما تقول ، وإن أتخبر فيها فأنا شر مما تقول) (٣) ، أو كان عليه السلام يقابل الاساءة بالإحسان فيسأل المعتدي الساب : (ألك حاجة نعينك عليها ؟) (٤) ، أو كان عليه السلام يقابلها بموعظة : (إن كنا كما قلت : فنستغفر الله ،

وإن

(١) الصحيفة السجادية . دعاء (٤٧) ص ٢٠٢ .

(٢) تهذيب الاخلاق للحافظ ص ١٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٩٦ .

(٤) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٥ .

لم نكن كما قلت : فغفر الله لك) ^(١) . وقد أقرَّ ابن حجر بأن (زين العابدين كان عظيم التجاوز والعفو والصفح) ^(٢)

وقد قرأنا سابقاً ان إسماعيل بن هشام المخزومي كان يبالغ ، وقت ولايته على المدينة ، في إيذاء الإمام السجاد عليه السلام . وعندما عزله الوليد وأوعز بإيقافه للناس لاستيفاء حقوقهم منه ، عهد الإمام عليه السلام إلى أصحابه ومواليه أن لا يتعرضوا له بمكروه . بل أسرع عليه السلام إليه قائلاً : (يا ابن العم عافاك الله لقد ساءني ما صنع بك فادعنا إلى ما أحببت ...) ^(٣)

وُتسقط الجارية العارفة إبريق الضوء على وجهه فتخدشه ، فتبادره... : (**مَوْلَاظِمِينَ الْعَيْظَ**) ! ^(٤))
فيحبيها عليه السلام : (كظمت غيظي) . ثم تقول : (**مَوْلَعَايِنَ عَنِ النَّاسِ**) . (فيحبيها عليه السلام : (عفا الله عنك) . ثم تطمع فتقول : (**لِللَّهِ الْبُحْبُوحُ**) . (فيحبيها عليه السلام : (إذهبي فأنت حرة لوجه الله) ^(٥)

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٤ .

(٢) الصواعق المحرقة ص ١١٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٢٠ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣٤ . والآية هي... : (**مَوْلَاظِمِينَ الْعَيْظَ مَوْلَعَايِنَ عَنِ النَّاسِ وَلِلَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**)

(٥) تاريخ دمشق ج ٣٦ ص ١٥٥ .

وكان عليّاً باراً بجيرانه وجلسائه وأصحابه ومحبيه وأعدائه أيضاً . وكان يصيب جيرانه من صالح دعواته : (... واجعلني اللهم أحزني بالإحسان مسيئتهم ، واعرضُ بالتجاوزِ عن ظالمهم ، وأستعملُ حُسْنَ الظنِّ في كافتهم ، وأتولى بالبرِّ عامتهم ، وأغضُّ بصري عنهم عفةً ، وألينُ جانبي لهم تواضعاً ، وأرقِّ على أهل البلاء منهم رحمةً ، وأسرِّ لهم بالغيب مودةً ، وأحبُّ بقاءَ النعمة عندهم نُصحاً ، وأوجب لهم ما أوجب لحامتي ^(١) ، وأرعى لهم ما أرعى لخاصتي ...) ^(٢)

وكان عليّاً يكرم جلسائه ، ويقول : (ما جلس إلي أحد قط إلا عزّفت له فضله .) ^(٣) (وكان عليّاً يخاطب بعض مريديه في مجلسه ، ويقول : (أبلغ شيعتنا أنه لن يغني عنهم من الله شيء ، وان ولايتنا لا تنال إلا بالورع) ^(٤)

وتفد جماعة على الإمام عليّاً تزعم انها من شيعته ، فيمعن الإمام عليّاً النظر في وجوههم فلم ير عليها أثر التشيع ، فيقول عليّاً لهم : (أين السمّ في الوجوه ؟ أين أثر العبادة ؟ أين سيماء السجود ؟ إنما شيعتنا بعبادتهم وشعثهم ، قد قرحت العبادة منهم الآماق ووثرت

(١) الحامة : الأقارب .

(٢) الصحيفة السجادية . الدعاء السادس والعشرون ص ١٢١ .

(٣) بحجة المجالس للقرطبي ج ١ ص ٤٦ .

(٤) الدرّ النظيم ص ١٧٣ .

الجباه والمساجد ، خمص البطون ، ذبل الشفاه ، قد هيجت وجوههم ، وأخلق سهر الليالي وقطع الهواجر حثيثهم . المسبّحون إذا سكت الناس ، والمصلّون إذا نام الناس ، والمخزونون إذا فرح الناس ، والمخزونون إذا فرح الناس ، يعرفون بالزهد ، وشاغلهم الجنة ...^(١) . و(إني لأدعو لمذني شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة ، لأنا نصبر على ما نعلم ويصبرون على ما لا يعلمون)^(٢)

ويدخل عليه نصر بن أوس الطائي ، فيرحب به الإمام عليّ ويقول : (من أنت ؟ . فقال : من طي . فقال عليّ : (حياءك الله ، وحياء قوماً عزيت إليهم ، نعم الحي حياك) . فالتفت الطائي إلى الإمام عليّ فقال له : من أنت ؟ فقال عليّ : (علي بن الحسين) . فقال الطائي : أو لم يقتل بالعراق مع أبيه ؟ فقال الإمام عليّ : لو قتل يا بُني لم تره)^(٣) ، ولم يزد على ذلك بشيء .

وكان حسن خلقه يشمل أعداءه وظالميه . فكان عليّ يدعو لهم بالمغفرة أيضاً ، فيقول : (اللهم وأما عبد نال مني ما حظرت عليه ، وانتهك مني ما حجرت عليه ، فمضى بظلامتي ميتاً ، أو حصلت لي قبله حياً ، فاغفر له ما ألمّ به مني ، وأعف له عما أدبر به عني ، ولا

(١) صفات الشيعة.

(٢) الوافي ج ٢ ص ١٨٣ .

(٣) تاريخ دمشق ج ٣٦ ص ١٤٥ .

تقفه على ما ارتكب في ، ولا تكشفه عما اكتسب بي ، واجعل ما سمحت به من العفو عنهم ، وتبرعت به من الصدقة عليهم أركى صدقات المتصدقين وأعلى صلوات المتقربين ، وعوضني من عفوي عنهم عفوك ، ومن دعائي لهم رحمتك حتى يسعد كل واحدٍ منا بفضلك ، وينجو كل منّا بمنك (١)

ويُثقل له عَلَيْهِ السَّلَامُ : ان فلاناً ينسبك إلى الضلال والإبداع ، فيقول للناقل (: ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت كلامه إلينا ، ولا رعيت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه . ان الموت يعمنا ، والبعث محشرنا ، ويوم القيامة موعدنا ، والله يحكم فينا . إياك والغيبية فإنها ادم كلاب النار ..

(٢)

الأفضلية في الإحسان

والإحسانت هو بذل النفس ومال والجهد من أجل الغير . وإذا أدركنا أن المجتمع يحوي شرائح إجتماعية بحاجة إلى طعام وكساء وحنان ورحمة ، عرفنا موقع الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أعين الناس في النصف الثاني من القرن الأول الهجري . فعدم عدالة الدولة في

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء التاسع والثلاثون ص ١٦٣ .

(٢) الإحتجاج للطبرسي ص ١٧٢ . ومشكاة الأنوار ص ٢٩١ .

العطاء ، والعجز الجسدي والشيخوة ، واليتم ، وعدم وجود فرص للإكتساب كلها تساعد على وجود طبقة فقيرة بين الناس . فكان من الإمام عليّ أن ساهم . بقدر إستطاعته . في سد هذا النقص عبر الكرم والسخاء والبر بالفقراء والمساكين.

ولابد أن نلاحظ في هذا السياق مبادئ:

الأول : وجود طبقة فقيرة في المجتمع آنذاك ، لم تستطع أن تنهض بنفسها فتخرج من دائرة الفقر . لأن الدولة كانت مغمسة في اللهو والفساد وإضاعة مال المسلمين ، ولم تساعد تلك الطبقة على الإستثمار والعمل . ولم أجد في المصادر التاريخية ما يدعوني إلى الإعتقاد بوجود رخاء إجتماعي عام ، إلا في دائرة نخبة السلطان.

الثاني : لم تكن يد الإمام مبسوطة في الدولة حتى يستطيع معالجة الفقر معالجة جذرية . فكان البلسم الوحيد للمشكلة هو تصديه شخصيا لمساعدة الفقراء ، عبر حمل الطعام إليهم ، ومنحهم ما يكسوهم ، ويسد ديونهم.

فكان عليّ من أسخى الناس في زمانه ، وأنداهم كفاً ، وأبرّهم بالفقراء والمساكين . وكان عليّ مصداقا لقوله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ يَتَّبِعُونَ مَا نَحْنُ بِمُتَّقُونَ أُولَٰئِكَ لَآئِيٌّ عَلَيْهِمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .^(١) فكان

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

يطعم الناس ظهيرة كل يوم في داره ^(١) ، وكان يعيل سراً مائة بيت أو يزيدون في المدينة ^(٢) ، وهذا عدد كبير من البيوت إذا لحظنا مساحة المجتمع المدني في ذلك الزمان وتواضع حجم المدينة وعدم كونها عاصمة للدولة.

وكان عائلاً يبحث على صدقة السر ويقول : (إنها تطفئ غضب الرب) ^(٣) ، وكان يخرج في غلس الليل متخفياً فيوصل الفقراء بعطاياه ، فإذا سمعوه يدنو منهم قالوا : جاء صاحب الجراب ^(٤) . يبحث كان يضع الطعام الذي يوزعه على الفقراء في جراب ويحمله ، فترك أثراً على ظهره ^(٥) . ولما غسل الإمام عائلاً قبل دفنه وجد على كتفيه ذلك الأثر ^(٦) ، كما ذكرنا ذلك سابقاً.

وكان عائلاً إذا أعطى سائلاً قبله لئلا يرى عليه أثر الذل والحاجة ^(٧) ، وكان إذا قصده سائل رحب به وقال له : (مرحبا بمن)

(١) تاريخ البعقوبي ج ٣ ص ٦.

(٢) تهذيب اللغات والأسماء ص ٣٤٣.

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٥.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٨٩.

(٥) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٥.

(٦) تاريخ البعقوبي ج ٣ ص ٤٥.

(٧) الحلية ج ٣ ص ١٣٧.

يحمل زادي إلى دار الآخرة (١) . وكان يناول الطعام للفقراء ولأهل الحاجة بيده (٢) ، ويكره إجتذاذ النخل في الليل حتى لا يحرم الفقراء منه ، وكان يقول : (الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده) (٣)

ونهى عائلاً عن رد السائل ، وكان يؤكد : (أعطوا السائل ، ولا تردوه) (٤) ، و (لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه فإن اليوم يوم جمعة) (٥) ، و (ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلا أستجيب له) (٦)

قال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين (٧) . وعاش جماعة من أهل المدينة وهم لا يعلمون من أين يأتيهم معاشهم ، فلما مات علي بن الحسين

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٣ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٢ .

(٣) وسائل الشيعة ج ٦ ص ١٣٨ .

(٤) الكافي ج ٤ ص ١٥ .

(٥) دار السلام للنوري ج ٢ ص ١٤١ .

(٦) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٢٩٦ .

(٧) صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٤ .

فقدوا ما كان يؤتونه بالليل (١) . وكان عليّ شديداً التكتّم في صلّاته وهباته فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطى وجهه لئلا يعرفه (٢)

وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير ، فيقول له : إن علي بن الحسين لا يوصلني ، ويدعو عليه . فيسمع الإمام عليّ ذلك ويغضبي عنه ولا يعرفه نفسه . ولما توفي عليّ فقد الصلة ، فعلم أن الذي كان يوصله هو الإمام فكان يأتي إلى قبره باكياً معتذراً منه (٣)

وقاسم السجاد عليّ أمواله مرتين فأخذ قسماً له ، وتصدق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين (٤) أقول : وهذه سنة حسنة هنيئاً لمن يجيئها ، فمقاسمة المال بين المالك والمساكين من أعظم مصاديق الإيمان ، لأن الله تبارك وتعالى هو المالك الحقيقي ، وما نملكه نحن لا يعدو كونه وسيلة من وسائل العيش والحياة .

ولم يقتصر في إحسانه على الإطعام والإيصال ، بل كان عليّ يتصدق بثيابه ، فيلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ، ويتصدق بهما

(١) الأغاني ج ١٥ ص ٣٢٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٢ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٠ .

(٤) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٥ .

إذا جاء الشتاء^(١) ، وهو يقول : (إني لأستحي من ربي أن أكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه)^(٢) وهو عليه السلام المأثور عنه بقضاء حوائج المؤمنين وديونهم ، فما أن يعلم ان على أحد ديناً حتى يؤدي عنه ، وكان يبادر لقضاء حوائج الناس خوفاً من أن يقوم بقضائها غيره فيحرم الثواب ، وقد قال : (إن عدوي يأتيني بحاجة فأبادر إلى قضائها خوفاً من أن يسبقني أحد إليها أو يستغني عنها فتفتوتني فضيلتها.)^(٣)

فعندما يعود الإمام عليه السلام مريضاً مثل محمد بن أسامة فيشتكي أن عليه ديناً بخمسة عشر ألف دينار ، فما يكون من الإمام إلا أن يتعهد بدفعها . ولم يقم عليه السلام من مجلسه حتى دفعها له^(٤) ولكنه عليه السلام عندما لا يجد مالا في بعض الأوقات لقضاء ديون المؤمنين يتألم ويبكي ويقول : (أية محنة أو مصيبة أعظم على حر من أن يرى بأخيه المؤمن نخلة فلا يمكنه سدها)^(٥)

(١) تاريخ دمشق ج ٣٦ ص ١٦١ .

(٢) ناسخ التواريخ ج ١ ص ٦٧ .

(٣) ناسخ التواريخ ج ١ ص ١٣ .

(٤) الحلية ج ٣ ص ١٤١ .

(٥) أمالي الصدوق .

وعندما يرى إنسانا قد برأ من المرض يقول له عليه السلام : (يهنئك الطهور من الذنوب ان الله قد ذكرك فاذكره ، واقالك فاشكره)^(١)

وبالإجمال ، فان الإمام السجاد عليه السلام كان مصداقا من مصاديق رحمة الإسلام بالناس ، وقيمة أخلاقية حيّة من قيم الإسلام التي تحترم الإنسان مهما كان وضعه الإجتماعي أو الطبقي المفروض عليه.

الأفضلية في الزهد

وقد عرف في عصره أنه عليه السلام من أزهد الناس . وكان زهده يميل إلى الجانب الإدراكي العقلي منه إلى المظهر الخارجي ، وهذا أعظم انواع الزهد . أي أنه طَلَب الدنيا في عقله وأبعدها عن نفسه ، وأصبح مظهرها له قبيحا وزينتها كريهة . فالدنيا في نظره عليه السلام أمر تافه لا ينبغي الحزن على زوالها أو البكاء على فقدان متعتها.

ولذلك فلا غرابة من تأثره لبكاء ذلك السائل الفقير وتلمله ، بقوله عليه السلام : لو ان الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها.^(٢)

وشخصية كشخصية السجاد عليه السلام المتألقة في الزهد والعفاف ، لابد ان تعظ الناس وتزهدهم في الدنيا وترغبهم في أعمال الآخرة . وكان يفعل ذلك كل جمعة في مسجد رسول الله (ص)،

(١) تحف العقول ص ٦٧.

(٢) الفصول المهمة ص ١٩٢.

فيقول : (أيها الناس ، اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون ... يا بن آدم ، إن أجلك أسرع شيء إليك ، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك ، وكأن قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك إلى قبرك وحيداً ، فردّ إليك فيه روحك ، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك ... فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن الله عزّ وجلّ لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه ، ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بجمعتها ، وإنما خلق الدنيا وأهلها ليلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرتها ، وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال ، وعزّف الآيات لقوم يعقلون ، ولا قوة إلا بالله ، فازهدوا فيما زهدكم الله عز وجل فيه من عاجل الحياة الدنيا ... ولا تركزوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركون من أتخذها دار قرار ومنزل استيطان ، فإنها دار بلغة ، ومنزل قلعة ، ودار عمل ، فتزودوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيامها ، وقبل الإذن من الله في خرابها ... جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا ، الراغبين لآجل ثواب الآخرة. (1)) ...

وكان عليه السلام غالباً ما يكرر ان الزهد تلخصه أية من آيات الكتاب المجيد ، وهي : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا

عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا

(١) الكافي ج ٨ ص ٧٢ . ٧٦ .

آتَاكُمْ) (١). (...وهذا هو زهد النفس والعقل . وهو يبدأ بتمرين العقل على ترك التفكير بالملذات ، ثم تدريب الجسد على الإقتصار على الضروريات . ومعنى الآية عدم الإبتهاج بالدنيا ومكتسباتها ، وعدم الحزن والأسى بزوالها ؛ وهو أرقى أنواع الزهد.

الزهد في فكر الإمام عليّ

الزهد عند السجاد عليه السلام لا بد ان يحمل علامتين . الأولى : ان يكون للزاهد ضوابط شرعية يسير بمقتضاها . والثانية : ان الزاهد الحقيقي له مصداق رباني ، وهو حب الرحمن له.

١ . علامة الزاهدين : (إن علامة الزاهدين ، الرغبين في الآخرة ، تركهم كل خليط وخليط ، ورفضهم كل صاحب لا يريد ما يريدون . ألا وأن العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا ، الآخذ للموت أهبطه ، الحاتّ على العمل قبل فناء الأجل ، ونزول ما لا بد من لقائه ، وتقديم الحذر قبل الحين (٢) فإن الله عز وجل يقول) : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي كَلْبًا فَلَا يَأْكُلُ الْعُيُوبَ * لَعَلِّي أَعْجِبَ صَبَاحًا فِيمَا تَرَكْتُ) (٣) ، فلينزلن أحدكم اليوم نفسه في

(١) سورة الحديد : الآية ٢٣ .

(٢) الحين : الهلاك .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ٩٩ . ١٠٠ .

هذه الدنيا كمزلة المكرور إلى الدنيا ، النادم على ما فرط فيها من العمل الصالح ليوم فاقتة .
واعلموا عباد الله ، أنه من خاف البيات تجاف عن الوساد ، وامتنع عن الرقاد ، وأمسك عن بعض
الطعام والشراب ، من خوف سلطان أهل الدنيا . فكيف . ويحك يا ابن آدم . من خوف بيات سلطان
رب العزة ، وأخذة الأليم وبياته لأهل المعاصي والذنوب ، مع طوارق المنايا بالليل والنهار ، فذلك
البيات الذي ليس فيه منجى ، ولا دونه ملتجأ ولا منه مهرب . فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات
خوف أهل التقوى ، فان الله يقول ...) : (**ذَلِكَ لِمَنْ خَجَفَ مَقَامِي وَخَجَفَ وَعِيدٌ**)^(١) (فاحذروا زهرة
الحياة الدنيا وغرورها وشورورها ، وتذكروا عاقبة الميل إليها فإن زينتها فتنة ، وحجها خطيئة .
واعلم ويحك يا ابن آدم أن قسوة البطننة ، وفطرة الميلية ، وسكرة الشبع ، وعزة الملك مما يثبط وييطئ
عن العمل ، وينسي الذكر ، ويلهي عن اقتراب الأجل ، حتى كأنّ المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر
الشراب . وان العاقل عن الله ، الخائف منه ، ليمرّن نفسه ، ويعوّدها الجوع حتى ما تشتاق إلى الشبع ،
وكذلك تضمّر الخيل^(٢) لسبق الرهان .

(١) سورة إبراهيم : الآية ١٤ .

(٢) تضمير الخيل : حجبتها عن الأكل حتى تهزل لتستطيع سبق الرهان .

فاتقوا الله عباد الله تقوى مؤمل ثوابه ، وخائف عقابه ، فقد اعذر الله تعالى وانذر وشوق وخوف ، فلا أنتم إلى ما شوقكم إليه من كريم ثوابه تشاقون فتعملون ، ولا أنتم مما خوفكم من شديد عقابه وأليم عذابه ترهبون فتتكلون ، وقد نبأكم الله في كتابه أنه) (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسِعْيًاهِ رَبًّا لَهُ يَكْتِيبُونَ) .^(١) (ثم ضرب لكم الأمثال في كتابه ، وصرف الآيات لتحذروا عاجل زهرة الحياة الدنيا ، فقال) : (أَمْأَأَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .^(٢) (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا).

فاتقوا الله واتعظوا بمواعظ الله ، وما اعلم إلا كثيراً منكم قد نهكته عواقب المعاصي فما حذرنا ، واضرت بدينه فما مقتها ، أما تسمعون النداء من الله بعيها وتصغيرها حيث قال) : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَنَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَيْمَالٍ غَيِّثٌ لَعِيجٌ لَّكُفْرًا تَبْلُغُهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَاهُ مُمْصَقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ جَنَّاتٍ فِيهَا نَضْرٌ مِّن مَّاءٍ لَّا يَصْبَأُ لَهُ أَحَدٌ مِّنَ الْبَالِدِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٤ .

(٢) سورة التغابن : الآية ١٥ .

ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُ الْفُضَيْلَ الْعَظِيمَ (١) ، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا اللَّهَ
 وَيَطِئُوا سُلُوكَ الَّذِينَ يَدْعُوا لِلَّهِ لِيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ
 أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . (٢) فاتقوا الله عباد الله ، وتفكروا واعملوا لما خلقتم له ، فإن الله لم
 يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ، قد عرفكم نفسه ، وبعث إليكم رسوله ، وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله
 وحرامه ، وحججه وأمثاله . فاتقوا الله فقد أحتج عليكم ربكم فقال: (لَمْ يَخْلَقْنَاكُمْ بِلَهْوٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَسْنَا
 بِكُمْ لَهْوًا * وَهَدَيْنَاهُمُ السَّبِيلَ) . (٣) فهذه حجة عليكم ، فاتقوا الله ما استطعتم فإنه لا قوة إلا بالله ،
 ولا تتكلموا إلا عليه ، وصلى الله على محمد وآله (٤)

٢ . مصداق الزاهدين : عندما دخلت مجموعة عبّاد البصرة وزهادها مكة للحج ، وقد اشتد بالناس
 العطش لقلّة الغيث ، فزع إليهم أهل مكة يسألونهم الاستسقاء .

قال الراوي (: فأتينا الكعبة وطفنا بها ، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها ، فمنعنا الإجابة . فبينما
 نحن كذلك إذا بفتى قد أقبل ،

(١) سورة الحديد : الآية ٢٠ . ٢١ .

(٢) سورة الحشر : الآية ١٨ . ١٩ .

(٣) سورة البلد : الآية ٨ . ١٠ .

(٤) تحف العقول ص 196 . ١٩٨ .

وقد أكرته أحزانه ، وأقلقتة أشجانته ، فطاف بالكعبة أشواطاً ، ثم أقبل علينا . فقال : يا مالك بن دينار ،
ويا فلان بن فلان ، ويا...!

فقلنا : لبيك وسعديك يا فتى!

فقال : أما فيكم أحد يحبّه الرحمن ؟

فقلنا : يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة!

فقال : أبعثوا عن الكعبة ، فلو كان فيكم أحد يحبّه الرحمن لأجابه ! ثم أتى الكعبة ، فخرّ ساجداً ،
فسمعتة يقول في سجوده : (سيدي بجزك لي إلا سقيتهم الغيث .)

قال : فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب ! فسئل عنه . فقيل : هذا علي بن الحسين
عليه السلام (١)

الأفضلية في العبادة

وكان السجاد عليه السلام أفضل العباد في زمانه ، ذلك أنه كان يتفاني في عبادة مولاه العظيم وشكره على
جميل نعمه وألطافه . وكان يتسامى في وضوئه وصلاته ودعائه وتسيبته وصيامه وعتقه وحجه وإحرامه
ومناجاته في البيت الحرام ، ويقول : (إني أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلا ثوابه ، فأكون كالعبد
الطامع . إن طمع عمل ،

(١) الاحتجاج ص 316 . 317 .

وإلا لم يعمل . وأكره أن أعبده لخوف عذابه ، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل) . فسئل : بم تعبده ؟ قال **عليه السلام** : (أعبده لما هو أهله بأيديه وأنعامه) ^(١) وهذا مرآة لما قاله أمير المؤمنين **عليه السلام** : (ألهي ما عبدتك طمعا في جنتك ولا خوفاً من نارك ، وإنما وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) . وينسب للصادق **عليه السلام** هذا القول : (إن قوماً عبدوا الله عزّ وجلّ رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار) ^(٢)

ولفظ الكراهة في قوله **عليه السلام** : (إني أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلا ثوابه) ... محمول على عدم اقتران العبادة بالإخلاص التام . والكراهية لا تبطل العمل ، بل تختزل حسناته . ولاشك ان الإخلاص التام في العبادة من رتب الأولياء . فأرقى درجات العبادة هي الإخلاص الكامل له تعالى ومعرفة حقه على عباده . ولكن العباد درجات ، فإذا قصد المتعبد الطمع بالجنة أو إتقاء النار فلا ينافي ذلك من قبول العمل ، وقد ورد في الآيات والأحاديث ما يؤيد ذلك . قال تعالى ...) : (**مَدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً**) ^(٣) ، وقال أمير المؤمنين **عليه السلام** في بعض أوقافه : (هذا ما

(١) تفسير العسكري ص ١٣٢ .

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٥ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

أوصى به عبد الله على ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار) (١)
وكان إذا أراد الوضوء اصفرّ لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول
عليه السلام : (أتدرون بين يدي من أقوم ؟) (٢) . وكان عليه السلام يهئ الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام ، فإذا قام
من الليل بدأ بالسواك ثم يشرع في الوضوء ويقبل على صلاته (٣) . وكان عليه السلام يتطيب للصلاة من قارورة
عطر يضعها عند مسجد صلاته (٤) . ويلبس عليه السلام الصوف في صلاته مبالغة في إذلال نفسه أمام الله
عز وجل (٥)

وإذا قام إلى الصلاة غشي لونه لوناً آخر ، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله ، وكان يقف في
صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، وكان يصلي صلاة موعج يرى انه لا يصلي بعدها
أبداً.

(١) مرآة العقول للمجلسي ج ٢ ص ١٠١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٣٨ .

(٣) صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٣ .

(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٥٨ .

(٥) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٨ .

ومن خشوعه في صلاته أنه كان إذا سجد لا يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً^(١)، وكأنه غمس في الماء من كثرة دموعه وبكائه^(٢). ولما رأى أبو حمزة الثمالي سقوط رداءه عليه من أحد منكبيه وهو في صلاته فلم يسوه، سأله عن ذلك، فقال عليه السلام له: (ويحك أتدري بين يدي من كنت؟ إن العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه)^(٣)

ومن شدة إنشغاله به بره عز وجل ان ولدا له سقط في بئر ففزع الناس فانقذوه، وكان عليه السلام يصلي في محرابه، ولم يشعر بذلك. ولما انتهى من صلاته أخبر عن ذلك، فقال: (ما شعرت، إني كنت أناجي ربا عظيماً)^(٤)

لم يشغله شيء عن صلاته وارتباطه بالله عز وجل. يروى أن حريقاً وقع في بيته، وكان عليه السلام مشغولاً بصلاته ولم يعتن به. ولما فرغ من صلاته أخبر به، فقال: (أهتني عنها النار الكبرى)^(٥) وكان عليه السلام يقضي ما فاته من نافلة النهار بالليل، وكان يوصي أبناءه بذلك، ويقول لهم: (يا بني ليس هذا عليكم بواجب،

(١) تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٢٨٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٨.

(٣) علل الشرائع ص ٨٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٩٩.

(٥) صفوة الصفوة ج ٢ ص ٥٢.

ولكن أحب لمن عوّ نفسه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها (١) . وكان لا يدع صلاة الليل في السفر والحضر (٢)

وكان عليه السلام كثير السجود ، فعندما يسجد سجدة الشكر ، ويقول فيها مائة مرة (: الحمد لله شكرا) كان يقول بعدها : (ياذا المن الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يصحيه غيره عدداً ، وياذا المعروف الذي لا ينفذ أبداً ، يا كريم يا كريم . (٣)) ... وكانت للإمام السجاد خريطة ديباج صفراء ، فيها تربة قبر الحسين عليه السلام ، فإذا حضرت الصلاة سجد عليها (٤)

وتحكي مولاته عن صلاته وصيامه بقولها : (ما فرشت له فراشا بليل قط ولا أتيته بطعام في نهار قط) (٥) يفهم من قولها انه كان قائماً ليله ، صائماً نهاره.

ولما شاهدت عمته فاطمة بنت علي بن أبي طالب ما ناء به من الجهد والإجتهاد في العبادة خافت عليه الهلاك ، وهو بقرية السلف ومعقد الآمال . فجاءت إلى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري وهو من خواصهم وله فضل صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعله

(١) صفوة الصفوة ج ٢ ص ٥٣ .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٣) وسائل الشيعة ج ٤ ص ١٠٧٩ .

(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٧٩ ، باب ٥ ، ح ٧٥ .

(٥) علل الشرائع للصدوق ص ٨٨ .

يستطيع أن يخفف العناء عن الإمام عليه السلام . فقالت له : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لنا عليكم حقوقاً ، ومن حقنا عليكم ان إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه إجتهدا تذكرونه الله تعالى وتدعونه إلى البقيا على نفسه ، وهذا علي بن الحسين قد انخرم أنفه وثفتت جبهته وركبته وراحتاه إدآبا منه لنفسه في العبادة.

فأتى جابر باب علي بن الحسين فاستأذن ودخل على السجاد عليه السلام وهو في محرابه قد أنضتته العبادة . فنهض الإمام عليه السلام إليه وسأله عن حاله وأجلسه إلى جنبه ، فقال له جابر : يا ابن رسول الله أما علمت ان الله خلق الجنة لكم ولمن أحبكم وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك.

فقال علي بن الحسين عليه السلام : (يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما علمت أن رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلم يدع الإجتهد له وتعبد بأبي هو وأمي حتى انتفخ الساق وورم القدم . فقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (أفلا أكون عبدا شكورا) . فلما رأى جابر تصميم السجاد عليه السلام على ذلك ، قال : يا ابن رسول الله البقيا على نفسك ، فإنك لمن أسرة بهم يستدفع البلاء ويستكشف الأدواء وهم تستمطر السماء.

فقال عليّ: يا جابر لا أزال على منهاج أبوي متأسيماً بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما .
فأقبل جابر على من حضر ، وقال : (والله ما روي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف
بن يعقوب ...) (١)

وذكر الإمام الصادق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليّ: فأطراه بما هو أهله ، وقال : (والله ما
أكل من الدنيا حراماً قط ... ولم يشبهه أحد من ولده ولا أهل بيته في لباسه وفقهه وعبادة إلا علي بن
الحسين عليّ ، ولقد دخل عليه ابنه الباقر عليّ فلما رآه قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه غيره حتى أصفر
لونه من السهر ورمصت عيناه (٢) من البكاء ، وجبرت جبهته ، وانخرم أنفه من السجود ، وورمت ساقاه
من القيام في الصلاة ، فلم يملك نفسه حتى رآه بهذا الحال دون ان اجهش بالبكاء رحمة له . فالتفت
إليه أبوه بعد هنيهة وقال : يا بني اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة جدي علي بن أبي طالب
عليّ فاعطاه وقرأ شيئاً يسيراً وتركه متضجراً ، وقال : من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب (٣)

(١) أمالي الطوسي ص ٤٧ .

(٢) رمصت العين رمصاً (من باب تعب) إذا جمدت الرواشح في موقها (أي في مؤخرها) .

(٣) الأرشاد للشيخ المفيد .

ورآه أحد مردييه في مسجد الكوفة ^(١) معفراً وجهه بالتراب ويناجي ربه ، فقال له : يا ابن رسول الله ﷺ تعذب نفسك وقد فضلك الله بما فضلك . فبكى وذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ : (ان كل عين باكية يوم القيامة إلا أربعة أعين : عين بكت من خشية الله ، وعين فقئت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين ساهرة ساجدة بياهي بما الله ملائكته يقول انظروا إلى عبدي قد جاني بدنه عن المضاجع يدعوني خوفاً من عذابي وطمعا في رحمتي اشهدوا اني قد غفرت له) ^(٢)

وكان علياً يوصل شعبان بشهر رمضان ، ويقول : (صوم شهرين متتابعين) ^(٣) . ولا يتكلم في شهر رمضان إلا بالدعاء والإستغفار والتسبيح والتكبير . فإذا أفطر قال : (اللهم إن شئت أن تفعل فعلت) ^(٤)

وكان علياً يقول في آخر الوتر وهو قائم : (رب أسأت وظلمت نفسي ، وبئس ما صنعت ، وهذه يداي جزاء بما صنعت) . ثم

(١) هكذا في الرواية . ولم يعرف عنه انه ذهب إلى الكوفة عدا المرة التي أخذ فيها أسيراً إلى عبيدالله بن زياد . ويحتمل . على تقدير عدم التصحيح . ان يكون قد مر بالكوفة بعد رجوعه من الشام أيام عبد الملك .

(٢) بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٦٠ .

(٣) الوسائل ج ٢ ص ١٢٩ .

(٤) وهذا من سنخ الطاعة المطلقة لله ، لأنه ليس في مقام محاجة خصم أو دفع شبهة .

يسطهما جميعاً أمام وجهه ، ويقول : (وهذه رقبتى خاضعة لك لما أتت) . ثم يطأ رأسه ويقول : (ها أنا ذا بين يديك فخذ لنفسك الرضى من نفسي حتى ترضى ، لك العتي لا أعود لا أعود)^(١) وكان يسبح الله بهذه الكلمات : (سبحان من أشرق نوره كل ظلمة ، سبحان من قدر بقدرته كل قدرة ، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم ، فلا شيء يحجبه ، سبحان الله وبجمده) . والمعروف عند أهل العلم أن صلاته كانت تزخر بألوان التضرع والتذلل ومناجاة الله تبارك وتعالى . فلا عجب أن ينقل لنا التاريخ كماً وافراً من أدعيته عليه السلام في صلاته وصومه وحجه . ونحن إذا نقل صوراً من أدعيته البليغة ، فإننا نرمي كشف جانب من جوانب شخصيته الروحية لنستدل في النهاية على كونه أهل للإمامة الكبرى التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته عليهم السلام .

في صلاة الليل:

داوم السجاد عليه السلام على صلاة الليل ، وأفى لياليه في عبادة الله بنفس خاشعة ورقية خاضعة مثقلة بهموم الآخرة . وكان عليه السلام يدعو الله بعد صلاة الليل بأدعية جليلة تستمطر عفوه وفضله تبارك وتعالى . وهذه جملة من أدعيته بعد انتهاء صلاة الليل:

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣١١ .

١ . تمجيد ذو الملك والسلطان : (... ضلّت فيك الصفات ، وتفسخت فيك النعموت ، وحاترت في كبريائك لطائف الأوهام ، كذلك أنت الله في أوليتك ، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول ، وأنا العبد الضعيف عملاً ، الجسيم أملاً . خرجت من يدي أسباب الوصلات إلا ما وصله رحمتك ، وتقطعت عني عصم الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك . قل عندي ما أعتدّ به من طاعتك ، وكثر عليّ ما أبوء به من معصيتك ، ولن يضيق عليك عفو عن عبدك ، وإن أساء فاعف عني ..) (١)

٢ - في مقام الحياء : (اللهم إنك أمرتني فتركت ، ونهيتني فركبت ، وسهوّ لي الخطأ خاطر السوء ففترطت ، ولا أستشهد على صيامي نهاراً ، ولا أستجير بتهجدي ليلاً ، ولا تثني عليّ بإحيائها سنّة . حاشا فروضك التي من ضيّعها هلك ، ولست أتوسل إليك بفضل نافليّة ، مع كثير ما أغفلت من وظيف فروضك ، وتعديت عن مقامات حدودك إلى حرّات إنتهكتها ، وكبائر ذنوب إجترحتها كانت عافيتك لي من فضائحها سترًا ...) (٢)

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء الثاني والثلاثون ص ١٤٢ .

(٢) الصحيفة السجادية ص ١٤٤ .

٣ - في مقام الستر : (اللهم وإذ سترتني بعفوك ، وتعمدتي ^(١) بفضلك في دار الفناء ، بحضرة الأكفاء ، فأجرتني من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين ، والرسل المكرمين ، والشهداء والصالحين ، من جار كنت أكاتمته سيئاتي ^(٢) ، ومن ذي رحمٍ كنت أحتشم منه ^(٣) في سريراتي ^(٤) . ^(٥))

٤ - إنكشاف السرائر : (اللهم وقد أشرف على خفايا الأعمال علمك ، وانكشف كل مستور دون خبرك ، ولا تنطوي عنك دقائق الأمور ، ولا تعزب عنك غيبات السرائر ، وقد استحوذ عليّ عدوك الذي استنظرك ^(٦) لغوايتي فأنظرته ، واستمهلك إلى يوم الدين لإضلاي فأمهلته ، فأوقعني . وقد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة ، وكبائر أعمالٍ مردية ، حتى إذا فارقت معصيتك ، واستوجبت بسوء سعبي سخطتك ، فتل عني عذار غدره ^(٧) ، وتلقاني بكلمة كفره ^(٨))

-
- (١) تعمدتي : شملتني.
(٢) أكاتمته : أخفي عليه.
(٣) احتشم منه : استحي منه.
(٤) سريراتي : الأعمال التي أرتكبها سرا.
(٥) الصحيفة السجادية ص ١٤٥ .
(٦) يشير ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} إلى إبليس الذي طلب مهلة من الله عز وجل لغواية الإنسان حيث قال : (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (سورة الحجر : الآية ٣٦).
(٧) فتل : اصرف عني . العذار : لجام الفرس.
(٨) اشارة الى الآية الكريمة) : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَالْعَالَمِينَ) (سورة الحشر : الآية ١٦).

وتولى البراءة مني ، وأدبر مولياً عني ، فأصحريني ^(١) لغضبك فريداً ، وأخرجني إلى فناء نعمتك طريداً لا شفيحاً يشفع لي إليك ، ولا خفيراً ^(٢) يؤمني عليك ، ولا حصن يحجبي عنك ولا ملاذاً أُلجأ إليه منك . فهذا مقام العائذ بك ، ومحلل المعترف لك فلا يضيقني عني فضلك ، ولا يقصرني دوني عفوك ، ولا أكن أحييف عبادك التائبين ، ولا أفنط وفودك الآملين ، واغفر لي إنك خير الغافرين ^(٣) .

٥ . في ظلمات التكوين : (اللهم وأنت حدرتني ^(٤) ماء مهينا من صلب متضائق ^(٥) ، حرج المسالك ^(٦) إلى رحمٍ ضيقةٍ سترتها بالحجب ، تصرفني حالاً عن حال ، حتى انتهيت بي إلى تمام الصورة ، وأثبتت في الجوارح كما نعت في كتابك : ^(٧) نطفةً ، ثم علقةً ، ثم

(١) أصحريني : أظهرني.

(٢) أصحريني : المحير.

(٣) الصحيفة السجادية ص ١٤٣ .

(٤) حدرتني : انزلتني.

(٥) متضائق العظام : عظام الصلب المتداخلة.

(٦) حرج المسالك : ضيق الطريق.

(٧) اشارة إلى قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَرْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ * يَبَارِكُ لِلَّهُِ خَلْقَ الْبَالِقِينَ) (سورة المؤمنون : الآية ١٢ - ١٤ .

مضعَّةً ، ثم عظاماً ، ثم كسوت العظام لحماً ، ثم انشأتني خلقاً آخر كما شئت ، حتى إذا احتجت إلى رزقك ، ولم أستغن عن غياث فضلك ، جعلت لي قوتاً من فضل طعام ، وشراب أجرته لأمتك ^(١) التي أسكنتني جوفها ، وأودعتني قرار رحمها ، ولو تكلني يا ربّ في تلك الحالات إلى حوي ، أو تضطّرتني إلى قوتي لكان الحول عني معتزلاً ^(٢) ، ولكانت القوة مني بعيدةً ، فغدوتني بفضلك غذاء البرّ اللطيف ، تفعل ذلك بي تطوّلاً عليّ إلى غايته هذه ، لا أعدم برك ، ولا يبطئ بي حسن صنيعك ، ولا تتأكد مع ذلك ثقتي ، فأتفرّغ لما هو أحظي لي عندك ، قد ملك الشيطان عناني في سوء الظنّ وضعف اليقين ، فأنا أشكو سوء مجاورته لي ^(٣) ، وطاعة نفسي له ، واستعصمك من ملكته ، وأتضرع إليك في صرف كيده عني وأسألك في أن تسهّل لي رزقي سبيلاً . فلك الحمد على ابتدائك بالنعم الجسام ، وإلهامك الشكر على الإحسان والإنعام ، فصلّ على محمدٍ وآله وسهّل عليّ رزقي ، وأن تقنّني بتقديرك لي ، وأن ترضيني بحصتي

(١) لأمتك : يريد بها والدته.

(٢) معتزلاً : بعيداً.

(٣) الضمير في (مجاورته) يعود إلى الشيطان.

فيما قسمت لي ، وأن تجعل ما ذهب من جسمي وعمري في سبيل طاعتك ، إنك خير الرازقين)^(١) ٦ - التعوذ من ظلمات العذاب : (اللهم إني أعوذ بك من نارٍ تغلّظت بها على من عصاك ، وتوعّدت بها من صدف عن رضاك ، ومن نارٍ نورها ظلمة ، وهينها أليم ، وبعيدها قريب ، ومن نارٍ يأكل بعضها بعض ، ويصول^(٢) بعضها على بعض ، ومن نار تذر العظام رميمًا ، وتسقي أهلها حميمًا^(٣) ، ومن نارٍ لا تبقي على من تضرّع إليها ، ولا ترحم من استعطفها ، ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها واستسلم إليها ، تلقى سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال ، وشديد الوبال . وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها وحيّاتها الصالقة^(٤) بأنبيائها ، وشرابها الذي يقطع أمعاء وأفئدة سكانها ، وينزع قلوبهم وأستهديك لما باعد منها ، وأخرّ عنها.

اللهم صلّ على محمد وآله ، وأجرني منها بفضل رحمتك ، وأقلني عثراتي بحسن إقالتك ، ولا تخذلني يا خير المجيرين . إنك تقي الكريهة ، وتعطي الحسنة ، وتفعل ما تريد ، وأنت على كل شيء

(١) الصحيفة السجادية ص ١٤٥ .

(٢) يصول : يهجم .

(٣) الحميم : المعدن الذائب .

(٤) الصالقة : الضاربة .

قدير . اللهم صل على محمد وآله إذا ذكر الأبرار ، وصلّ على محمدٍ وآله ما اختلف الليل والنهار صلاة لا ينقطع مددها ، ولا يحصى عددها ، صلاةً تشحن الهواء وتملأ الأرض والسماء ، صلّى الله عليه حتى يرضى ، و صلى الله عليه وآله بعد الرضا ، صلاةً لا حدّ لها ولا منتهى ، يا أرحم الراحمين (١)

شهر رمضان:

وكان عليه السلام كثير البر في شهر رمضان حيث كان ينوح مبراته ويوزعها على أهل الحاجة والمسكنة . فيأمر بذبح شاة كل يوم ويأمر بطبخها وتوزيعها على الفقراء والأرامل والأيتام ، ولا يبقى شيئاً منه لإفطاره ، فيفطر على الخبز والتمر (٢) ، وهو أبسط طعام إذا نظرنا إلى خصوصية ذلك المكان . وكان عليه السلام يعتق العبيد ، مع أنهم كانوا يعيشون معه ويعاملهم معاملة أبنائه ، وكان يقول لهم في مقام تربيتهم : (ارفعوا أصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت ، كما أحصيت علينا ما عملناه ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها ، وتجد كل نفس ما

(١) الصحيفة السجادية ص ١٤٧ .

(٢) المحاسن ص ٣٩٦ .

عملت لديه حاضراً^(١) ، كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً ، فاعف واصفح . كما ترجو من المليك العفو ، وكما تحب أن يعفو المليك عنك ، فاعف عنا تجده عفواً ، وبك رحيماً ولك عفوراً ، ولا يظلم ربك أحداً ... كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها ، فاذا ذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل ، ويأتي بها يوم القيامة ، وكفى بالله حسيباً وشهيداً ، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح ، فإنه يقول : (... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٢) .

ثم يقول : (ربنا إنك أمرتنا ان نعفو عن ظلمنا ، وقد عفونا عن ظلمنا كما أمرت ، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين ، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوانا ، وقد أتيناك سؤلاً ومساكين ، وقد أنحنا بفنائك وببابك ، نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك ، فأمننّ بذلك علينا ولا تخيننا ، فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين) .

(١) وهو مصداق قوله تعالى : (وَنَمِّدْ لَهُمُ السَّمْعَ إِذْ يَدْعُونَ مِنْ بَهْرٍ مُخْتَصِرًا ...) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

(٢) سورة النور : الآية ٢٢ .

ثم يقبل عليهم ويقول : (قد عفوت عنكم ، فهل عفوتم عني ؟ وما كان مني من سوء ملكة ، فإنني ملك سوء لئيم ظالم ، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل ...) . وإذا كان يوم عيد الفطر أجازهم جائزة سنية تصونهم ، وتغنيهم عما في أيدي الناس ^(١)

صور من دعائه في شهر رمضان:

وكان من أدب السجاد عليه السلام مع ربه ، التهيؤ والتعبؤ لإحياء شهر رمضان الذي باركه الله تعالى بنزول القرآن . فما ان حلّ الشهر الشريف حتى تهيأ الإمام عليه السلام لإحيائه عبر الصلاة والصيام والتوسل إلى الله تعالى والتذلل ، من خلال أدعيته التي أطبقت الآفاق شهرة:

١ - عند رؤيته الهلال : (... سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك ، وألطف ما صنع في شأنك ، جعلك مفتاح شهرٍ حادثٍ لأمرٍ حادثٍ ، فاسأل الله ربي وربك وخالقي وخالقك ومقدري ومقدرك ومصوري ومصورك أن يصلي علي محمد وآله ، وأن يجعلك هلال بركة لا تقمحها الأيام ، وطهارة لا تدنّسها الأثام ، هلال أمن من الآفات ، وسلامة من السيئات ...) ^(٢)

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) الصحيفة السجادية ص ١٧٩.

٢ . معرفة فضل شهر الصيام : (اللهم صلّ على محمدٍ وآله ، وألهمنا معرفة فضله ، وإجلال حرمة والتحقّظ مما حظرت فيه ، وأعتنا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك ، واستعمالها فيه بما يرضيك حتى لا تصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا تعي يطوننا إلا ما أحللت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما مثّلت ، ولا نتكلف إلا ما يديني من ثوابك ، ولا نتعاطى إلا الذي بقي من عقابك ، ثم خلّص ذلك كلّه من رثاء المرائين ، وسمعة المستمعين ، لا نشرك فيه أحداً دونك ، ولا نبتغي فيه مراداً سواك)^(١)

٣ . معرفة الصلاة وآثارها : (اللهم صلّ على محمدٍ وآله ، وقفنا فيه على مواقيت الصلوات الخمس بحدودها التي حدّدت ، وفروضها التي فرضت ، ووظائفها التي وظّفت ، وأوقاتها التي وقيّت ، وأنزلنا فيها منزلة المصيّبين لمنزلها ، الحافظين لأركانها ، المؤدّين لها في أوقاتها ، على ما سنّه عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله في ركوعها وسجودها ، وجميع فواضلها على أتم الطهور وأسبغه وأبين الخشوع وأبلغه ، ووقّنا فيه لأن نصل أرحامنا بالبر والصلة وأن نتعاهد جيراننا بالأفضال والعطية ، وأن نخلّص أموالنا من التبعات ، وأن نظهّرنّا بإخراج الزكوات ، وأن نراجع من هاجرنا ، وأن ننصف من

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء الرابع والأربعون ص ١٨١ .

ظلمنا ، وأن نسأل من عادانا ، حاشا من عودي فيك ولك ^(١) فإنه العدو الذي لا نواليه ، والحزب الذي لا نصافيه ، وأن نتقرب إليك فيه من الأعمال الزاكية بما تطهّرنا به من الذنوب ، وتعصمنا فيه مما نستأنف من العيوب ، حتى لا يورد عليك أحد من ملائكتك إلا دون ما نورد من أبواب الطاعة لك ، وأنواع القربة إليك ^(٢))

٤ . ومن دعائه عَلَيْهِ في السحر:

أ . إلهي لا تؤدبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك ، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك ، لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك ، ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك ، يا ربّ بك عرفتك ، وأنت دلتني عليك ودعوتني إليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت ^(٣))

ب . (يا حبيب من تحبب إليك ، ويا قرة عين من لاذ بك ، وانقطع إليك ، أنت المحسن ونحن المسيئون ، فتجاوز يا ربّ عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك ، وأي جهل يا رب لا يسعه جودك ؟ وأي زمان أطول من أناتك ؟ وما قدر أعمالنا في جنب نعمك ، وكيف نستكثر

(١) ولك : أي لأجلك.

(٢) الصحيفة السجادية ص ١٨٢ .

(٣) المصباح للكفعمي .

أعمالاً تقابل بها كرمك ، بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك ، يا واسع المغفرة ، يا
باسط اليدين بالرحمة ، فوعزتك لو نهرتني ما برحت من بابك ، ولا كفتت عن تملكك لما انتهى إليّ من
المعرفة بجودك وكرمك (١)

ج . (اللهم اني كلما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك ، وناجيتك ألقيت علي
نعاسا إذ أنا صليت سريري ، وقرب من مجالس التوابين مجلسي ، عرضت لي بليّة أزالتم قدمي ، وحالت
بيني وبين خدمتك . سيدي لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحيتني ، أو لعلك رأيتني مستخفاً
بحرمتك فأقصيتني ، أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فلقيتني ، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني ،
أو لعلك رأيتني غير شاكرٍ لنعمائك فحرمتني ، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني ، أو لعلك
رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني ، أو لعلك رأيتني ألفت مجالس البطالين فبينهم خليتني ، أو
لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني ، أو لعلك بجرمي وحريرتي كافيتني ، أو لعلك بقلّة حيائي
منك جازيتني فإن عفوت يا رب فطالما عفوت

—
(١) المصدر السابق.

عن المذنبين قبلي ، لأنّ كرمك أيّ ربّ يجلّ عن مكافأة المقصّرين (١)

د . (إلهي وسيدي وعزتك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك ، ولئن أدخلتني النار لأخبرنّ أهل النار بحبي لك . إلهي وسيدي إن كنت لا تغفر إلا لأوليائك ، وأهل طاعتك فإلى من يفرغ المذنبون ، وإن كنت لا تكرم إلا أهل الوفاء بك فبمن يستغيث المسيئون . إلهي إن أدخلتني النار ففي ذلك سرور علويّ (٢) ، وإن أدخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيّك ، وأنا والله أعلم أن سرور نبيّك أحب إليك من سرور علويّ (٣))

٥ . شهر رمضان والتوبة : (أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك ، وسميته التوبة ، وجعلت على ذلك الباب دليلاً من وحيك لئلا يضلّوا عنه ، فقلت تبارك اسمك...) : (تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ كُفْرُكُمْ أَوْ يُكْفَرُوا بِكُمْ أَوْ يُكَلِّمُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلَّغْنَا رَجَائِي إِلَيْهِمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ) (١) (تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ كُفْرُكُمْ أَوْ يُكْفَرُوا بِكُمْ أَوْ يُكَلِّمُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلَّغْنَا رَجَائِي إِلَيْهِمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ) (٢) (تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ كُفْرُكُمْ أَوْ يُكْفَرُوا بِكُمْ أَوْ يُكَلِّمُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلَّغْنَا رَجَائِي إِلَيْهِمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ) (٣)

(١) المصدر السابق.

(٢) يقصد الشيطان.

(٣) مصباح الكفعمي.

شَيْءٍ قَدِيرٍ) ^(١)، فما عذر من أغفل دخول ذلك المنزل بعد فتح الباب وإقامة الدليل ، وأنت الذي زدت في السوم ^(٢) على نفسك لعبادك ، تريد ربحهم في متاجرتهم لك ، وفوزهم بالوفادة عليك ، والزيادة منك ، فقلت تبارك اسمك وتعاليت) : (بِنَجْوَى الْحَسْبِيَةِ فِي لَهْ شَبْرًا مُتَعَلِّقًا مِنْ لَوِّ اللَّذِيَّةِ بِالْأَنْزِ إِلَّا مِثْلَهَا ...) ^(٣) ، وقلت : (مِثْلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ خَبِّ أَنْبَتِ سَبْعِ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) ^(٤) (...) ، وقلت : (مَنْ ذَا الَّذِي يَحْبِي اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) ^(٥) ، وما أنزلت من نظائرهنَّ في القرآن من تضاعيف الحسنات ، وأنت الذي دللتهم بقولك من غيبك وترغيبك ، الذي فيه حظهم على ما لو سترته عنهم ، لم تدركه أبصارهم ، ولم تعه اسماعهم ، ولم تلحقه أوهامهم ، فقلت : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَشِكْرًا لِي وَلَا تَكْفُرُنَّ) ^(٦) ، وقلت ...) : (يَشْكُرْكُمْ تَزِيدَنَّهُمْ وَلِيْنَ

(١) سورة التحريم : الآية ٨ .

(٢) السوم : المجازية بين البائع والمشتري على السلعة .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

(٥) سورة الحديد الآية ١١ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

فَتَمِّمْ لِي عَبْدِي لِشَبِيدٍ (١) ، وقلت ...) : (دُعُوْنِي سَيَجِبُ كَرَمُنِي لِذَنْبِي سَيَجْزِيَنِي عَنْ عِبَادَتِي سَيُدْخِلُونِي جَهَنَّمَ مَخْرَجِينَ) (٢) ، فسميت دعاءك عبادةً وتركه استكباراً ، وتوعدت على تكره دخول جهنم داخرين (٣) فذكروك بمَنِّكَ ، وشكروك بفضلِكَ ، ودعوك بأمرِكَ ، وتصدَّقوا لك طلباً لمزيدِكَ ، وفيها كانت نجاتهم من غضبك ، وفوزهم برضاك ، ولو دلَّ مخلوقٌ مخلوقاً من نفسه على مثل الذي دللت عليه عبادك منك كان موصوفاً بالإحسان ، ومنعوتاً بالإمتثال ، ومحموداً بكلِّ لسان . فلك الحمد ما وجد في حمدك مذهب ، وما بقي للحمد لفظ تحمد به ، ومعنى ينصرف إليه ، يا من تحمَّد إلى عباده بالإحسان والفضل ، وغمرهم بالمنِّ والطَّوْلِ (٤) ما أفشى فينا نعمتك ، وأسبغ علينا منِّتك ، وأخصَّنا ببرِّك ، هديتنا لدينك الذي اصطفيت ، وملَّنتك التي ارتضيت ، وسيلك الذي سهَّلت وبصبرتنا الزلفة لديك ، والوصول إلى كرامتك (٥)

٦ - في وداع شهر رمضان : (اللهم يا من لا يرغب في الجزاء ، ولا يندم على العطاء ، ويا من لا يكافئ عبده على السواء ، منِّتك ابتداءً ،

(١) سورة إبراهيم : الآية ٧ .

(٢) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٣) داخرين : أذلاء محقرين .

(٤) المن والطول : النعمة والأحسان .

(٥) الصحيفة السجادية . الدعاء الخامس والأربعون ص ١٨٧ .

وعفوك تفضّل ، وعقوبتك عدلٌ ، وقضاؤك خيرةٌ . إن أعطيت لم تشب عطاءك بمنّ ، وإن منعت لم يكن منعك تعدياً ، تشكر من شكرك وأنت ألهمته شكرك ، وتكافئ من حمدك وأنت علّمته حمدك ، تستر على من لو شئت فضحته ، وتجوّد على من لو شئت منعته ، وكلاهما أهلٌ منك للفضيحة والمنع ، غير أنك بنيت أفعالك على التفضّل ، وأجريت قدرتك على التجاوز ، وتلقيت من عصاك بالحلم ، وأمهلّت من قصد لنفسه بالظلم ، تستنظروهم بأناتك ^(١) إلى الإنابة ، وتترك معاجلتهم إلى التوبة ، لكيلا يهلك عليك هالكهم ، ولا يشقى بنعمتك شقيهم إلا عن طول الإعذار إليه ، وبعد ترادف الحجّة عليه ، كرمًا من عفوك يا كريم ، وعائدهً من عطفك يا حلِيم ^(٢)

٧. في عيد الفطر : (... خاب الوافدون على غيرك ، وخسر المتعرضون إلا لك ، وضاع الملمّبون إلا بك ، وأجذب المنتجعون ^(٣) إلا من انتجع فضلك . بابك مفتوحٌ للراغبين ، وجودك مباحٌ للسائلين ، وإغاثتك قريبةٌ من المستغيثين ، لا يخيب منك الآملون ، ولا ييأس من عطائك المتعرّضون ولا يشقى بنقمتك المستغفرون ، رزقك مبسوطٌ لمن عصاك ، وحلمك معترضٌ لمن ناواك ، عاداتك الإحسان إلى المسيئين ، وستّتك الإبقاء على المعتدين . حتى لقد غرّتهم أناتك عن

(١) الأناة : الحلم.

(٢) الصحيفة السجادية ص ١٨٧.

(٣) المنتجعون : الذين يطلبون الماء والكلأ.

الرجوع ، وصدّهم إمهالك عن التّزوع ، وإنما تأنّيت بهم ليفيئوا إلى أمرك ، وأمهلتهم ثقةً بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلتها لها (١)

في الحج:

وكان من عادة الإمام السجاد عليه السلام أداء فريضة الحج كل عام . وأورد مصنّف العقد الفريد أنه حجّ خمسا وعشرين حجة راجلا (٢) . فإذا أراد السفر احتف به القراء والعلماء . وكانوا لا يخرجون من المدينة إلى مكة حتى يخرج عليه السلام . وكان يصل عددهم أحيانا ألف راكب ، يتعلمون عنه علوم الدين ومعارفه . وكان عليه السلام يأمر الناس بالحج ، فيقول : (حجوا واعتمروا تصح اجسادكم ، وتتسع ارزاقكم ، ويصلح إيمانكم ، وتكفوا مؤونة الناس ، ومؤونة عيالكم) (٣) ، و (الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة) (٤) ، وان (الحاج مغفور له ، وموجب له الجنة ، ومستأنف به العمل ، ومحفوظ

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء السادس والأربعون ص ١٩٨ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٣ .

(٣) وسائل الشيعة ج ٨ ص ٥ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٣٥ .

في أهله وماله (١) ، و (استبشروا بالحجاج إذا قدموا ، وصافحوهم وعظموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب) (٢)

وكان إذا قال : (لبيك اللهم لبيك) يغشى عليه ويسقط من راحلته ولا يزال تعتربه تلك الحالة حتى يقضي حجه (٣) . وإذا انتهى إلى الحجر قال : (اللهم أدخلني الجن برحمتك ، وأجرني برحمتك من النار ، وعافني من السقم ، وأوسع عليّ الرزق الحلال ، وأدرأ عني شر فسقة الجن والإنس وشر فسقة العرب والعجم. (٤)

يصوّ طاووس اليماني خشوع السجاد ﷺ ، فيقول وهو يخاطبه : رأيتك على حالة من الخشوع ، ولك ثلاثة أمور : أرجو أن تؤمنك من الخوف ، أحدها أنك ابن رسول الله ﷺ . الثاني : شفاعة جدك . الثالث : رحمة الله.

فأجابه السجاد ﷺ : (يا طاووس أما اني ابن رسول الله ﷺ فلا يؤمني وقد سمعت الله تعالى يقول ...) : (**فَبَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**) . (٥) (وأما شفاعة جدي فلا تؤمني لأن الله تعالى

(١) وسائل الشيعة ج ٨ ص ٥ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٥٥ .

(٣) نهاية الأرب ج ٢١ ص ٣٢٦ .

(٤) فروع الكافي ج ٤ ص ٤٠٧ .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ .

يقول ...) : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) . (١) (...وأما رحمة الله ، فالله يقول ...) : (نَسَّحَ بَاتِ اللَّهُ قَرِيبٍ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (٢) ، ولا أعلم أني محسن) (٣)

وكان ﷺ إذا رأى قوما يسألون الناس ويطلبون ردهم يوم عرفة ، ينكر عليهم ذلك ويقول (:
ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم ! إنه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبالى أن يكون سعيدا
(٤)

صور من دعائه في الحج:

أخذ الإمام السجاد ﷺ اسلوباً متميزاً في تأدية الفرائض ، فكان يحيط فريضته بأجواء قدسية مشحونة بالدعاء والبكاء وتذكير النفس بمشاهد يوم القيامة . وكان أداء فريضة الحج على تلك الشاكلة ، فكان ﷺ لا يقف في موقف من مواقف الحج العظيمة حتى تتناثر كلمات الشكر والتسبيح والتمجيد لله عز وجل من فمه الطاهر:

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠١ .

(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٥ .

١ - عند الحجر الأسود : (إلهي سيدي سيدي ، هاتان يداي قد مددتكما إليك بالذنوب مملؤتين وعيناي بالرجاء ممدودتين ، وحق من دعاك بالندم تذلاً أن تجييه بالكرم تفضلاً .
سيدي : من أهل الشقاء خلقتني فأطبل بكائي ؟ أم من أهل السعادة خلقتني فأبشر رجائي ؟
سيدي : ألضرب المقامع خلقت أعضائي ؟ أم لشرب الحميم خلقت أمعائي ؟
سيدي : لو أن عبدا استطاع الهرب من مولاه لكنت أول الهارين من مولاه لكني أعلم أني لا أفوتك .
سيدي : لو أن عذابي مما يزيد في ملكك سألتك الصبر عليه ، غير أني أعلم أنه لا يزيد في ملكك طاعة المطيعين ، ولا ينقص منه معصية العاصين .
سيدي : ما أنا وما خطري ؟ هب لي بفضلك ، وجللني بسترك ، واعف عن توبيخي بكرم وجهك .
إلهي وسيدي ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي ، وارحمني مصروعاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي ، وارحمني محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي ، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغررتي)^(١)

—
(١) روضة الواعظين ج ١ ص ٢٣٧ .

٢ - عند الطواف قبيل السحر : (إلهي غارت نجوم سماواتك ، وهجعت عيون أنامك ، وأبوابك مفتحات للسائلين ، جئتك لتغفر لي وترحمي ، وتريني وجه جدي محمد ﷺ ، في عرصات القيامة) . ثم بكى وخاطب الله تعالى قائلاً : (أما وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك ، ولا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن سؤلت لي نفسي ، وأعاني على ذلك سترك المرخى به عليّ ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذي ، وبجل من اعتصم إن قطعت حبلك عني ، فواسواتاه غداً من الوقوف بين يديك ، إذا قيل للمخفقين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، أمع المخفين أجوز ؟ أم مع المثقلين أحط ؟ ويلي كلما طال عمري كشرت خطاياي ولم أتب ، أما آن لي أن أستحي من ربي...)

سبحانك تعصى كأنك لا ترى ، وتحلم كأنك لم تعص ، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّ بك الحاجة إليهم ، وأنت يا سيدي الغني عنهم)^(١)

٣ - في حجر إسماعيل عليه السلام : (عبدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك)^(٢)

٤ - دعاؤه في عرفات:

(١) كشف الغمة ج 4 ص ١٥١ .

(٢) نور الأبصار ص ١٢٧ .

أ . (الحمد لله ربّ العالمين ، اللهم لك الحمد بديع السماوات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، ربّ الأرياب ، وإله كلّ مألوه ، وخالق كلّ مخلوق ، ووارث كلّ شيء ، ليس كمثله شيء ، ولا يعزب ^(١) عنه علم شيء ، وهو بكلّ شيء محيط ، وهو على كلّ شيء رقيب...)

أنت الذي قدّرت كلّ شيء تقديراً ، ويسّرت كلّ شيء تيسيراً ، ودبرت ما دونك تدبيراً . وأنت الذي لم يعنك على خلقك شريك ، ولم يؤازرك في أمرك وزير ، ولم يكن لك مشاهد ولا نظير . أنت الذي أردت فكان حتماً ما أردت ، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت ، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت . أنت الذي لا يحويك مكان ، ولم يقم لسلطانك سلطان ، ولم يعينك برهان ولا بيان ^(٢))

ب . (سبحانك من لطيف ما أطفك ^(٣) ، ورؤوف ما أرفك ، وحكيم ما أعرّفك . سبحانك من ملينك ما أمنعك ، وجواد ما أوسعك ، ورفيع ما أرفعك ، ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد . سبحانك بسطت بالخيرات يدك ، وعرفت الهداية من عندك ، فمن التمسك ^(٤) لدين أو دنيا وجدك . سبحانك خضع لك من جرى في

—
(١) لا يعزب : لا يغيب.

(٢) الصحيفة السجادية . الدعاء السابع والأربعون ص ٢٠٢ .

(٣) اللطف : الفضل على الخلق.

(٤) من التمسك : من طلبك.

علمك ^(١) ، وخشع لعظمتك ما دون عرشك ، وانقاد للتسليم لك كلّ خلقك . سبحانك لا تحس ولا تجس ولا تمس ولا تكاد ولا تماط ^(٢) ، ولا تنازع ولا تجارى ولا تمارى ^(٣) ، ولا تخادع ولا تماكر . سبحانك سبيلك جدد ^(٤) ، وأمرك رشدٌ ، وأنت حيّ صمد . سبحانك قولك حكّم ، وقضاؤك حتمٌ ، وإرادتك عزم . سبحانك لا راد لمشيّتك ، ولا مبدّل لكلماتك . سبحانك قاهر الأرباب ، باهر الآيات ، فاطر السماوات ، بارئ النسمات) ^(٥)

ج . (لك الحمد حمداً يدوم بدوامك ، ولك الحمد حمداً خالداً بنعمتك ، ولك الحمد حمداً يوازي صنعك ، ولك الحمد حمداً يزيد على رضاك ، ولك الحمد حمداً مع حمد كلّ حامد ، وشكراً يقصر عنه شكر كلّ شاکر ، حمداً لا ينبغي إلاّ لك ، ولا يتقرّب به إلاّ إليك ، حمداً يستدام به الأول ، ويستدعى به دوام الآخر ، حمداً يتضاعف على كرور الأزمنة ، ويتزايد أضعافاً مترادفةً ، حمداً يعجز عن إحصائه

(١) خضع لك من جرى في علمك : أي جميع المخلوقات خاضعة ومنقادة لك.

(٢) لا تحس : لا تدرك بالحواس . لا تجس : لا يعلم اخبارك احد . لا تمس : فالخالق عز وجل ليس بحسم فلا يمس . لا تكاد : لا يصل إليك أحد بكيد أو مكر . لا تماط : لا تزال.

(٣) لا تمارى : لا يجادلك أحد.

(٤) جدد : واضح.

(٥) الصحيفة السجادية ص ٢٠٤ .

الحفظة^(١)، ويزيد على ما أحصته في كتابك الكتبة^(٢)، حمداً يوازن عرشك المجيد، ويعادل كرسيك الرفيع، حمداً يكمل لديك ثوابه، ويستغرق كلّ جزء جزاؤه، حمداً ظاهره وفق لباطنه، وباطنه وفق لصدق النية فيه، حمداً لم يحمّدك خلقٌ مثله، ولا يعرف أحدٌ سواك فضله، حمداً يعان من اجتهد في تعديده، ويؤيّد من أغرق نزعاً في توفيته^(٣)، حمداً يجمع ما خلقت من الحمد، وينتظم ما أنت خالقه من بعد، حمداً لا حمد أقرب إلى قولك منه، ولا أحمد ممن يحمّدك به، حمداً يوجب بكرمك المزيد بوفوره، وتصله بمزيد بعد مزيد طولاً منك^(٤)، حمداً يجب لكرم وجهك، ويقابل عزّ جلالك^(٥) (د. ... رب صلّ على محمد وآله، صلاةً زاكيةً لا تكون صلاةً أزكى منها، وصلّ عليه صلاةً ناميةً لا تكون صلاةً أنمى منها، وصلّ عليه صلاةً راضيةً لا تكون صلاةً فوقها. رب صلّ على محمد وآله صلاةً ترضيه، وتزيد على رضاه، وصلّ عليه صلاةً ترضيك، وتزيد على رضاك له، وصلّ عليه صلاةً لا ترضى له إلا بها، ولا ترى غيره لها أهلاً).

(١) وهم الملائكة الكرام الذين يحفظون أعمال العباد.

(٢) وهم الملائكة الذين يكتبون أعمال الناس.

(٣) الاغراق: الاكثار. والتوفية: الوفاء.

(٤) الطول: الإحسان.

(٥) الصحيفة السجادية ص ٢٠٥.

رب صل على محمد وآله صلاة تجاوز رضوانك ^(١) ، ويتصل اتصالها ببقائك ، ولا ينفد كما لا تنفد كلماتك . رب صل على محمد وآله صلاة تنتظم صلوات ملائكتك ^(٢) وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك وتشتمل على صلوات عبادك من جنك وإنسك وأهل إجابتك ، وتجتمع على صلاة كل من ذرأت وبرأت ^(٣) من أصناف خلقك . رب صل عليه وآله صلاةً تحيط بكل صلاة سألها ومستأنفة ، وصل عليه وآله صلاة مرضيةً لك ولمن دونك ، وتنشئ مع ذلك صلوات تضاعف معها تلك الصلوات ، وتزيدها على كرور الأيام زيادة في تضاعيف لا يعدّها غيرك ^(٤))

هـ . . .) اللهم وأنا عبدك الذي أنعمت عليه قبل خلقك له ، وبعد خلقك إياه فجعلته ممن هديته لدينك ، ووفقته لحقك ، وعصمته بجللك ، وأدخلته ، في حزبك ، وأرشدته لموالات أوليائك ، ومعادات أعدائك ، ثم أمرته فلم يأتهم ، وزجرته فلم ينزجر ، ونهيتته عن معصيتك فخالف أمرك إلى نهيك ، لا معاندة لك ولا استكباراً عليك ، بل دعاه هوأه إلى ما زيلته ^(٥) وإلى ما حذّته . وأعانه على ذلك

(١) أي تجاوز القدر الذي ترضى به.

(٢) أي تكون مع صلاة ملائكتك.

(٣) ذرأت : خلقت . برأت : أنشأت.

(٤) الصحيفة السجادية ص ٢٠٧ .

(٥) زيلته : أبعده.

عليه وعوده^(١) فأقدم عليه^(٢) عارفاً بوعيدك ، راجياً لعفوك ، واثقاً بتجاوزك ، وكان أحقَّ عبادك مع ما مننت عليه ألا يفعل . وها أنا ذا بين يديك صاغراً ، ذليلاً خاضعاً خاشعاً خائفاً ، معترفاً بعظيم من الذنوب تحمّلته ، وجليل من الخطايا اجترمته^(٣) مستجيراً بصفحك ، لائذاً برحمتك ، موقناً أنه لا يجيرني منك مجيراً ، ولا يمنعني منك مانع . فعد علي بما تعود به علي من اقترف من تغمّدك ، وجد علي بما تجود به علي من ألقى بيده إليك من عفوك ، وامن علي بما لا يتعاضمك أن تمن به علي من أمّلك من غفرانك . واجعل لي في هذا اليوم نصيباً أنال به حظاً من رضوانك ، ولا تردني صفرأً مما ينقلب به المتعبّدون لك من عبادك ، وإني وإن لم أقدم ما قدموه من الصالحات ، فقد قدّمت توحيدك ونفي الأضداد والأنداد والأشباه عنك ، وأتيتك من الأبواب التي أمرت أن تؤتى منها ، وتقربت إليك بما لا يقرب به أحدٌ منك إلا بالتقرب به ، ثم أتبعك ذلك بالإنباء إليك ، والتذلل والاستكانة لك ، وحسن الظنّ بك ، والثقة بما عندك ، وشفعته برجائك الذي قلّ ما يجيب عليه راجيك ، وسألتك مسألة الحقير الدليل ، البائس الفقير ، الخائف المستجير ، ومع ذلك خيفةً وتضرعاً

(١) يقصد به الشيطان وهو عدو الله وعدو الإنسان.

(٢) أقدم عليه أي أقدم على المعصية.

(٣) اجترمته : اقترفته.

وتعوذاً وتلوذاً ، لا مستطيلاً بتكبر المتكبرين ، ولا متعالياً بدالة المطيعين ، ولا مستطيلاً بشفاعه الشافعين ، وأنا بعد أقلّ الأقلين ، وأذلّ الأذلين ، ومثل الدرة أو دونها (١) .
٥ . في عيد الأضحى:

أ . (.. أسألك اللهم بأنّ لك الملك والحمد ، لا إله إلا أنت أن تصلي على محمد وآل محمد عبدك ورسولك ، وحببيك وصفوتك وخيرتك من خلقك ، وعلى آل محمد الأبرار الطاهرين الأخيار ، صلاةً لا يقوى على إحصائها إلا أنت ، وأن تشركنا في صالح من دعاك في هذا اليوم من عبادك المؤمنين يا رب العالمين ، وأن تغفر لنا ولهم إنك على كل شيء قدير...
اللهم من تهيأ وتعبأ ، وأعدّ واستعدّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفته ونوافله وطلب نيله وجائزته ، فأليك يا مولاي كانت اليوم تهيئتي وتعبئتي ، وإعدادي واستعدادي ، رجاء عفوك ورفدك وطلب نيلك وجائزتك . اللهم فصل على محمد وآل محمد ، ولا تحيّب اليوم ذلك من رجائي ، يا من لا يجيفه (٢) سائلٌ ، ويا ينقصه نائلٌ ، فأني لم آتك ثقةً مني بعملٍ صالح قدمته ، ولا شفاعه مخلوق رجوته إلا شفاعه محمد وأهل بيته عليه وعليهم سلامك . أتيتك مقمراً بالجرم والإساءة

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء السابع والأربعون ص ٢١١ .

(٢) يا من لا يجيفه أي لا يبلغ آخر ما عنده .

إلى نفسي أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عفوت به عن الخاطئين ، ثم لا يمنعك طول عكوفهم على عظيم الجرم إن عدت عليهم بالرحمة والمغفرة . فيا من رحمته واسعة ، وعفوه عظيم ، يا عظيم يا عظيم ، يا كريم يا كريم ، صلّ على محمد وآل محمد ، وعد عليّ برحمتك ، وتعطف عليّ بفضلك ، وتوسّع عليّ بمغفرتك (١).

ب . (اللهم إن هذا المقام (٢) لخلفائك وأصفيائك ، ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اقتصصتهم بما قد ابتزّوها ، وأنت المقدرّ لذلك ، لا يغالب أمرك ، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك ، كيف شئت ، وأنى شئت ، ولما أنت أعلم به ، غير متّهم على خلقك (٣) ، ولا لإرادتك ، حتى عاد صفوتك وخلقائك مغلوبين ، مقهورين مبتزّين ، يرون حكمك مبدلاً ، وكتابك منبؤداً ، وفرائضك محرّفة عن جهات أشراعك ، وسنن نبيك متروكة...

اللهم صل على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد كصلواتك وبركاتك وتحياتك على أصفيائك إبراهيم وآل إبراهيم وعجل الفرج والروح والنصرة والتمكين والتأييد لهم (٤).

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء الثامن والأربعين ص ٢٢٤ .

(٢) يقصد به مقام صلاة العبد.

(٣) أي لا تتهم بأنك قد عملت على خلاف الحكمة.

(٤) الصحيفة السجادية ص ٢٢٦ .

ج . (اللهم واجعلني من أهل التوحيد والإيمان بك ، والتصديق برسولك ، والأئمة الذين حتمت طاعتهم ، ممن يجري ذلك ^(١) به وعلى يديه آمين رب العالمين . اللهم ليس يردّ غضبك إلاّ حلمك ، ولا يردّ سخط إلاّ عفوك ، ولا يجير من عقابك إلاّ رحمتك ، ولا ينجيني منك إلاّ التضرع إليك وبين يديك ، فصلّ على محمد وآل محمد ، وهب لنا يا إلهي من لدنك فرجاً بالقدرة التي فيها تحيي أموات العباد ، وبها تنشر ميت البلاد ، ولا تهلكني يا إلهي غمّاً حتى تستجيب لي ، وتعزّفي الإجابة في دعائي ، وأذقني طعم العافية إلى منتهى أجلي ، ولا تشمت بي عدوّي ، ولا تمكّنه من عنقي ، ولا تسلّطه عليّ .

إلهي إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني ؟ وإن وضعتني فمن ذا الذي يرفعي ؟ وإن أكرمتني فمن ذا الذي يهينني ؟ وإن أهنتني فمن ذا الذي يكرمني ؟ وإن عذبتني فمن ذا الذي يرحمني ؟ وإن أهلتكني فمن ذا الذي يعرض لك في عبدك ^(٢) أو يسألك عن أمره ؟ وقد علمت أنه ليس في حكمك ظلمٌ ، ولا في نعمتك عجلةٌ ، وإنما يعجل من يخاف الفوت ، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علواً كبيراً .

(١) المشار إليه هو النصر . فيصير القول : ذلك النصر .

(٢) أي من الذي يعترض عليك في حكمك على عبدك .

اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، ولا تجعلني للبلَاء غرضاً ، ولا لنقمتهك نصباً ، ومهّلني ونفسي (١) ، وأقلني عثرتي ولا تبليني ببلاء على أثر بلاء فقد ترى ضعفي وقلة حيلتي ، وتضرّعي إليك . أعود بك اللهم اليوم من غضبك ، فصلّ على محمد وآله ، وأعدني . وأستجير بك اليوم من سخطك ، فصلّ على محمد وآله وأجرني . وأسألك أمناً من عذابك ، فصلّ على محمد وآله وأمني . وأستهديك ، فصلّ على محمد وآله ، واهديني . وأستنصرك ، فصلّ على محمد وآله وانصرني . واسترحمك ، فصلّ على محمد وآله وارحمي . وأسترزقك ، فصل على محمد وآل محمد وارزقي . وأستعينك . فصل على محمد وآله وأعني . وأستغفرك لما سلف من ذنوبي ، فصلّ على محمد وآله واغفر لي . وأستعصمك ، فصلّ على محمد وآله واعصمني . فإني لن أعود لشيء كرهته مني إن شئت ذلك.

يا ربّ يا ربّ ، يا حنان يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، صلّ على محمد وآله واستجب لي جميع ما سألتك ، وطلبت إليك ، ورغبت فيه إليك ، وأرده وقدره ، وأفضه وأمضه ، وخر لي فيما تقضي منه ، وبارك لي في ذلك وتفضّل عليّ به ، وأسعدني بما تعطيني منه ، وزدني

(١) مهلي : أعطني المهلة . نفسي : أزل همي وكرتي.

من فضلك ، وسعة ما عندك ، فإنك واسعٌ كريمٌ ، وصل ذلك بخير الآخرة ونعيمها يا أرحم الراحمين)^(١)

الأفضلية في الإنابة

الإنابة هي الانقطاع لله عزّ وجلّ ، وهي قضية ذهنية أيضاً . ومعنى الإنقطاع الذهني هو ان يستوعب ذكر الله وتعالى ، في الدعاء والمناجاة والعبادات ، كل ذهن الإنسان وفي جميع الأوقات والأمكنة . بينما يكون الإنقطاع الجسدي مصداقاً للإنقطاع الذهني . فالجسد هو الذي يقوم بأداء العبادة ومتطلباتها ، والدعاء وألفاظه ، والسهر في الليل والعمل في النهار . وبكلمة أدقّ فإن الإنابة أخص من العبادة ، لأن العبادة يشترك بالقيام بها الواعي والغافل . فقد يصلي الإنسان وفكره شارد في موضوع دنيوي لا يرتبط بالله تبارك وتعالى . بينما تنحصر الإنابة بالتوجه الذهني والعقلي الذي يستوعب شخصية الإنسان ، وبذلك تكون الإنابة من خصوصيات أهل العلم والعرفان .

وكان السجاد عليه السلام هو أفضل من أناب إلى الله تبارك وتعالى في زمانه ، وأو كل جميع أموره إليه عز وجل . وتؤكد أدعيته وعباداته

(١) الصحيفة السجادية في ٢٢٧ .

وسلوكه . ومنتزع مثلاً رائعاً وهو أنه رأى فقيراً على باب دار مترف جبار ، فسأله عليه السلام : ما يقعه هنا . قال الفقير : البلاء . فأجابه الإمام عليه السلام : قم فأرشدك إلى بابٍ خيرٍ من بابه ، وإلى ربٍ خيرٍ لك منه) . وأخذ به عليه السلام حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : (استقبل القبلة ، وصل ركعتين ، وارفع يدك بالدعاء إلى الله تعالى وصل على نبيه ، ثم ادع بآخر سورة الحشر ، وست آيات من أول سورة الحديد ، وبالآيتين في أول سورة آل عمران ، ثم رسول الله سبحانه ، فإنك لا تسأله إلا اعطاك) ^(١)

١ . آخر سورة الحشر : ((**وَاللَّهُ لَتَمِيَّ لَهُ لَآئِلٌ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْغَيْبِ وَلَشَهَادَةٌ لَهُ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَ لِلَّهِ الْخَلْقُ الْبَلِغُ الْبَعُثُ الْمُصِيبُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** . ^(٢)

٢ - أول سورة الحديد : ((**سَبِّحْ لِلَّهِ مَا سَلَّمَ لَهَا الْأَرْضُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَ الْأَرْضُ لِلَّهِ وَالْآخِرُ وَالْأَوَّلُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ اسْتَوَى**

(١) اللجنة الواقية للكفعمي.

(٢) سورة الحشر : الآيات ٢٢ - ٢٤ .

١ - الالتجاء إلى الله : (... سبحانه نحن المضطرون الذين أوجبت إجابتهم ، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم . وأشبه الأشياء بمشيتك ، وأولى الأمور بك في عظمتك ، رحمة من استرحمك ، وغوث من استعاث بك ، فارحم تضرّعنا إليك ، وأغننا إذ طرحنا أنفسنا بين يديك . اللهم إن الشيطان قد شمت بنا إذ شايعناه على معصيتك ، فصلّ على محمد وآله ، ولا تشمته بنا بعد تركنا إياه لك ، ورغبنا عنه إليك)^(١)

٢ - الإخلاص في الإنقطاع : (اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك ، وأقبلت بكليّ عليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك^(٢) ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت أنّ طلب المحتاج إلى المحتاج سفة من رأيه ، وضلّة من عقله . فكم قد رأيت يا إلهي من أناسٍ طلبوا العزّ بغيرك فذلّوا ، فصح بمعينة أمثالهم حازم^(٣) وفقه اعتباره ، وأرشده إلى طريق صوابه باختباره . فأنت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي ، ودون كلّ مطلوب إليه وليّ حاجتي)^(٤)

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء العاشر ص ٦٢ .

(٢) إلى رفدك : إلى صلتك وعطائك .

(٣) بمعينة أمثالهم : معانتهم . ولفظ أمثال جاء للمبالغة . حازم : متقن الرأي وضابط الأمر .

(٤) الصحيفة السجادية . الدعاء الثامن والعشرون ص ١٢٩ .

٣. منتهى مطلب الحاجات : (... اللهم ولي إليك حاجةٌ قد قصّر عنها جهدي ، وتقطعت دوعها حيلي ، وسوّلت لي نفسي رفعها إلى من يرفع حوائجه إليك ، ولا يستغني في طلباته عنك ، وهي زلّة من زلل الخاطئين ، وعثرةٌ من عثرات المذنبين . ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي ، ونهضت بتوفيقك من زلّتي ، ونكصت بتسديدك عن عثرتي ، وقلت : سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجاً وأنى يرغب معدم إلى معدم ؟ فقصدتك يا إلهي بالرغبة ، وأوفدت عليك رجائي بالثقة بك ، وعلمت أن كثير ما أسألك يسيراً في وحدك ، وأن خطير ما استوهبك حقيراً في وسعك ، وأنّ كرمك لا يضيق عن سؤال أحد ، وأنّ يدك بالعطايا أعلى من كل يد.

اللهم فصلّ على محمد وآله واحملي بكرمك على التفضّل ، ولا تحملني بعدلك على الاستحقاق ، فما أنا بأول راغبٍ رغب إليك فاعطيته ، وهو يستحقّ المنع ، ولا بأول سائلٍ سألك فأفضلت عليه ، وهو يستوجب الحرمان.

اللهم صلّ على محمد وآله ، وكن لدعائي مجيباً ، ومن ندائي قريباً ، ولتضرّعي راحماً ، ولصوتي سامعاً ، ولا تبتّ^(١) سببي منك ، ولا توجّهني في حاجتي هذه وغيرها إلى سواك ، وتولّني بنجح طلبتي وقضاء حاجتي ونيل سؤالي قبل زوالي عن موقفي هذا بتيسيرك.

(١) البت : القطع.

الفصل الثالث : المعالم الإجتماعية

نناقش في هذا الفصل بعض المعالم الإجتماعية التي طبعت فترة الثلثين الأخيرين من القرن الهجري الأول ، وأهمها : الضغط السياسي على الناس ، ومشكلة الفقر والحرمات ، ومشكلة الجهل والعصبية ، والمشكلة الأخلاقية واستفحال حال الفساد والفاحشة ، ومشكلة الرق والعبودية ، والمعارضة المسلحة ضد السلطة السياسية.

السلطة السياسية

عاصر الإمام السجاد عليه السلام الدولة الأموية ابتداء من مؤسسها معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ) وحتى الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ) . ومن أجل فهم أوضح للزمن السياسي الذي عايشه السجاد عليه السلام ، نعرض باختصار لخلفاء بني أمية خلال خمسة عقود أو أكثر . وهي الفترة التي قضاهها الإمام عليه السلام تحت حكمهم:

- ١ - معاوية بن أبي سفيان : أصبح معاوية (ت ٦٠ هـ) بعد تسنمه أمانة المسلمين في الشام سنة ٢٠ هجرية من أغنى الناس وأثراهم مالا ، بعد أن كان طليقاً من طلقاء فتح مكة ، وفقيراً لا مال له يمشي حافياً تحت ركاب علقمة بن وائل الحضرمي ، كما ذكر

البيهقي في (المحاسن والمساوي) (١) . أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة ، وشهد حيننا وكان من المؤلفنة قلوبهم (٢) . أي الذين اعطوا الصدقات حتى يثبتوا على الدين.

ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان ، فلما مات يزيد استخلفه على دمشق ، فأقره عمر بن الخطاب ، ثم أقره عثمان وجمع له الشام كله ، فأقام أميراً عشرين سنة ، وخليفةً عشرين سنة أخرى . وعصى معاوية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وخرج عليه في صفين . فشق عصا المسلمين ، وخرج على أميرهم.

وكان معاوية قاسياً ، لم يتورع عن قتل المناوئين له وتعذيبهم وقطع صلتهم ببيت المال . وكان عمر بن الخطاب يقول فيه ، إذا نظر إليه : (هذا كسرى العرب) (٣) . ومن مصاديق قسوته أنه سلط بسر بن أبي أرطأة على رقاب المسلمين ، منتهكاً حرمت المؤمنين . وعهد بقتل كل من والى علياً عليه السلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وكان معاوية معروفاً بالعدو والحيانة . فخان الإمام الحسن بن علي عليه السلام عندما أعطاه ميثاقاً بالوفاء بالعهد سنة ٤١ هـ ، ولكن ما

(١) المحاسن والمساوي للبيهقي ج ١ ص ٢٩ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ١٩٥ .

أن استتب له الأمر حتى وضع ذلك العهد تحت قدميه ولم يف به . وكان يختلق على أهل الشام المختلقات ويزعم بأنه أقرب الناس إلى النبي ﷺ ، ولا وراث له سواه . وأدعى بأن علياً عليه السلام قتل الخليفة الثالث . بينما كان علي عليه السلام يدفع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام للدفاع عن عثمان . وفي النهاية غدر معاوية بالإمام الحسن بن علي عليه السلام فدس له السم ، وقتل الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه .

وفي سنة ثلاث وأربعين استخلف معاوية زياد بن أبيه ، وهي أول قضية غير فيها حكم النبي عليه الصلاة والسلام في الإسلام ، ذكره الثعالبي وغيره^(١) . فقد استلحق معاوية زياد بن أبيه ، وجعله أخيه وسماه زياد بن أبي سفيان . وكان أبو سفيان قد أنكر أنه ابنه من سمية^(٢) وبكلمة ، فقد كان حكم معاوية بالخصوص يمثل كل ما حاربه الرسول ﷺ من ظواهر جاهلية ، كابتزاز الأموال ، واستدلال الضعفاء ، واحتقار الفقراء ، واستلحاق الأدياء ، وقتل النجباء ، وترويع الأبرياء .

(١) تأريخ الخلفاء ص ١٩٦ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٧ . والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٠٣ .

ولذلك وجد بنو أمية في أئمة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم كل شروط العداء التاريخي . فزجوا الأبرياء في ظلمات السجون ، وقتلوا الأولياء والصالحين منهم . يلخص السلفي في (الطيوريات) وجه الصراع بين معاوية وعلي ، فيقولو على لسان عبد الله بن أحمد بن حنبل : (سألت أبي عن عليّ ومعاوية ، فقال : اعلم أن عليا كان كثير الأعداء [ممن قاتلهم من عرب الجاهلية] ، ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا ، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كياداً منهم له)^(١)

وبينما نرى فضل أهل البيت عليهم السلام ينتشر في الآفاق ، نجد من المسلمين من يشكك في شخصية معاوية ولياقته الإسلامية في إمرة المسلمين ، فعبد الله بن عباس يقول : (ليس في معاوية خصلة تقرّبه من الخلافة)^(٢) . وصعصعة بن صوحان العبدي يقول : (... إنما أنت طليق ، وابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أئى تصلح الخلافة لطليق؟!)^(٣) . ويصفه المغيرة بن شعبة وهو من ولاة معاوية : (بأنه [أي معاوية] أخبث الناس)^(٤) . ويصفه سمرة بن جندب حينما عزله عن ولاية

(١) تاريخ الخلفاء ص ١٩٩ .

(٢) المسعودي هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٧ .

(٣) هامش ابن الأثير ج ٦ ص ٧ .

(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٢ .

البصرة : (لعن الله معاوية ، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية لما عذبني أبدا) (١)

عاش الإمام السجاد عليه السلام حوالي عقدين من باكورة حياته ، وهو يرى معاوية يحكم بلاد المسلمين . فذاق من مرارة الظلم ما ذاقه جميع أهل البيت عليهم السلام . ورأى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يغيرها معاوية كيفما يشاء . يقول سعيد بن المسيب : أول من أحدث الأذان في العيد هو معاوية ، وأول من نقص التكبير . أخرج ابن أبي شيبة . وأول من استخلف في البيعة ، استخلفهم بالله . فلما كان عبد الملك بن مروان استخلفهم بالطلاق والعتاق . وأول من نسب من جاء بسفاح إليه ، وهو زياد بن أبيه ، خلافا للقرآن الكريم والسنة المطهرة . أحدث كل ذلك ولم يكن له التقدم في الإسلام ، ولا سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قرابة منه .

٢ - يزيد بن معاوية : ويوصي معاوية بن أبي سفيان قبل مماته لابنه يزيد (ت 64 هـ) بالخلافة . قال ابن سيرين : وفد عمرو بن حزم على معاوية ، فقال له : أذكرك الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمن تستخلف عليها . فقال : نصحت وقلت برأيك وإنه لم يبق إلا إبنى وأبناؤهم ، وإبني أحق!

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٧ .

وقال عطية بن قيس : خطب معاوية فقال : اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله
فبلغه ما أملت وأعته . وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وأنه ليس ما صنعت به أهلاً فاقبضه قبل
أن يبلغ ذلك (١)

وقد أجمع رجال المدينة الذين زاروا يزيد ، وبعد ان اعتلى عرش الخلافة وحكم الناس ، على فسقه
وشربه الخمر وامتهانه الصلاة وإيتائه المنكر وتسفيهه عقائد المسلمين . وقد وصفه المعسودي بقوله : ()
كان يبادر بلذته ، ويجاهر بمعصيته ، ويستحسن خطأه ، ويهون الأمر على نفسه في دينه إذا صحت له
دنياه. (٢)

وقام يزيد بثلاث إنجازات في أربع سنوات من حكمه ، الأولى : قتل الإمام الحسين عليه السلام سبط
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء . والثانية : إباحة مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتل صحابة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم . والثالثة : إستباحة مكة وحرق الكعبة المشرفة.

ووقائع عظيمة كواقعة كربلاء بفضاعتها ، وواقعة الحرة بوحشيتها ، وضرب الكعبة بالمنجنيق واحتراق
استارها وسقفها من شرارة نيرانهم ، أحدث هزة عنيفة في ضمير الناس . فمل يعهدوا ذلك

(١) تأريخ الخلفاء ص ٢٠٦ .

(٢) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٢٦٤ .

حتى من المشركين ، باستثناء جيش ابرهة الذي لم يصل الكعبة حتى أحرقه الله تعالى بحجارة من سجيل .
وتذكر الروايات التاريخية أمثلة عديدة من وحشيتهم . فهذا الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري لزم
بيته في المدينة ، فدخل عليه نفر من أهل الشام ، فقالوا : أيها الشيخ من أنت ؟ فقال : أنا أبو سعيد
الخدري صاحب رسول الله ﷺ ، فقالوا ما زلنا نسمع عنك . فبحظك أخذت في تركك قتالنا ،
وكفك عنا ، ولزوم بيتك ؛ ولكن أخرج إلينا ما عندك . قال : والله ما عندي مال ، فتنفوا لحيته ،
وضربوه ضربات . ثم أخذوا ما وجدوه في بيته حتى الصواع ^(١)

وجيء إلى مسلم بن عقبة ، وهو بالمدينة يقتل الناس صبراً ، بسعيد بن المسيب ، فقال له : بايع !
فقال : أبايع على سيرة أبي بكر وعمر ، فأمر بضرب عنقه . فشهد رجل أنه مجنون فخلّى سبيله . ذكره
ابن كثير عن المدائني .

وما توقف الجيش الأموي عن تلك المذابح في المدينة ومكة ، إلا بسماع موت يزيد في منتصف ربيع
الأول عام أربع وستين .

٣ - معاوية بن يزيد بن معاوية (ت ٦٤ هـ) : وجاء الخبر بموت يزيد والقتال مستمر بين جيش
عبدالله بن الزبير والجيش الأموي . فنادى ابن الزبير : يا أهل الشام إن طاعتكم قد هلك . فانفلّوا وذلّوا

(١) الإمامة والسياسة ص ٢٣٦ . الصواع : الكوز الذي يشرب به .

وتخطفهم الناس . ودعا ابن الزبير إلى بيعته نفسه ، وتسمى بالخلافة . بينما بايع أهل الشام معاوية بن يزيد .

واضطرب الأمويون بعد معاوية بن يزيد بن معاوية الذي فاجئهم بتخليه عن الخلافة ، وماجوا في الفتنة ، وهرعوا إلى معلمه فاتهموه بتعليمه محبة أهل البيت عليه السلام فدفنوه حياً ^(١) وكانت مدة خلافته أربعين يوماً ، ومات وله إحدى وعشرون سنة ، ولما احتضر قيل له : ألا تستخلف ؟ قال : ما أصبت من حلاوتها فلم أتحمل مرارتها ؟ ^(٢) وكان لهذا الشباب ستة عشر سنة عندما أدخل رأس الحسين عليه السلام وسباياه والسجاد عليه السلام على أبيه يزيد في المسجد الأموي . ولعل أثر ذلك بقي في نفسه فأبت الخلافة!

٤ . عبد الله بن الزبير (ت ٧٣ هـ) : لما مات يزيد بن معاوية ببيع له بالخلافة ، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، ولم يبق بلداً خارجاً عنه إلى الشام ومصر فإنه ببيع بهما معاوية بن يزيد ، فلم تطل مدته . فملا مات أطاع أهلها ابن الزبير وبايعوه .
ثم خرج مروان بن الحكم فغلب على الشام ثم مصر ، واستمر إلى أن مات سنة خمس وستين ، وقد عهد إلى ابنه عبد الملك .

(١) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٦٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢١١ .

واستمر ابن الزبير بمكة خليفة إلى أن تغلب عبد الملك ، فجهز لقتاله جيشاً بقيادة الحجاج في أربعين ألفاً ، فحاصره بمكة أشهراً ، ورمى عليه المنجنيق ، وخذل ابن الزبير أصحابه وتسلبوا إلى الحجاج ، فظفر به وقتله وصلبه لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين . ولم يحمل إلى رسول الله ﷺ رأس إلى المدينة قط ، ولا يوم بدر . وأول من حملت إليه الرؤوس هو يزيد بن معاوية ومن ثم عبد الله بن الزبير .

٥ . مروان بن الحكم (ت ٦٥ هـ) : قال الذهبي ان مروان بن الحكم لا يعد من أمراء المؤمنين ، بل هو باغ خارج على ابن الزبير ، ولا عهده إلى ابنه بصحيح ، وإنما صحت [في رأي الذهبي] خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير سنة ٧٣ هـ^(١) . ولقد كانت لمروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ خبيرة في الإدارة أيام الخليفة الثالث حيث استوهبه واستوهب بني أمية وآل أبي معيط أموالاً طائلة من بيت مال المسلمين .

وفي أيام مروان استخفى المؤمنون ، وكانت الشيعة تطلب في أقطار الأرض تحدر دماؤهم وأموالهم ، وأظهروا لعن أمير المؤمنين

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢١٢ .

عليّاً على منابره^(١) . وعلّوه : (بأنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك. ^(٢))
ومات مروان بن الحكم خنقاً ، قتلته زوجته أم خالد . قال ابن الأثير عطته بوسادة حتى مات قتلا ^(٣)

٦ . عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) : وجاء في سنة ٧٣ للهجرة جبار آخر في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام وهو عبد الملك بن مروان ، وهو القائل : (لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه) ^(٤) ، و (إني لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم) ^(٥) . وكان بخيلا حتى سمي بـ رشح الحجارة ^(٦) ، وعانى الناس في حكمه من الجوع والفقر والظلم .
وقد ولى على الكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي ، (فكان الحجاج لا يبصر عن سفك الدماء ، وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره ^(٧) . وكان الحجاج يفتخر قاتلا) : والله ما أعلم اليوم رجلا على

(١) إثبات الوصية للمسعودي ص ١٦٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٢٠ .

(٣) تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٦٤٧ .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢١٩ .

(٥) الذهب المسبوك للمقرئ ص ٢٩ .

(٦) تاريخ القضاة ص ٧٢ .

(٧) حياة الحيوان ج ١ ص ١٦٧ .

ظهر الأرض هو أجرأ على دم مني) (١) . فوضع سيفه على رقاب القوّء والعلماء فضلا عن بقية عباد الله.

وفي سنة أربع وسبعين سار الحجاج إلى المدينة ، وأخذ يتعنت على أهلها ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله ﷺ ، وختم على إعناقهم وأيديهم ، يذلهم بذلك . كأنس ، وجابر بن عبد الله ، وسهل بن سعد الساعدي (٢)

ويروى عن نفاق عبد الملك ومكره في رواية تاريخية لها دلالة . قال يحيى الغساني : لما نزل مسلم بن عقبة المدينة دخلت مسجد النبي عليه الصلاة والسلام ، فجلست إلى جنب عبد الملك ، فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام ، فجلست إلى عبد الملك ، فقال لي عبد الملك : أمن هذا الجيش أنت ؟ قلت : نعم . قال : ثكلتك أمك ! أتدري إلى من تسير ؟ إلى أول مولود في الإسلام (٣) ، وإلى ابن حواري النبي ﷺ ، وإلى ابن ذات النطاقين ، وإلى من حنّكه النبي ﷺ ، أما والله إن جئته نهاراً وجدته صائماً ، ولئن جئته ليلاً لتجدنه قائماً ، فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لأكبهم الله جميعاً في النار!

(١) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٦٦ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢١٥ .

(٣) يقصد عبد الله بن الزبير .

فلما صارت الخلافة إلى عبد الملك وجَّهنا مع الحجاج حتى قتلناه (١)

قال أحد الشعراء وهو يصف غدر عبد الملك بن مروان:

يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد جرّتم الغدر من أبناء مروانا
أمسوا وقد قتلوا عمرا وما رشدوا يدعون غدرا بعهد الله كيسانا
ويقتلون الرجال البزل ضاحية لكي يولوا أمور الناس ولدانا
تلاعبوا بكتاب الله فاتخّذوا هواهم في معاصي الله قرآنا

وتذكر إحدى الروايات مدى تكالب الناس على المال:

كان عمرو بن سعيد على الشام زمن إمارة عبد الله بن الزبير ، وكان له أنصار كثيرون . فاستدرجه عبد الملك إلى قصره وأمر الخلافة لم يستتب بعد ، وقتله بقطع رأسه.
وكان أصحاب عمرو بن سعد وعددهم يربو على أربعة آلاف رجل مسلّح خارج القصر ، وهم ينتظرون إذا خفت صوت عمرو عليهم ، شهروا سيوفهم على عبد الملك وأخذوا بثأر سيدهم عمرو.

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢١٧.

استشار عبد الملك حاشيته ، فأشاروا عليه : ارم الرأس المقطوع على أصحاب عمرو ، ثم ارم عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها.

وهكذا كان ، فأمر عبد الملك برأس عمرو أن يطرح إليهم من أعلى القصر ، فطرح إليهم . وطرح الدنانير ، ونثرت الدراهم . ثم هتف عليهم الهاتف ينادي : إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم ، بما كان من القضاء السابق ، والأمر النافذ . ولكم على أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه ، أن يحمل راجلكم ، ويكسو عاريكم ، ويغني فقيركم ، ويبلغكم إلى أكمل ما يكون من العطاء والرزق ... قال : فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لأمر المؤمنين^(١).

عاش الإمام السجاد عليه السلام في هذه الأجواء الإجتماعية ، بينما كان يتوارد إلى سمعه ما كتبه الحجاج إلى عبد الملك مشيرا عليه قتل علي بن الحسين عليهما السلام حتى ثبت ملكه . فيجيبه عبد الملك : (أما بعد : فجنبي دماء بني هاشم ، واحقنها . فإني رأيت آل أبي سفيان لما ولغوا فيها لم يلبثوا أن أزال الله عنهم الملك) . ولكن عبد الملك ولغ في دماء المؤمنين بالواسطة . فكان الحجاج يده اليمنى التي يقطع بها رؤوس الأبرياء . وما عسى أن يفعل السجاد عليه السلام ، وهو يرى ماكنة القتل والقطع تدور ليل نهار ، غير التوسل بالله عز وجل بالانتقام.

(١) الإمامة السياسة ج ٢ ص ٣٣ - ٣٥.

المعارضة اللفظية:

ومع صرامة سيف عبد الملك ، إلا ان التأريخ ينقل لنا بعض المواجهات اللفظية التي وقعت آنذاك . وهي تعكس بمحملها صورة من صور وعي الناس لحقيقة أمر الخلافة واغتصابها من أهلها . ولكن الخوف الذي لجم الأفواه وقطع الألسن . كان هو المسيطر على الجو العام للمجتمع . وكانت الناس تستلهم من وجود الإمام زين العابدين عليه السلام ما يجعلها تتجرأ على عبد الملك بن مروان ونحوه من الخلفاء . ومن تلك المواجهات اللفظية:

يحدث أبو حمزة الثمالي أن رجلاً قد سمع عبد الملك يخطب بمكة ، فلما صار إلى موضع العظة من خطبته قام إليه ، وقال : (مهلاً إنكم تأمرون ولا تأمرون ، وتنهون ولا تنتهون ، وتعظون ولا تتعظون . أفاقتداء بسيرتكم أم طاعة لأمركم ؟ فإن قلتم إقتداء بسيرتنا ، فكيف يقتدى بسيرة الظالمين؟! وما الحجة في اتباع المجرمين الذين اتخذوا مال الله دولاً وجعلوا عباد الله حولا؟! وإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحننا ! فكيف ينصح غيره من لم ينصح نفسه ؟ أم كيف يجب طاعة من لم تثبت له عدالة ؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها . فلعل فينا من هو أفصح بصنوف العظات ، وأعرف بوجوه اللغات ، فتزحزحوا عنها ، واطلقوا قفالهها ، واخلو سبيلها ،

يتتدب لها التي شردتموهم في البلاد ونقلتموهم عن مستقرهم إلى كل واد . فوالله ما قلدناكم أزمة أمورنا وحكمناكم في أموالنا وأبداننا لتسيروا بسيرة الجبارين . غير انا بصراء بانفسنا باستيفاء المدة ، وبلوغ الغاية وتمام المحنة ، ولكل قائم منكم يوم ، لا يعدوه كتاب لا بد ان يتلوه ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . (فقام إليه أصحاب المسالح ^(١) ، وقبضوا عليه ، فكان آخر عهدنا به ^(٢))

ويحدث الشيخ الديلمي : ان رجلا قال لعبد الله الخليفة : أناظرك وأنا آمن ؟ قال : نعم .

فقال له : اخبرني عن هذا الأمر الذي صار إليك بنص من الله ورسوله ﷺ ؟ قال : لا .

فقال : اجتمعت الأمة وتراضوا بك ؟ قال : لا .

فقال : كانت لك بيعة في اعناقهم فوفوا بها ؟ قال : لا .

فقال : اختارك أهل الشورى ؟ قال : لا .

فقال : أليس قد قهرتهم على أمرهم واستأثرت بفيئهم دونهم ؟ قال : بلى .

(١) أي الشرطة .

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩٧ .

فقال : بأي شيء سميت أمير المؤمنين ولم يؤمرك الله ورسوله ﷺ ولا المسلمون ؟

فقال له عبد الملك : أخرج عن بلادي وإلا قتلتك!

فقال الرجل : ليس هذا جواب أهل العدل والإنصاف ^(١)

٧ - الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ) : وقبل هلاكه عهد عبد الملك بالخلافة إلى ولده الوليد

وأوصاه بالحجاج خيراً ، فقال : (وانظر الحجاج فأكرمه ، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا

وليد ، ويدك على من ناوك ، فلا تسمعن فيه قول أحد ، وأنت إليه أحوج منه إليك . وادع الناس إذا

مت إلى البيعة فمن قال برأسه هكذا ، فقل بسيفك هكذا) ^(٢)

ويمكنك مقارنة هذه الوصية بوصية الإمام زين العابدين عليه السلام لابنه الباقر عليه السلام : يا بني أياك وظلم

من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله ^(٣) . ووصايا الرسل عليه السلام وانباء الأنبياء عليه السلام من سنخ واحد شريف .

ووصايا الملوك والسلاطين من سنخ مضاد.

الخلاصة : ان نظام الحكم الأموي الذي عايشه السجاد عليه السلام كان بعيدا عن رحمة الإسلام ومبادئه

في العدالة والإنصاف . كان نظاما

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩٧ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٠ .

(٣) بحار الأنوار ج ١١ ص ٤٤ .

دموياً يسفك الدماء ، وينتهك الأعراض ، ويبتز الأموال . فجعل الناس تعيش في رعب دائم . فلا سلطة قضائية عادلة يؤمل منها ان تحقق الحد الأدنى من العدل ، ولا حرية عبادة يستطيع الإنسان فيها أن يختار إمامه الشرعي أو مذهبه الذي يتعبد به ، ولا فسحة لنقد السلطان وتقويمه عندما يكون الإنحراف عن المبادئ أسطع من الشمس في رابعة النهار.

فبقيت السلطة الروحية متمثلة بالإمام زين العابدين عليه السلام تراقب الوضع العام وتحاكمه بالقدر الممكن ، وترعى الضعفاء والفقهاء والمحرومين بالمقدار المتيسر . ولم يكن من علاج للجبروت السياسي غير التوجه إلى الله عز وجل بالصلاة والدعاء وإشاعة تلك الثقافة الدينية التي تذلل النفس البشرية لله تعالى لا لغيره.

فعندما كان الإمام السجاد عليه السلام يسمع قول الوليد بن يزيد وهو يصور طغيان الأمويين وجبروتهم:
فدع عنك أذكارك آل سعدى فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسرا نسومهم المذلّة والنكالا
ونوردهم حياض الخسف ذلا وما نألوهم إلا خبالا
يردهم عليه السلام . وهو في محراب عبادته . ويلسان حال يقول:

(اللهم ... وأجل من أسباب الحلال أرزاقِي ، ووجه في أبواب البرّ إنفاقي ، وازو عني من المال ما يحدث لي مخيلةً أو تأدياً إلى بغي ، أو ما أتعب منه طغيانا . اللهم حبّب إليّ صحبة الفقراء ، وأعني على صحبتهم بحسن الصّبر ، وما زويت عنيّ من متاع الدّنيا الفانية فاذخره لي في خزائنك الباقية ، واجعل ما حولتني من حطامها ، وعجّلت لي من متاعها بلغةً إلى جوارك ، ووصله إلى قربك ، وذريعةً إلى جنّتك إنك ذو الفضل العظيم ، وأنت الجواد الكريم)^(١)

وكان عليه السلام يتعوذ من دولة السلطان الظالمة ، فيقول : (إن للحمق دولة على العقل ، وللمنكر دولة على المعروف ، وللشر دولة على الخير ، وللجهل دولة على الحلم ، وللجزع دولة على الصبر ، وللخرق دولة على الرفق ، ولللبؤس دولة على الخصب ، وللشدة دولة على الرخاء ، وللرغبة دولة على الزهد ، وللبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف ، وللأرض السبخة دولة على الأرض الخصبية . فنعوذ بالله من تلك الدول ، ومن الحياة في النقمات)^(٢)

(١) الصحيفة السجادية دعاء (٣٠) ص ١٣٤ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٥٥ .

وهذا التعوذ من غلبة أهل الجور والظلم (الدولة) واستيلائهم على مقدرات الناس ، هو تعوذٌ من الشر الذي يجلبه الإستيلاء ، وهو مصداق لقوله تعالى : ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)) (١)

تحليل لموقف الإمام زين العابدين عليه السلام:

بقي الإمام عليه السلام معارضاً للسلطة الأموية طول حياته ، لأنه رأى فيها من الظلم والتحرير والقهر ما لا يطاق . وجاهد بكل ما يستطيع . وبلحاظ دقة الزمان . في إبقاء صوت الإسلام مسموعاً وقويماً عند عامة الناس . وحول موقفه هذا نقرأ مجموعة من الأفكار:

١ - ان السياسة الأموية التي وضع معاوية بن أبي سفيان خطوطها الأولى كانت وراء الكثير من الأزمات السياسية والإقتصادية ، التي دفعت بالمسلمين إلى الخوف ومن ثم التملق إلى الحاكم ، وهبطت بالناس إلى حدود الضيق والإنحطاط والفقر . فكان الإمام السجاد عليه السلام يعارض تلك السياسة بأساليب متنوعة ، منها : خطابه إلى الناس في الكوفة والشام والمدينة . ومنها : رسائله إلى عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك ، وإلى شيعته ومحبيه ، وإلى علماء البلاط كالزهرى واشباهه . ومنها : اشارته إلى محمد بن الحنفية ، والمختار ، وابن الزبير . ومنها : سلوكه العام الذي رفض فيه الظلم الذي كان

(١) سورة الفلق : الآية ١ - ٢ .

يمارسه الحاكم ، وتوجه بدعائه وخطابه إلى أعدل العادلين بل العدل المطلق وهو الله سبحانه يبتغي كرمه وجوده.

وبذلك كان السجاد عليه السلام يمثل الأمل في الصراع بين الحق والباطل ، والمرجع العادل الذي ترجع إليه الأمة وقت الأزمات.

٢ . ان القهر السياسي الذي عانى منه أهل العراق والحجاز وبقية مناطق المسلمين ، جعل الناس تميل بدرجات متزايدة صوب أئمة أهل البيت عليهم السلام . خصوصا عندما وجدوا انفتاح السجاد عليه السلام على النادمين وأهل التوبة والاستغفار . فقد كانت بابه عليه السلام مفتوحة للجميع . ولم يفلت من ذلك إلا الشقي كعبد الله بن الزبير ، الذي لم يستظل بشمس علوم آل البيت عليهم السلام ولم ينل تقديرهم ولا حبهم.

٣ - ان فشل السياسة الأموية في احتواء الأزمات الداخلية ، وضرهم رموز الإسلام كعلي بن أبي طالب عليه السلام وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهما السلام بمنتهى العنف والقسوة عجل زوال ملكهم الذي قام على الظلم واغتصاب الخلافة من أهلها . فولد ذلك موجة عامة من الرفض القلبي لبني أمية ومن والاهم . وما تولي عبد الله بن حنظلة (من الأوس) في المدينة ، والمختار في الكوفة ، وابن الزبير في مكة ، إلا مظهراً من مظاهر ذلك الرفض ، مع اختلاف أهداف هؤلاء وطموحاتهم الشخصية تجاه الإسلام وأهل البيت عليهم السلام والأمة على نطاقها الواسع.

٤ - ان خروج عبد الله بن الزبير منتصراً ، بعد موت يزيد بن معاوية ، من هزيمة عسكرية محققة ، أوضح بأن السياسة أمر متقلب لا يمكن الركون إليها . خصوصاً وان أطراف الصراع لا دين لها غير السيف والغدر وامتيازات السلطة.

فهذا مصعب بن الزبير يقتل ، وبإيحاء من أخيه عبد الله ، من شيعة الكوفة نحواً من ثمانية آلاف صبوا^(١) . وعندما يقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ومعه من سالم وخضع له من رؤساء العراق ووجههم ويطلب لهم مالاً وجوائز ، يصرفه عبد الله بن الزبير . ويعلن بأنه يريد رجالاً مطيعين كأهل الشام . ولكن أهل الشام لم يكتبوا أي مودة لابن الزبير . بل كان حبه وطاعتهم تتجه صوب عبد الملك بن مروان.

وهكذا السياسة : مالٌ ودنيا ، وولاءٌ ودنانير . فكان ثبوت موقف السجاد عليه السلام وشموله مساحات دينية وإجتماعية مثل العبادات ، ومساعدة الناس ، والإشارات السياسية في الموعظة والأدب ، قد حفظ ما تبقى من رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الظروف العصيبة التي مرّ بها الإسلام.

٥ - كان للمال دور حاسم في تعيين الإتجاهات وتشخيص الولاءات . وكانت بنو أمية تشري ذمم الناس بالدرهم والدنانير . وفي وضع

(١) الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٣٢.

كهذا كان الإمام السجاد عليه السلام يشيع الدعاء بدل الدراهم ، وذكر الله تعالى وتمجيده بدل الدنانير عسى أن يهتدي من أراد الله هدايته.

مشكلة الفقر

مشكلة الفقر مشكلة إجتماعية خطيرة ، وقد عاجلها الإسلام عبر تنشيط بيت المال في فرض الصدقات الواجبة على الأغنياء وتشجيع العمل والإستثمار وربط ملكية الأرض بإحيائها ، وحث الناس على الإحسان وصلة الرحم والإطعام والإكساء ونحوها.

لم يهتم خلفاء بني أمية بالفقراء ولم يعالجوا مشكلة الفقر أصلا . ولذلك استفحلت المشكلة خصوصاً مع سياسة معاوية التفضيلية لبعض دون آخر ، وبجمل عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وعبد الله بن الزبير . وقد بدد الأمويون بيت المال على ملذاتهم وعلى أهل الغناء واللهو والفاحشة .

جملة من المفارقات:

وهنا مفارقات ثلاث تكشف لنا صورة الوضع الإجتماعي زمن السجاد عليه السلام

١ . المفارقة الأولى : وهي تقارن بين تبذير معاوية لأموال المسلمين من بيت المال على أمر لا يتعدى اللهو ، وبين صورة شعرية لفقير يطلب مالاً من أحد المحسنين .

ففي (الطيوريات) عن سليمان المخزومي قال : أذن معاوية للناس إذنا عاما ، فلما احتفل المجلس ، قال : أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائمٌ بمعناه ، بثلاثمائة ألف [دينار] .
فقام أحدهم ، فأنشده للأفوه الأودي:

بلوت الناس قرنا بعد قرن فلم أر غير ختّال وقّال

قال : صدق ، هيه ؛ قال:

ولم أر في الخطوب أشد وقعاً وأصعب من معاداة الرجال

قال : صدق ، هيه ؛ قال:

وذقت مرارة الأشياء طهر فما طعم أمر من السؤال

قال : صدق ؛ ثم أمر له بثلاثمائة ألف ^(١) .

بينما يصور أحد الشعراء الفقراء من بني أسد ^(٢) حالة البؤس المعاشي عندما يمتدح أحد وجهاء الكوفة طالبا منه أن يسعفه بمعرفه:

يا أبا طلحة الجواد أغثنني بسجال من سبيك المعتوم

أو تطوع لنا بسلف دقيق أجره إن فعلت عظيم

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٣ .

(٢) حياة الحيوان للحافظ ج ٥ ص ٢٩٧ . ٢٩٨ .

قد علمتم . فلا تقاعس عني ما قضى الله في طعام اليتيم
ليس لي غير جرة واصيص وكتاب منمنم كالوشيم
وكساء أبيععه برغيف قد رقعنا خروقه بأديم
وأكف أعارنيته نشيط ولحاف لكل ضيف كريم

٢ . المفارقة الثانية : وهي تقارن بين تبذير عبد الملك أموال المسلمين من بيت المال وبين حرص أهل البيت عليه السلام على أموال المسلمين:

قال أبو عبيدة : لما أنشد الأخطل قصيدته لعبد الملك التي يقول فيها:
شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا
قال عبد الملك : خذ بيده يا غلام فأخرجه ، ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره ، ثم قال : إن لكل قوم
شاعراً ، وشاعر بني أمية الأخطل ^(١)
أقول : لا ضير بإكرام الشعراء من ماله الخاص . ولكن عندما يكون المال من بيت مال المسلمين ،
ويكون الميزان مائلا بالكامل لهؤلاء ، ومرفوعاً بالكامل عن أهل الحاجة والفقير والمسكنة ، هنا يقع الظلم
الذي منعه الإسلام.

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢ .

بينما أخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أن عقيل بن أبي طالب سأل علياً عليه السلام فقال: إني محتاج وإني فقير فأعطني. فقال عليه السلام: (اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم). فألح عليه. فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق، فقل: دق هذه الأقفال، وخذ ما في هذه الحوانيت. قال عقيل: تريد أن تتخذني سارقاً. قال علي عليه السلام: (وأنت تريد أن تتخذني سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيتهما دونهم). قال عقيل: لآتين معاوية. قال: (أنت وذاك). فأتى معاوية، فسأله فأعطاه مائة ألف. ثم قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك. فصعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني أخبركم أي أردت علياً على دينه فاختر دينه، وأني أردت معاوية على دينه فاختر ديني على دينه ^(١)

وقد سقنا مثالا من زمن أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه كان الوحيد من أئمة أهل البيت عليهم السلام ممن بسطت يده وأشرف على بيت مال المسلمين.

٣. المفارقة الثالثة: وهي تقارن بين بخل الأمراء وكرم السجاد عليهم السلام

أخرج ابن عساكر عن أبي عبيدة قال: جاء عبد الله الأسدي إلى عبد الله بن الزبير بن العوام، فقال: يا أمير المؤمنين، إن بيني وبينك رحماً من قبل فلانة. فقال ابن الزبير: نعم، هذا كما ذكرت. وإن

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤.

فكبر في هذا أصبت : الناس بأسرهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أم واحدة.
فقال : يا أمير المؤمنين إن نفقتي نفدت ! قال ابن الزبير : ما كنت ضمنت لأهلك أنها تكفيك إلى
أن ترجع إليهم.
قال : يا أمير المؤمنين ناقتي قد نقتت ! قال : أبجد بما تبرد خفها ، وأرقعها بسبت ، واخفضها بهلب
، وسر عليها البردين.
قال : يا أمير المؤمنين ، إنما جئتكم مستحماً ولم آتكم مستوصفاً ، لعن الله ناقة حملتني إليك ^(١)
وقد قرأنا سابقاً عن بخل عبد الملك بن مروان ، بحيث أطلق عليه لقب (رشح الحجارة) وهو لقب
يعبر عن غاية البخل ، وهو في مقابل الكريم (كثير الرماد) . فالحجارة الصلدة لا يترشح منها شيء ،
وكثير الرماد هو من يطعم الضيوف ، ويحرق الفحم لطهي طعامهم.
وعندما تقارن بين بخل هؤلاء وكرم الإمام السجاد عليه السلام ، ترى الفارق . فقد دفع الإمام السجاد
عليه السلام دين محمد بن أسامة قبل وفاته ، وكان خمسة عشر ألف دينار . ^(٢) وقد مر علينا الكثير من كرم
السجاد.

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢١٤ .

(٢) الحلية ج ٣ ص ١٤١ .

الطبقة الحاكمة وتبذير بيت المال:

وهكذا كانت صورة المجتمع الإسلامي في القرن الأول الهجري من فقر وحرمان وحاجة . بينما كان أهل السلطة منغمسون بالترف . فكان فتياهم يرفلون بالثياب الفاخرة من القوهي والعرشي كأهم الدنانير الهرقلية ^(١)

ويلبس من يتظاهر بالتقوى كعمر بن عبد العزيز ثوباً بأربعمائة دينار ، ويقول : ما أخشنه ^(٢) . وهذا مروان بن أبان بن عثمان يلبس سبعة قمصان ، كأنها درج بعضها أقصر من بعض ، وفوقها رداء عدني بألفي درهم ^(٣)

وأجزلوا العطاء لأهل العبث واللهو والغناء والمجون ، فقد أعطى الوليد بن يزيد أحد المغنين واسمه معبدا اثني عشر ألف دينار ^(٤)

ووفد على يزيد بن عبد الملك المغني ذاته (معبد) ومعه مالك ابن أبي السمح وابن عائشة فأمر لكل واحد منهم ألف دينار . وطلب الوليد المغني يونس فذهب إليه وغناه ، فأعجب بغناؤه وأجازه بثلاثة آلاف دينار ^(٥)

(١) الأغاني ج ١ ص ٣١ . والقوهي : الثوب من الخز الفاخر.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٣) الأغاني ج ١٧ ص ٨٩ .

(٤) الأغاني ج ١ ص ٥٥ .

(٥) الأغاني ج ٤ ص ٤٠٠ .

وأجزلوا العطاء أيضا لشعراء البلاط المواليين لبني أمية . فأعطوا شاعرهم الأحوص مائة ألف درهم ، ثم أعطوه في مناسبة ثانية عشرة آلاف دينار ^(١)

يقول الأحوص ^(٢) في مدح الوليد بن عبد الملك:

أمام أتاه الملك عفوا ولم يثب على ملكه مالا حراما ولا دما
تخيّرهُ رب العباد لخلقهِ وليا وكان الله بالناس أعلما
فلما ارتضاه الله لم يدع مسلما لبيعتهِ إلا أجاب وسلما
ينال الغنى والعز من نار وده ويرهب موتا عاجلا من تشاء ما
وأن بكيفهِ مفاتيح رحمة وغيث يحيي به الناس مرهما

وإن سألت الأحوص ^(٣) عن مصدر ثراه ، لقال لك:

وما كان مالي طارفا من تجارة وما كان ميراثا من المال متلدا
ولكن عطايا من إمام مبارك ملا الأرض معروفا وجودا وسؤدا

والمقصود بالإمام في هذا الشعر هو الوليد بن عبد الملك.

وكان من الفقراء من لا يجد رغيف الخبز لسد رمقه.

(١) الأغاني ج ٩ ص ١٧٢ ، ٨ .

(٢) الأغاني ج ١ ص ٢٩ .

(٣) الأغاني ج ٩ ص ٨ .

الفقر والحرم:

لقد حرم معاوية عطاء بني هاشم لأن الإمام الحسين عليه السلام لم يبايع ليزيد زمن معاوية . فوقف عبد الله بن عباس أمام خيمة معاوية وهو في سفره إلى مكة ، وقال : أين جوائزنا [يقصد عطايانا] كما أجزت غيرنا ؟ فقال معاوية : والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم [يعني الحسين عليه السلام] . فقال ابن عباس : فقد أبي ابن الزبير فأخرجت جائزة بني أسد ، وأبي عبد الله بن عمر فأخرجت جائزة بني عدي . فما لنا إن أبي صاحبنا ، وقد أبي صاحب غيرنا ؟ فقال معاوية : لستم كغيركم ، لا والله لا أعطيكم درهماً حتى يبايع صاحبكم.^(١)

وكان أحد أسباب استفحال مشكلة الفقر هو اسقاط أسماء الموالين لأهل البيت عليهم السلام من عطاء بيت المال . وقد كان معاوية مفرطاً في ذلك ، فأوعز إلى ولاته في جميع الأمصار : (انظروا من قامت عليه البيّنة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه)^(٢) . واستمر ذلك القرار زمن يزيد ، وعبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك.

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢١٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٤٥ .

وما كان على الإمام زين العابدين عليه السلام إلا أن يقوم بإعالة المتضررين من ذلك القانون الجائر بسرية تامة ، فأخذ يحمل جرابه على ظهره وهو مملوء بالطعام وبعد أن تهدأ عيون بني أمية ، فيتبع به المساكين في ظلمة الليل ، وهو يقول : (إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب)^(١) . بحيث ان الفقراء والمساكين فقدوا صدقة السر بموت زين العابدين عليه السلام ويكلمة ، فان الإمام السجاد عليه السلام وفي ذلك الوضع القاسي ، قام بما تمليه عليه وظيفته الدينية والإجتماعية من مساعدة الفقراء والمساكين . فكان من نشاطه عليه السلام

- ١ . إطعام الفقراء ظهيرة كل يوم.
- ٢ . توزيع الطعام ليلاً بجرابه المعروف ، كما ذكرنا.
- ٣ . إعالة بيوت الفقراء بالمدينة ، قدرت بمائة بيت . وهو عدد كبير نسبة الى مساحة المدينة ذلك الزمان.

- ٤ . إعطاء الكسوة التي كان يرتديها إلى الفقراء.
- ٥ . بناء بيوت آل عقيل وغيرهم التي هدمها بنو أمية.
- ٦ . دفع الديون المتراكمة على الغارمين الفقراء ، كمحمد بن أسامة ، وغيره.
- ٧ . مقاسمة أموال السجاد عليه السلام مع الفقراء والمساكين.

(١) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٣٨ .

وهذا الاسلوب في معالجة الفقر ، وإن كان اسلوباً فردياً قد لا يعالج كل الوضع الإجتماعي . إلا انه يعدُّ مصداقاً لمنهج الإسلام في ضرورة معالجة مشكلة الفقر علاجاً دينياً شاملاً . وقد قال الإمام علي عليه السلام : (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) ، و (كاد الفقر أن يكون كفراً) .

ولو كانت أيديهم عليهم السلام مبسوطة لعالجوا المشكلة بما ألهمهم الله به من كرم وعلم وتقوى وتعفف عما في أيدي الناس ، فكانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة . وكانوا عليهم السلام يتحسسون لآلام الناس ومعاناتهم . كيف لا ، وقد نزل فيهم عليهم السلام قوله تعالى : (**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * نَبَأَ مِنْ رَبِّكَ يَوْمَ عَبَسَا قَمَطِرًا**) .^(١)

المشكلة العلمية

عانى القرن الأول الهجري ، خصوصاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من مشاكل عديدة خطيرة ، أولها : منع تدوين السنّة النبوية الشريفة بما فيها أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره . ثانيها : دخول ثقافة مجتمعات جديدة اعتنقت الإسلام حديثاً . تسلط حكام منعوا حرية الفكر والنقد وأباحوا في المقابل كل مظاهر الفساد حتى ينشغل

(١) سورة الإنسان : الآية ٨ . ١٠ .

الناس بملذات الدنيا دون الإنتباه إلى محاسبة الحاكم أو نقده أو عزله إذا اقتضى الأمر.
فشجع النظام السياسي الأموي ظاهرة الجهل بالمفاهيم الأساسية للدين ، وطرح - عبر فقهاء البلاط -
مفاهيم جديدة غريبة كالتشبيه والتجسيم والجبر والإرجاء ، وشجع على ثقافة الهجاء والسباب والقذف
على نطاق الشعراء . فاشعل الفتن القبلية والعصبية والشعبوية ، كما سنرى في حديثنا عن مشكلة
العصبية.

القضاء والقدر:

قال معاوية وهو يتحدث إلى عائشة أم المؤمنين ، حول استخلاف يزيد ، عندما دخل عليها وهو في
زيارة للمدينة : (... وإن أمر يزيد قضاءً من القضاء ، وليس للعباد الخيرة من أمرهم . وقد أكد الناس
بيعتهم في أعناقهم ، وأعطوا عهدهم على ذلك وموآثيقهم ...)^(١)
وكان معاوية يحاول جاهداً أن يظهر للناس ، على ما رواه القاضي عبد الجبار) : ان ما يأتيه بقضاء
الله من خلقه ، ليجعله عذراً

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٠٥ .

فيما يأتيه ويوهم أنه مصيب فيه ، وأن الله جعله إماماً وولاه الأمر ، وفشا ذلك في ملوك بني أمية (١) ولكن أئمة أهل البيت عليهم السلام قاوموا فكرة القضاء بهذا المعنى ، بكل قوة ووضوح . وعندما أراد عبيد الله بن زياد ان يعلل مقتل الحسين عليه السلام إلى فعل الله عز وجل لا فعل الناس ، أجابه الإمام السجاد عليه السلام (اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) ... (٢) (فمقتل الحسين عليه السلام كان بفعل الناس واختيارهم ، ولم يجبرهم الله تعالى على ذلك.

وعندما أراد يزيد ان يعلل قتل الحسين عليه السلام بالآية الشريفة) : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) ... (٣) ، رده الإمام عليه السلام : (هذا في حق من ظلم ، لا في حق من ظلم) . وهذا توجيه شرعي للآية الشريفة ، حيث أراد يزيد تحريف معناها. والفرق كبير بين حلول الأجل من قبل الله تعالى دون واسطة ، وبين القتل الذي هو إزهاق للروح من قبل إنسان قاصد لنية القتل.

(١) رسائل العدل والتوحيد . القاضي عبد الجبار ص ٢٠٦ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٣٠ .

وحارب السجاد عليه السلام عقيدة التشبيه والتجسيم ، وهي الفكرة التي ارتبطت بألفاظ أعضاء الجسم كاليد والعين ونسبتها إلى الله تعالى بالوصف والتغاضي عن كونها تعبر عن القدرة والبصيرة ، بجملة واحدة وافية يخاطب فيها ربّه : (ليس كمثلك شيء)^(١)

طلب العلم:

وأمام تلك السياسة الهادفة إلى إبقاء الناس على ما هم عليه من جهل ، قام الإمام السجاد عليه السلام أولاً بالتشجيع على طلب العلم ، عبر أحاديث ومواعظ كان يوجهها لطلبته ومريديه . فكان يردد دائما : (لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو ببذل المهج ، وخوض اللجج . إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال إن أمقت عبد إلي : الجاهل ، المستخف بحق أهل العلم ، التارك للإقتداء بهم . وإن أحب عبدي إلي : التقي ، الطالب للثواب الجزيل ، اللازم للعلماء ، التابع للحكماء)^(٢) . وإذا جاء طالب العلم رحبّ به ، وقال له : (مرحبا بوضيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) . وكان عليه السلام إذا نظر

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٩.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٣٥.

إلى الشباب الذين يطلبون العلمَ أدناهم إليه ، وقال : (مرحبا بكم ودايع العلم . ويوشك إذا أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين) (١)

وفي رسالة الحقوق وقرَّ عليُّ العلم والتعليم ، والعالم والمتعلم ، والمحاضر والمستمع . ومنع عليُّ على العلماء أن يأخذوا أجرا على تعليمهم الناس (٢)

وكان عليُّ يردد : (الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيئاته) (٣) . وأن : سادة الناس في الدنيا : الأسخياء ، وفي الآخرة : أهل الدين ، وأهل الفضل والعلم ، لأن العلماء ورثة الأنبياء) (٤)

وأنكب السجاد عليُّ على إذاعة أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة بسند صحيح عن أبيه الحسين عليُّ ، عن علي بن أبي طالب عليُّ عن رسول الله ﷺ . وكانت تلك مهمة صعبة في ظروف سياسية وإجتماعية تضيق الخناق على شيعة أهل البيت عليُّ ، في الوقت الذي يأمر السلطان فيه الولاة بوضع أحاديث نبوية مختلقة وبثها بين الناس حتى ينشأ جيل جديد يؤمن بفضائل الخليفة الأموي مهما كان بعيدا عن الإسلام.

(١) الأنوار البهية ص ١٠٣ .

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٤٠ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٥٤ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٢٣٩ .

وكانت سياسة منع تدوين الحديث التي بدأت بعد وفاة رسول الله ﷺ واستمرت حتى عهد عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ) تساعد . بقصد أو دون قصد . على اشاعة أجواء إختلاق الأحاديث . والمعروف ان الحجاج الثقفي اعتدى على صحابة رسول الله ﷺ فختم على أيديهم وأعناقهم ، إذلالا لهم وحذرا من أن يحدّثوا الناس بفضائل أهل البيت عليّ ، أو يسمع الناس حديثهم^(١) فكان للإمام السجاد عليّ دور اساسي في بث أحكام الإسلام التي لم تمتد لها يد التزوير والتحريف . فنشر الفضائل ونهى عن الرذائل ، وشرح الواجبات والمستحبات ، والمحرمات والمكروهات . ونادى بالولاية الشرعية . وكانت عملية رواية الحديث آنذاك تعدّ تحديا لسياسة السلطة وأوامرها .

تلامذة السجاد عليه السلام

وقد ثبت الشيخ الطوسي في (رجاله)^(٢) أسماء (١٧٣) راوياً عنه ، من بين المئات الذين كانوا يسمعون رواية الحديث أو تفسير القرآن مباشرة منه دون واسطة . وهذا عدد كبير من طلاب العلم في مدينة واحدة كالمدينة المنورة . ومن أولئك الرواة أسماء لامعة في دنيا الرواية وسماء العلم .

(١) أسد الغاية لابن الأثير ج ٢ ص ٤٧٢ .

(٢) رجال الطوسي ص ٨١ - ١٠٢ .

فكان منهم أبان بن تغلب (ت ١٤١ هـ) الذي كان مقديماً في فنون القرآن والحديث والأدب واللغة والنحو ، يطلب منه الإمام الباقر عليه السلام لاحقاً : (أجلس في مسجد المدينة ، وأفت الناس . فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك) (١) . ويقول الإمام الصادق عليه السلام فيه شبيه ذلك . وعندما كانوا يلومونه على روايته عن الإمام السجاد عليه السلام ، كان يقول : (كيف تلوموني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلا قال : قال رسول الله ﷺ .)

وثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي (ت ١٥٠ هـ) من أبرز علماء عصره في الحديث والفقهاء وعلوم اللغة ، وكان يرجع إليه المواليون في الكوفة لإحاطته بفقهاء أهل البيت عليه السلام ورشيد المهجري من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو العالم الذي قتله عبيد الله بن زياد ، حيث قطعوا يديه ورجليه وهو لا يزال يجند بفضائل أهل البيت عليه السلام ، فقطعوا لسانه وصلبوه على جذع النخلة في الكوفة.

(١) معجم الآداب ج ١ ص ١٠٨ .

وزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان عالماً ثقةً ، جليل القدر ، كريم الطبع ، طريف النفس ، كثير البرّ . قصده الناس من الآفاق لطلب فضله .
وزيد بن علي بن الحسين (ت ١٢٢ هـ) ، وكان عابداً ورعاً ، فقيهاً سخياً شجاعاً . ظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويطلب بثأر جده الحسين عليه السلام
وسعيد بن جبیر (ت ٩٥ هـ) ، من أبرز علماء عصره ، وكان يمسى (جهبذ العلماء) ، من أئمة الإسلام في التفسير والفقه ، وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح .^(١) وكان كثير الخشية من الله ، وكان يقول : (إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة)^(٢) . قتله الحجاج ظلماً وعدواناً بسبب إختصاصه بالإمام السجاد(ع)
وسليم بن قيس الهلالي العامري (ت ٩٠ هـ) من السابقين في التأليف ، وله الكتاب المعروف بكتاب سليم بن قيس . كان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام ، وعدّه البرقي من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٨ .

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٩ .

وأبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) (ت ٦٩ هـ) من ألع علماء عصره ، مؤسس علم النحو بإشارة من أمير المؤمنين علي ؑ ، ومن شعره:

وما طلب المعيشة بالتمني
ولكن ألق دلوك في الدلاء
تحيء بملئها طوراً ، وطوراً
تحيء بجمأة وقليل ماء
ومن وصيته لابنه : (يا بني إذا كنت في قوم فحدثهم على قدر سنك ، وفاوضهم على قدر محلك ، ولا تتكلمن بكلام من هو فوقك ، فيستقلوك . ولا تنحط إلى من دونك ، فيحتقروك . فإذا وسع الله عليك فأبسط ، وإذا أمسك عليك فأمسك . ولا تجاود الله فان الله أجود منك ، واعلم أنه لا شيء كالاقتصاد ، ولا معيشة كالتوسط ، ولا عز كالعلم ، إن الملوك حكام الناس ، والعلماء حكام الملوك)^(١)

أقول : وهذه آثار تعليم الإمام علي بن أبي طالب ؑ عليه . وقد حاول معاوية ان يصرفه عن ولائه لأهل البيت ؑ فلم يفلح.

وغير هؤلاء الاعلام عدد آخر كبير . وهذا يدل على ان الإمام السجاد ؑ أسس لقاعدة علمية في المدينة على مدى أربع وثلاثين عاما مجتهد^٣ فيها عن جده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ويفسر فيها القرآن

—
(٢) الكنى والألقاب ج ١ ص ٩٠ - ١٠٠ .

ويث الفضائل في كل مكان . مع ان الوضع الإجتماعي العام كان وضع حروب وسفك دماء وإرهاب وإرهاب لا مثيل له.

تحريك الوضع العلمي:

وعلى ضوء ذلك ، شجع التحرك العلمي للسجاد عليه السلام المدرسة العلمية لمذهب السنّة والجماعة على الحركة أيضاً ، فنشطت مجموعة من أهل العلم ممن تتلمذ على يد السجاد عليه السلام أيضا على بث علوم الإسلام ، لكن بعيداً عن أهل البيت عليهم السلام وكان منهم : عروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وخارجة بن زيد ، وسعيد بن المسيب ، وفيهم يقول الشاعر:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل : هم عبيد الله عروة قاسم سعيد ابو بكر سليمان خارجة
والتميز منهم بالخصوص : سعيد بن المسيب المخزومي ، من علماء عصره . روى عن السجاد عليه السلام
 . وفي رجال الكشي : نسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام قولاً يمتدحه فيه . وقد اختلف الرواة في وثاقته . قال في (معجم رجال الحديث) : (إن الصحيح هو التوقف في

أمر الرجل لعدم تمامية سند المدح والقدح ... ولقد أجاد المجلسي حيث اقتصر على نقل الخلاف في حال الرجل من دون ترجيح (١)

وبالإجمال ، فقد ساهم الإمام زين العابدين عليه السلام في تنشيط الحركة العلمية التي حاول الأمويون إيقاف عجلتها . وعلل عليه السلام مسارها نحو الطريق الصحيح ، بعد ما انخرقت أيام حكمهم .

مشكلة العصبية

وكان من سياسة معاوية ومن جاء بعده من خلفاء تأجيج الصراع القبلي ، وتفريق القبائل والعشائر العربية ، وخلق فجوة بين العرب والعجم من أجل السيطرة عليهم جميعا . وإذا أضفنا إلى ذلك سياسة التهيب والترغيب التي استخدموها بين الناس ، لانكشفت لنا صورة المجتمع الذي أريد له ان يقام على أساس الشعبية والعصبية القبلية .

واصبحت سمة العصر . على الصعيد الأدبي . فخر النزارية على اليمينية على النزارية حتى تخربت البلاد ، وثارَت العصبية في البدو والحضر (٢)

(١) معجم رجال الحديث . للخوئي ج ٨ ص ١٤١ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ١٩٧ .

ومن ذلك نعرض نموذجاً لشعر الكميّة (١) ومدحه قومه المضريين وهجاءه القحطانيين:

لنا قمر السماء وكل نجم تشير إليه أيدي المهتدينا
وجدت الله إذ سمى نزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجينا
وما خرجت هجائن من نزار فوالج من فحول الأعجمينا (٢)
وما حملوا الحمير على عتاق مطهمة فيلفوا مبلغينا (٣)
وما ولدت بنات بني نزار حلائل أسودين وأحمرينا
بني الأعمام أنكحنا الأيامي وبالأبواء سميننا البينا

فقد نسب لقومه كل المآثر ووصفهم بالأقمار والكواكب المضيئة ، بينما وصف القحطانيين بكل مذمة ، وعيّرهم بتزويجهم بناتهم من الأحباش والفرس فولدن سودا وحمراً ، تشبهاً بتلقيح الحمير للخيل العتاق حتى تنتج بغالا.

فواجهه دعبل الخزاعي يرده ويشيد بقومه من القحطانيين:

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ١٩٦.

(٢) الهجائن : الحرات الكريمات . الفوالخ : مع فالخ وهو الزوج.

(٣) عناق مطهمة : يراد بها النساء العربيات الشريفات.

أفريقي من ملامك يا ظعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي
أحيي الغر من سروات قومي
فإن يك آل اسرائيل منكم
فلا تنس الخنازير اللواتي
بأيللة والخليج لهم رسوم
وما طلب الكميت طلاب وتر
لقد علمت نزار أن قومي
وعندما جاء الإسلام الغى العصبية القبلية الجاهلية ، فساهاها الناس ، حتى جاء حكم بني أمية
فتعصبوا لمضر ، كما كان الأمر قبل الإسلام.

ولم يتوقفوا عند ذلك ، بل اعتبروا الموالي أدنى من العرب في الرتبة والحقوق الإنسانية ، خلافاً لتعاليم
الإسلام . فكانوا لا يزوجون الموالي ^(١) ، بحيث يروى أن حاكم البصرة (بلال بن أبي بردة) ضرب
شخصاً من الموالي ، لأنه تزوج امرأة عربية ^(٢)

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٦ ق ٢ .

ووجهت تهمّة العنصرية إلى محمد بن مسلم الزهريّ ، لأنه كان لا يروي الحديث عن الموالي ^(١) وحاوّل الإمام السجّاد عليه السلام تصحيح ذلك المسار البعيد عن روح الدين ، فكان عليه السلام يشيع أنه : (لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ، فإنّكم عبيدٌ ، والمولى واحدٌ) وهو الله عز وجل . وكان عليه السلام يجالس أحد الموالي ، فقيل له : أنت سيد الناس وأفضلهم ، تذهب إلى هذا العبد وتجلس معه ؟ فقال عليه السلام : (أعتي من أنتفع بمجالسته في ديني) ^(٢) . (إنّما يجلس الرجل حيث ينتفع) ^(٣) . وكان عليه السلام يكرّر هذه الآية : (**فَكِرًا نُفُخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**) ^(٤) . وموقفه المعروف من عبد الملك بن مروان حول زواج الأماء : (... وقد رفع الله بالإسلام الخسيّة ، وتمّم به النقيصة ، وأذهب به اللؤم ، فلا لؤم على امرئٍ مسلمٍ ، وإنّما اللؤم لؤم الجاهلية) ^(٥) . و (لا

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي . للرامهرمزي ص ٤٠٩ . بيروت : ١٣٩١ هـ .

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢١٦ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ .

(٥) فروع الكافي ج ٥ ص ٣٤٤ .

حسب لقرشي ولا عربي إلا بالتواضع ولا كرم إلا بالتقوى ... (١) وهو مصداق لقوله تعالى : (... (٢) **أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ**) ... (٢).

والعصبية القبلية لها منشأ كباقي المشكلات الإجتماعية ، وهو الجهل بالإسلام وتعاليمه السمحة وأخلاقه السامية في المساواة بين الناس على إختلاف ألوانهم وأجناسهم . ولا أخال أن هناك عالما بمبادئ الإسلام يتعصب لقوم على باطل مجرد أنهم من نفس جنسه أو منشأه أو لون بشرته.

المشكلة الأخلاقية

وسادت المدينة المنورة في حكم بني أمية حياة من اللهو والطرب والعبث والمجون ، أشاعتها السلطة لاسقاط هيبة ذلك المركز الإسلامي الذي يحتضن في أحشائه جسد رسول الله ﷺ ، وساعد عليها الوضع الجديد الناتج عن انفتاح الناس على ثقافات الشعوب المختلفة التي دخلت الإسلام حديثا . وأصبح إقتناء الجواري والمغنيات من خصائص ذلك الزمان.

(١) تحف العقول ص ٢٨ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

وشاع الغناء آنذاك حتى أصبحت المدينة المنورة مركزاً له . ووصل الأمر إلى ان الغناء في المدينة كان لا ينكره عالمهم ، ولا يدفعه عابدهم (١) . وكان أبو يوسف يخاطب أهل المدينة قائلاً : ما أعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني ، ما منكم شريف ولا ديني يتحاشى عنها (٢) . وكان العتيق (٣) إذا سال ، وأخذ المغنون يلقون إغانيتهم لم تبق في المدينة مخبأة ، ولا شابة ، ولا شاب ، ولا كهيل إلا خرج ببصره ويسمع الغناء (٤)

وكان لا يهتم الخليفة الأموي إلا من يصف له الخمر والسكر . قال الأصمعي : دخل الأخطل على عبد الملك ، فقال : ويحك ! صف لي السكر . قال : أوله لذة ، وآخره صداع ، وبين ذلك حالة لا أصف لك مبلغها . فقال : ما مبلغها ؟ قال لملكك يا أمير المؤمنين [عندها] أهون علي من شسع نعلي ، وأنشأ يقول (٥)

إذا ما نديمي علّني ثم علّني ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل تيهاك أني عليك أمير المؤمنين أمير

(١) الأغاني ج ٨ ص ٢٢٤ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣٣ .

(٣) العتيق : الخمر .

(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٥) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢ .

ومن فواحشهم أنهم نشروا الغناء المختلط بين الرجال والنساء دون ستار . وهذا من الفحش والفساد بحق تلك المدينة التي شهدت نزول جبرئيل إليها بالوحي السماوي على رسول الله ﷺ .
يصوّ مصنف (الأغاني) أحد تلك الليالي الماجنة ، فيقول : (أن جميلة جلست يوماً ، وليست برنسا طويلاً ^(١) ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، ثم قامت ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية ، وعلى القوم أمثالها . وقام ابن سريج يرقص ، ومعبد ، والغريدي ، وابن عائشة ، ومالك ، وفي يد كل منهما عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها . فغبت وغنى القوم على غنائها . ثم دعت بثياب مصبغة ، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، وتمشت ومشى القوم خلفها ، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد) ^(٢)

في تلك الليالي ذاتها كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقف خاشعاً في جوف الليل يعبد الله ركوعاً وسجوداً ، ويدعو الله بخشوع ودموعه تنهمر : (... إلهي عبديك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك . إلهي لك يرهب المترهبون ، وإليك أخلص المستهلون ، رهبةً

(١) البرنس : القلنسوة الطويلة.

(٢) الأغاني ج ٨ ص ٢٢٧ .

لك ، ورجاءً لعفوك . يا إله الحقّ ارحم دعاء المستصرخين ، واعف عن جرائم الغافلين . وزد في إحسان المنيبين يوم الوفود عليك يا كريم (١)

مشكلة الرق

وعلى أثر الفتوحات الواسعة في القرن الأول الهجري ، أزداد عدد الرقيق بشكل مذهل في مجتمع المسلمين . واستغل بنو أمية قضية الرق لمصالح شخصية كخدمة البلاط والتلذذ بالرغبات الجسدية والاستيلاء . ولذلك تلمس خيرة عبد الملك بن مروان بذلك ، كما ورد في نصيحته لحاشيته : (من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية ، ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ، ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية) (٢)

وبذلك ابتعدوا عن العلل الحقيقية لقضايا الرق في الإسلام ؛ وأهمها هو تربية الكفار المحاربين على القيم الأخلاقية الدينية قبل تحريرهم ودمجهم في المجتمع الإسلامي الواسع.
وعالج الإمام السجاد عليه السلام قضية الرق عبر الوسائل التالية:

(١) الصحيفة السجادية . دعاء وتمجيد له ص ٢٥٥ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٢١ .

١ - عامل الرقيق معاملة إنسانية لأنه كان عليّاً يفهم مغزى العبودية والعلة التي شرعت لأجلها . فكان عليّاً يعلمهم الفضائل والأخلاق السامية . وكان عليّاً يقول لهم : (قولوا : يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك ما عملت ، كما أحصيت علينا ما عملناه)^(١) . فهو يريد منهم فهم تلك الحقيقة الدينية الرائعة التي تقول بأن الناس كلهم عبيد لله تبارك وتعالى . وما العبودية الدينية المفترضة إلا وسيلة من وسائل إخراج الإنسان من الكفر إلى الإيمان .

٢ - كان عليّاً يشترتهم بأعداد كبيرة ويعتقهم بعد فترة قصيرة بحجج وأساليب مختلفة . فإذا أساؤا التصرف أطلقهم ، وإذا سمع من يحدّثه حديثاً عن رسول الله ﷺ أعتقهم ، وإذا جاء العيد أعتقهم ، وهكذا . فكانت سياسة الإمام عليّاً هو التعليم والتربية وإظهار المعارف والحقائق الإسلامية . وكان لا يعتقهم حتى يعطيهم مالا يعملون به .

ولذلك أصبح في المدينة جيش من الموالي يلهج بذكر زين العابدين عليّاً . وعندما تعرض رجل للإمام عليّاً وهو خارج من المسجد وسبه ، ثارت عليه العبيد والموالي ، فطمأئهم وأشار عليهم بأنه قادر على التعامل مع الرجل ، وهكذا كان^(٢)

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٣ .

(٢) صفوة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ١٠٠ .

وعندما سمعوا بأنباء ضغط ابن الزبير على آل أبي طالب في مكة ، تجمع قومٌ من السودان بالمدينة غضباً لذلك ومرامعةً لابن الزبير ، كما رواه البلاذري . فرأى ابن عمر غلاماً له فيهم ، وهو شاهرٌ سيفه ! فقال له : رباح ! قال رباح : والله ، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا . فبكى ابن عمر ، وقال : اللهم إن هذه لذنوبنا ^(١)

وكانت هناك شواهد عديدة ذكرناها في مطاوي هذا الكتاب عن عتق الإمام عليّ عليه السلام للعبيد والأماء لآية قرآنية يذكرونها ، أو لادبٍ جم يظهره له ، أو لمناسبة دينية كالعيد تمر على الإمام عليّ عليه السلام

العبودية بين الدين والاقتصاد:

ولابد لنا ونحن نعرض مشكلة العبودية والرق في القرن الأول ، من التعرض للفروقات الأساسية بين الرق في الإسلام والرق في أوروبا في القرون الثلاثة الأخيرة . يرجع تاريخ العبودية التي استحدثها الرجل الأوروبي الأبيض إلى بدايات القرن السابع عشر الميلادي ، في أوج الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا والبرتغال على استثمار الأراضي الزراعية خارج حدود القارة الأوروبية التي كانت تنتج السكر والتبوغ ونحوها . فبدأت البواخر المحملة بالبضائع الصناعية والزراعية بالإبحار من (نيو

(١) أنساب الأشراف . البلاذري ج ٣ ص ٢٩٥ .

انجلترا) في العالم الجديد متجهة نحو افريقيا ، عارضة هذه البضائع عن طريق المبادلة بالرقيق. وكان الدافع الاقتصادي والسيطرة السياسية على مقدرات شعوب أفريقيا من أهم عوامل تجارة الرقيق . فالعبيد ، حسب النظرية الرأسمالية ، حيوانات صالحة لزراعة التبوغ والسكر . ويعتبر استعباد الزوج من قبل أوروبا البيضاء من أفظع جرائمها بحق الإنسانية . فكانوا يحشرون الرجال والنساء والاطفال بالقوة والإكراه في سفن كبيرة ويربطونهم بالسلاسل ويجبرونهم على الاستلقاء على ظهورهم لأكثر من ثلاثة أشهر دون تسهيلات إنسانية في الأكل أو تفريغ الفضلات حتى تصل الباخرة إلى موطنها الجديد لبيع العبيد.

والإسلام لم يدين استعباد الإنسان لأخيه الإنسان فحسب ، بل قد استخدم مفهوم العبودية ذاته لتحرير الإنسان من قيود الإنحراف العقائدي . ووضع لذلك أسسا وضوابط منها:

أ . اعتبر تحرير العبيد جزء من التكاليف الشرعية التعبدية مع تحقق شروطها ، كما ورد في حكم كفارة قتل الخطأ ... (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ) ^(١) ...، وكفارة اليمين ... (وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ

(١) سورة النساء : الآية ٩٢ .

وَأَسَبَطَ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ وَأَكِسَبُوا لَهُمْ وَأَخْرَجُوا رَقَبَةً (١) ، وكفارة الظهر) (مَوْلَانِ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا) (٢) ، ...، وعموم البر) (وَمَا لِرَأْسِكَ مِنَ الْعُقَبَةِ * فَكَّ رَقَبَةً) (٣) ، ونحوها . وبذلك حلّ مشكلة العبودية السائدة زمن الرسالة ، ومشكلة العبودية التي قد تحصل في أي زمان ومكان.

ب . جعل مفهوم العبودية قائما على اساس اختلاف الدين اثناء الدفاع عن الوطن الإسلامي وليس لون البشرة ، كما هو معمول به في النظام الاوربي . ولعل السر في تشريع العبودية القائمة على اساس الدين هو تحرير الفرد المستعبد من القيود الفكرية التي تكبله بها العقائد المنحرفة ، فيرى داخل العبودية طريقه للتحرر والخلاص.

وبالإجمال ، فإن الإسلام أقر العبودية التي تؤدي إلى تحرير الإنسان فكراً ودينياً . وبذلك فإنه فتح للفرد المنحرف فكراً ، باباً للنظر والتأمل في رسالة العدالة الإلهية والإيمان بها . أما العبودية الأوروبية فقد أنشأت بالأصل لاستغلال الإنسان أخاه الإنسان دون ذنب سوى اختلاف الجنس ولون البشرة.

(١) سورة مائدة : الآية ٨٩ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ٣ .

(٣) سورة البلد : الآية ١٢ - ١٣ .

ج . نادى الإسلام بمفهوم العدالة الإجتماعية بين جميع الأفراد دون النظر إلى منشأ الفرد أو لون بشرته ، بل أعلن بصراحة أن كل الأفراد سواسية أمام الحكومة الشرعية والحاكم الشرعي المطلق وهو الخالق عز وجل في الحقوق والواجبات والمسؤوليات والتكاليف الدينية والإجتماعية.

د . ان جميع من استروا وأصبحوا رقيقاً زمن الفتوحات الإسلامية ، قد أسلموا في النهاية بعد تحريرهم ، وحسن إسلامهم . خصوصا أولئك الذين خضعوا لتربية الإمام السجاد عليه السلام وتعليمه . لأنهم رأوا المثال الإسلامي الحقيقي والمصداق الناصع للدين ، قد تجسد في شخصيته وفكره وسلوكه عليه السلام

المعارضة المسلحة

وقعت خلال حياة الإمام السجاد عليه السلام ، وبعد واقعة كربلاء ، وقائع مسلحة وحروب ضد السلطة الأموية كواقعة الحرة ، وحركة عبد الله بن الزبير ، وحركة المختار . وكان موقفه وسياسته هي التأييد الضمني لكل من حارب الظلمة من بني أمية ، لكنه عليه السلام لم يشارك فيها.

لم تكن تلك الحركات جميعا منسجمة مع خط أهل البيت عليهم السلام . ولم يكن الإمام عليه السلام يطمح ليكون زعيم حركة إجتماعية ، أو حزب سياسي ، أو تكتل مذهبي . بل كان موقعه هو قيادة الأمة الإسلامية بجميع أطرافها وطبقاتها إلى طريق مرضاة الله . وموقع من هذا القبيل هو موقع الإمامة الكبرى التي شرفها الله تعالى وألهمها المعارف الكلية ، من أجل حفظ الدين . فكان عليه السلام يرى المصلحة الدينية العليا في عدم المشاركة بتلك الحركات.

وواقعة الحرة كانت نتيجة استنكار رجال المدينة لأفعال يزيد من شرب الخمر وعزف الطنابير ، ولم تكن لمقتل الحسين عليه السلام الذي هز كل ضمير إلا ضمائر هؤلاء الذين حركهم شرب يزيد للخمر أكثر مما حركهم شربه لدماء أهل البيت عليهم السلام

ولم يخرج تحرك رجال المدينة عن إطار الإذن من عبد الله بن الزبير في مكة .^(١) فكانت تلك الحركة . على أقل التقادير . ذات دوافع سياسية غير دينية بالضرورة.

ومع ذلك ، فإن مسلم بن عقبة عندما دخل المدينة لسحق تلك الحركة ، كان لا يريد غير علي بن الحسين عليه السلام ^(٢)

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٧٨ .

(٢) الإرشاد للمفيد ص ٢٩٢ .

ولكن إرادة الله وحكمة السجاد عليه السلام صرفاه عما كان يبغيه ذلك الظالم المسرف في القتل.
وأما حركة عبد الله بن الزبير ، فكانت واضحة المعالم . فقد كانت حركة بعيدة جدا عن طموحات
أهل البيت عليهم السلام في إقامة دولة العدل الإلهي . بل ان تلك الحركة كانت مناوئة لمباني الإسلام الأصيل .
وكان عبد الله بن الزبير لا يخفي مشاعره ضد الإمام السجاد عليه السلام وذرية المصطفى صلى الله عليه وآله ، فقد صرح
بأنه كتم بغض أهل البيت أربعين عاما ^(١) ، وهدد آل محمد بالإحراق عليهم في شعب أبي طالب بمكة
^(٢) ، وكان يقول عنهم أنهم أهيل سوء يشمخون بأنوفهم ^(٣) . وهو وصف مقابل وصف الطهارة التي
وصفوا بها في القرآن الكريم : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .^(٤)
وكان عبد الله بن الزبير يضع العيون على الإمام السجاد عليه السلام يراقبونه ويحصون عليه انفاسه ،
ويوصي أخيه مصعب بقتل الشيعة في العراق رجالا ونساء.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٨٤.

(٢) تاريخ البعقوبي ج ٢ ص ٢٦١.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٨٨.

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٣٣.

وبكلمة ، فقد كانت تلك الحرمة مناوئة لخط الإمامة والولاية . فلم يؤيدها زين العابدين عليه السلام ولا بكلمة واحدة.

وأما حركة التوابين الذين طلبوا بثأر الحسين عليه السلام ، وحركة المختار الذي تتبع قتلة الحسين عليه السلام فقتلهم عن بكرة أبيهم ^(١) ، فقد وضع عليه السلام لهما سياسة واضحة في المؤازرة غير المباشرة . وقد عبر عن ذلك في مخاطبته لعمه محمد بن الحنفية : (يا عم ، لو أن عبداً تعصّب لنا أهل البيت ، لوجب على الناس مؤازرته ، وقد وليتك هذا الأمر ، فاصنع ما شئت) . فهو عليه السلام أناب عمه لاتخاذ القرار ، وهو عليه السلام يعلم علم اليقين بأن عمه سوف لن يتوانى عن دعم تلك الحركة في سعيها من الإقتصاص من قتلة آل محمد صلوات الله وسلامته عليه

وهذا التوازن الحكيم في تلك الحقبة المرعبة من تأريخ الأمة الإسلامية ، حفظ الدين ورسالته السماوية العظيمة ، وبقي الإمام زين العابدين عليه السلام علماً في العبادة والعلم والتقوى والزهد ، وبقي منهجه عليه السلام لإحياء الدين حياً إلى هذا اليوم ، وسوف يبقى حياً إلى يوم الدين ، كما وعدنا الله بذلك . ورياك لا يخلف الميعاد.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٨٤.

الفصل الرابع : الآثار المدوّنة

من الآثار الكاملة المدوّنة للإمام السجاد عليه السلام : الصحيفة السجادية ، ورسالة الحقوق ، ورسالة في الزهد . وتلك كتب ورسائل خاطب بها الإمام عليه السلام ثلاث جهات . فقد خاطب السجاد عليه السلام الله تبارك وتعالى في (الصحيفة السجادية) ، وخاطب المجتمع في (رسالة الحقوق) ، وخاطب الدنيا وما فيها في (رسالة الزهد .) والصورة الكلية لتلك الرسائل قائمة على المضمون العقائدي والإخلاقي للدين ورسالة خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم .

والدعاء أدب ديني مبارك ، على نسقٍ رائعٍ جميلٍ ، ولغة ثرية ، ومفاهيم غنيّة ، وبلاغة عبقرية . وهذا الطريق البارع من طرق البيان اختص به النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم من العالمين . وزمانهم عليهم السلام كان يحفل بأهل الأدب والبيان والبلاغة والشعر ، ولكن لم يرق إلى هذا النثر الديني الرائع غير أدبهم ، ولم تسم إلى هذا المنشور المعجز سوى ألسنتهم الناطقة بالحق.

ومن بيان الروعة في أدب الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق ورسالة الزهد ، أنه أطنب ببلاغة معجزة في وصف الجنّة والنار ، والنعيم والعذاب ، والآخرة والدنيا ، والخير والشر ، والإيمان والفسوق ، تشويقاً وتهويلاً . والإطناب في فلسفة اللغة من أرقى مراتب البلاغة ومن أروع صورها ووجوهها . والهدف من كل ذلك ترغيب الناس على عمل الخير ، والبر بالناس وبأنفسهم ، وزجرهم عن ارتكاب الشر ، والابتعاد عن القبيح الحرام.

الصحيفة السجادية

الصحيفة السجادية هي مجموعة من الأدعية التي أنشأها الإمام السجاد عليه السلام أيام حكم بني أمية ، رواها عنه ولدها : الإمام محمد الباقر عليه السلام (ت ١١٤ هـ) ، وزيد بن علي (ت ١٢٢ هـ) . وأملاها الباقر عليه السلام على ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، بينما ورثها يحيى (ت ١٢٥ هـ) من أبيه زيد . وأملاها الإمام الصادق عليه السلام على عمر بن هارون الثقفي البلخي (ت ١٩٤ هـ) ، حيث حافظ على الصحيفة واعتنى بها اعتناءً شديداً ، وعنه رواها الرواة.

أ. في سند الصحيفة ووثاقها

وكانت تلك المجموعة من الأدعية تسمى بالدعاء الكامل كما جاء في رواية ابن الأعمش ان البلخي نقل عن يحيى قوله : (... ولأخرجن صحيفة من الدعاء الكامل .) وبعد أن أصبح تداول الصحيفة مشهورا عند الطائفة ، عرفت بالصحيفة السجادية . وسميت بالصحيفة السجادية الكاملة ، لأن للزيدية صحيفة غير تامة ناقصة عن

المشهوره ، وتقرب من نصفها ، فاشتهرت هذه بالكامل قبال تلك . كما نقل ذلك السيد المرعشي (ت ١٤١١ هـ) عن السيد جمال الدين الكولباني (ت ١٣٤٠ هـ .^(١))
ومن ناحية السند ، فقد حظيت الصحيفة بإهتمام واسع من قبل علماء أهل البيت عليهم السلام . فقد أسند إليها النجاشي (ت ٤٥٠ هـ) ، والطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) .
وأشار المجلسي الأول (ت ١٠٧٠ هـ) ، وهو والد مصنف بحار الأنوار المجلسي الثاني (ت ١١١١ هـ) ، في إجازته المؤرخة سنة ١٠٦٤ هـ : (إنه لاشك في أن الصحيفة الكاملة ، عن مولانا سيد الساجدين بذاتها وفصاحتها وبلاغتها ، واشتمالها على العلوم الإلهية التي لا يمكن لغير المعصوم الإتيان بها والحمد لله رب العالمين على هذه النعمة الجليلة العظيمة التي اختصت بنا معشر الشيعة)^(٢)
قال مصنف جواهر الكلام (ت ١٢٦٦ هـ) في معرض حديثه عن كون إقامة الجمعة من مناصب الإمامة كالقضاء والحدود : (وفي الصحيفة [رقم الدعاء ٤٨] المعلوم أنها من السجاد عليهم السلام في دعاء يوم الجمعة وثاني العيدين : اللهم إن هذا المقام لخلفائك

(١) مقدمة الصحيفة . طبعة المشكاة.

(٢) بحار الأنوار ج ١١٠ ص ٦٦.

وأصفيائك ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اقتصصتم بها قد ابتزوها ، وأنت المقدر لذلك . إلى أن قال . : حتى عاد صفوتك وخلفائك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدلاً ... وفيه مواضع للدلالة على المطلوب (١)

وقال الشيخ الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ) في كفارة الغيبة أنها من حقوق الناس ، ويتوقف رفعها على إسقاط صاحبها حقه ، وقال : (وفي الدعاء التاسع والثلاثين من أدعية الصحيفة السجادية ودعاء يوم الاثنين من ملحقاتها ما يدل على هذا المعنى) (٢)

وقال السيد الأمين (ت ١٣٧١ هـ) : (وبلاغة ألفاظها وفصاحتها التي لا تبارى ، وعلو مضامينها وما فيها من أنواع التذلل لله تعالى والثناء عليه ، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسل إليه أقوى شاهد على صحة نسبتها ، وإن هذا الدرّ من ذلك البحر ، وهذا الجوهر من ذلك المعدن ، وهذا المعدن من ذلك الشجر ، مضافاً إلى اشتهاها شهرة لا تقبل الريب ، وتعدد أسانيد المتصلة إلى منشئها صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين عليهم السلام ، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعددة المتصلة إلى زين العابدين عليه السلام .

(١) جواهر الكلام ج ١١ ص ١٥٨ .

(٢) المكاسب ص ٤٣ الطبعة الحجرية . تبريز : ١٣٧٥ هـ .

وأشار السيد البروجردي (ت ١٣٨٠ هـ) إلى ذلك قائلاً : (ولا يخفى أن كون الصحيفة من الإمام عليّ من البديهيّات ، وهي زبور آل محمد ﷺ يشهد بذلك أسلوبها ونظمها ومضامينها التي يلوح منها آثار الإعجاز ، ولها إسناد ذكرها الشيخ والنجاشي ، ولشارحها السيد علي خان رحمه الله ألفا سند عن آبائه. (١))

وذكر الشيخ أغا بزرك الطهراني : (الصحيفة السجادية الأولى المنتهي سندها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ... ولأصحاب اهتمام بروايتها وبخصوصها بالذكر في إجازاتهم . وعليها شروح كثيرة ذكرت في محلها ، وهي من المتواترات عند الأصحاب ، لاختصاصها بالإجازة والرواية في كل طبقة وعصر ، ينتهي سند روايتها إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليّ ، وزيد الشهيد ابنا علي بن الحسين عن أبيهما علي بن الحسين عليّ ، المتوفى مسموماً سنة ٩٥ للهجرة) (٢) .
واستدرك جمع من علماء آل البيت عليّ على ما لم يرد في الصحيفة السجادية المشهورة من أدعية السجاد عليّ فجمعوا أدعية الإمام عليّ في صحف سميت بالثانية والثالثة ، وهكذا . فمنها :

(١) البدر الزاهر ص ٢٥ .

(٢) الذريعة ج ١٥ ص ١٨ .

الصحيفة الثانية : جمعها الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، واستخرجها من الأصول المعتمدة عنده ، وكتب آخرها : (... يقول العبد محمد بن الحسن بن علي بن محمد الحر العاملي ، عفا الله عنه ، هذا ما وصل إليّ مما خرج عن الصحيفة الكاملة)^(١) . وتحتوي الصحيفة على ثلاثة وستين دعاء . طبعت بالهند عام ١٣١١ هـ^(٢)

الصحيفة الثالثة : جمعها المولى عبد الله بن عيسى بن صالح الاصفهاني المعروف بالأفندي (القرن الثاني عشر) مصنف (رياض العلماء) . وقد استدرک فيها ما فات الحر العاملي ، وقد طبعت على الحجر^(٣) ، ثم طبعت بقم عام ١٤٠٠ هـ .

الصحيفة الرابعة : جمعها المحيّد حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ) . وقد استدرک فيها ما فات الأفندي ، وقد جمع سبعاً وسبعين دعاءً غير مذكورة في سائر الصحائف^(٤)

الصحيفة الخامسة : جمعها السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) ، طبعت بدمشق عام 1330 هـ . وقد استدرک فيها الصحائف

(١) الذريعة في تصانيف الشيعة ج ١٥ ص ١٨ . وروضات الجنّات ج ٧ ص ٩٧ .

(٢) الذريعة ج ١٥ ص ٢٠ .

(٣) أعيان الشيعة ج ٤ القسم الأول ص ٥٠٠ .

(٤) الذريعة ج ١٥ ص ١٩ .

السابقة ، ومجموع أدعتها مائة واثنان وثمانين دعاءً ، انفرد منها باثنين وخمسين دعاءً^(١) وهناك صحف أخرى غير مطبوعة كما ذكر مصنف الذريعة رحمته الله

مصادر الصحيفة:

ومصادر الصحيفة السجادية أربعة:

- ١ . رواية محمد بن أحمد بن مسلم بن مطهر ، عن أبيه ، عن عمير بن المتوكل ، عن أبيه الذي ينتهي السند إليه . ذكرها النجاشي والطوسي في رجالهما^(٢)
- ٢ . رواية ابن مالك عن أحمد بن عبدالله عن محمد بن صالح ، عن عمر بن المتوكل ، عن المتوكل بن هارون ، عن يحيى بن زيد ، عن الإمام الصادق عليه السلام ذكرها الشيخ الطوسي في رجاله.
- ٣ . رواية أبو الحسن علي بن النعمان الأعمى (المصري) ، عن عمير بن المتوكل ، عن المتوكل^(٣) . وهي المشهورة ، نشرها السيد محمد المشكاة (ت ١٤٠١ هـ .)

(١) الذريعة ج ١٥ ص ١٩ .

(٢) رجال النجاشي ص ٣٠١ ، وفهرست الشيخ الطوسي ص ١٧١ .

(٣) شرح الصحيفة للسيد علي خان ص ٣ .

٤ - رواية الحسين بن إشكيب المروزي (الثقفة) ، عن عمير بن هارون المتوكل البلخي ، وهذه النسخة مفقودة.

ب . الدلالات العلمية للصحيفة

تحتوي الصحيفة السجادية ، بالإضافة إلى بلاغتها اللغوية وروعة مضامينها العرفانية ، على جملة من المفاهيم والحقائق العلمية التي كانت غامضة زمن الإمام السجاد عليه السلام ؛ وكانت تفهم على نحو المجاز أو التشبيه اللفظي ، وهي:

١ - اليد صانعة الحضارات : في دعائه في التمجيد لله عزّ وجلّ ، يقول عليه السلام (: الحمد لله الذي ركب فينا آلات البسط ، وجعل لنا أدوات القبض)^(١)

وأهم آلات القبض والبسط عند الإنسان اليدين اللتان تنبسطان وتنقبضان بإرادته واختياره . وذلك الإنبساط والإنقباض هو الذي يساعد الإنسان على صنع الحجر واستخراج الحديد ومسك القلم وحمل الأشياء . ولولا البسط والقبض في اليدين لما استطاع الإنسان . على مر التاريخ . إنشاء الحضارات وبناء القصور وتذليل الأرض لمنافعه.

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء الأول ص ٣٢ .

والتفاته دقيقة في دعائه ﷻ وهي : ان الله عز وجل ركّب آلة البسط (أي أنه تعالى خلق اليد) بصورتها التكوينية الطبيعية ، وأعطى الإنسان (بالجعل) القدرة على تحريكها وقبضها . وبذلك جعل للإنسان خيار استثمار تلك الأداة من أجل نفعه ، فقال ﷻ : (وجعل لنا أدوات القبض).

٢ . نظرية العرض والطلب : في دعائه في الاستسقاء يقول ﷻ : (اللهم اسقنا غيثا مغيثا ... تملأ منه الجباب ، وتفجر به الأنهار ، وتنبت به الأشجار ، وترخص به الاسعار في جميع الأمصار)^(١) . ونسب إليه أيضا : (ان الله تعالى وكل بالأسعار ملكاً يدبرها ، فلن يغلو من قلة ولن يرخص من كثرة)^(٢) .

فإذا هطل المطر ارتوت الأرض ونمت الأشجار وأينعت الثمار ، فوفرة المطر تزيد المحصول الزراعي . وإذا ازداد المحصول الزراعي انخفضت اسعاره . وهذه هي جوهر فكرة العرض والطلب في الاقتصاد الحديث . فتوفر المحاصيل الزراعية في السوق . نتيجة وفرة المطر . تخفض قيمتها ، فتتخفف عندها الأسعار.

وإذا صحت نسبة القول الثاني إليه ﷻ ، فهي تؤدي إلى نفس النتيجة . فهو وإن ينفي صحة نظرية الطلب والعرض ويربطها

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء التاسع عشر ص ٩٠ .

(٢) لئالي الأخبار للتسركاني ص ١٧٧ .

بالقضية الغيبة ، إلا ان مجرد طرح تلك النظرية يدلّ على سبق فكري عظيم . ولا أحوال أن أحدا سبق الإمام زين العابدين عليه السلام في طرح هذه الفكرة التي قامت عليها النظرية الاقتصادية الحديثة.

٣ . كروية الأرض : في دعائه عليه السلام في ولوج الليل بالنهار : (... يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه ...) يستفاد بالدلالة على كروية الأرض من تكرار جملة (يولج ...) قال الشيخ بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣١ هـ) : (ان تكرار الجملة الثانية تؤدي . حسب الظاهر . المراد منها . وهو حمل الواو على الحال لأمر مستغرب وهو حصول الزيادة والنقصان معا في كل واحد من الليل والنهار في آن واحد . وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الإستواء والجنوبية عنه سواء كانت مسكونة أم لا ، فأن صيف الشمالية شتاء الجنوبية وبالعكس فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد لكن في بقعتين ، وكذلك زيادة الليل ونقصانه) .

ويعنى أوضح أنه أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور وهو كروية الأرض ، وحيث إن هذا المعنى كان بعيدا عن أفهام الناس لانصراف العقول عن إدراك ذلك ، تلتطف . وهو الإمام العالم بأساليب البيان . بالإشارة إلى ذلك على وجه بليغ ، فإنه عليه السلام لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار ، وينقص النهار تارة أخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل ، لاقتصر على الجملة الأولى : (يولج كل واحد منهما في صاحبه) ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية : (ويولج صاحبه فيه) . إذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه ، لأن ظاهر الكلام أن الجملة الثانية حالية ، ففي هذا دلالة على كروية الأرض ، وأن إيلاج الليل في النهار . مثلا . عندنا يلزم إيلاج النهار في الليل عند قوم آخرين .

ولو لم تكن مهمة الإمام عليّ عليه السلام الإشارة إلى هذه النكتة العظيمة لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة ،
ولكانت تكرارا معنويا للجملة الأولى^(١)

٤ - في دعائه لأهل الثغور ، حيث يدعو على الكافرين فيقول عليه السلام : (اللهم وامزج مياههم بالوباء
وأطعمتهم بالأدواء)^(٢) . وهو يدل على أن الماء وسط لنقل الأوبئة الفتاكة كالكوليرا والملاريا . وهذا لم
يكن معروفا زمن النص ، بل ثبت ذلك بالتجارب العلمية الحديثة.

٥ - وزن الأشياء . قال عليه السلام : (سبحانك تعلم وزن السموات ، سبحانك تعلم وزن الأرضين ،
سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ،

(١) البيان للخواص ص ٧٦ .

(٢) الصحيفة السجادية . الدعاء رقم (٢٧) ص ١٢٣ .

سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء (١)

لاشك ان معرفة وزن الشيء لا تتم إلا بوجود آلة أو واسطة لقياس تلك الكتلة من المادة . فقياس الوزن بمكيال هي عملية لها ضوابط آلية كالميزان وضوابط حسابية كالأرقام . فإذا أردنا وزن شيء فإننا نأخذ ذلك الشيء ونضعه في الميزان ونحسب بالغمات أو الأونسات وزنه . ولا يمكن وزن الشيء إلا بوجود شيء آخر مقابل له بنفس الوزن . أي لا نستطيع وزن كمية من التراب إلا بوجود كمية مقابلة من الحديد فمقدار معين من التراب يعادل كيلو واحد من الحديد مثلاً .

وإذا أراد الإنسان أن يوزن الأرض فعليه أن يحقق عمليتين مستحيلين لا يقدر عليهما إلا الله عز وجل ، وهما:

الأول : إيجاد أو صنع ميزان ضخيم بحيث يستطيع أن يضع الأرض في الكفة الأولى .

والثاني : إيجاد كتلة حديدية ضخمة بحجم الأرض يضعها في الكفة الثانية حتى يستطيع أن يعرف وزن الأرض .

والأمر أضحى بالنسبة للسموات . فمن يستطيع أن يعلم وزن الكون غير الله عز وجل ؟ ولو كان للنور والظلمة وزن لعلمها الله تعالى لأنه يعلم كل شيء . فسبحانك تعلم وزن السموات ، سبحانك تعلم وزن الأرضين .

(١) الصحيفة السجادية . الدعاء الرقم (٥١) ص ٢٣٩ .

ج . قضية استغفار المعصوم عليه السلام

ثبتت كل الدلائل التاريخية والعلمية على عصمة الأنبياء والأئمة الطاهرين عليه السلام عن كل ذنب ، وطهارتهم عن كل دنس أو رجس ، ونزاهتهم عن كل ما يوصم مقامهم ، ولم يصدر عنهم شيء من المعاصي الصغيرة أو الكبيرة . فكيف نفسر قول السجاد عليه السلام في دعائه : (اللهم يحجبي عن مسألتك خلال ثلاث ، ويجدوني عليها خلة واحدة . يحجبي أمرٌ أمرت به فابطأت عنه ، ونهيٌ نهيت عنه فأسرعت إليه ، ونعمة أنعمت بها عليّ فقصرت في شكرها ^(١) ، أو قوله عليه السلام) : رب افحمتني ذنوبي ، وانقطعت مقالي فلا حجة لي ^(٢) ، أو قول إمام آخر) : رب عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني ... ^(٣) ؟ فهل ان السجاد المعصوم عليه السلام قد ارتكب معصية ؟ أو انه قال ما لم يفعله عليه السلام للتوجيه والإرشاد ؟

(١) الصحيفة السجادية . دعاء ١٢ إقراره بالتقصير ص ٦٦ .

(٢) الصحيفة السجادية . دعاء ٥٣ ص ٢٤٥ .

(٣) كشف الغمة للأربلي ص ٢٥٤ . وهذا القول العطر هو للإمام الكاظم عليه السلام

وفي الجواب على ذلك نعرض بعضاً من الآراء التي حاولت تفسير استغفار الإمام المعصوم عليه السلام لنفسه ، وهي :

١ - أورد البيضاوي في (شرح المصاييح) في شرح قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم : ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة) : الغين لغة الغيم ، وغان على كذا أي غطاه عليه . قال أبو عبيدة : أي يتغشى قلبي ما يلبسه . وقد بلغنا عن الأصمعي انه سئل عن معنى الحديث ، فقال للسائل : عن قلب من تروي . فقال : عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لو كان قلب غيره لكنت أفسره لك . قال القاضي : والله در الأصمعي في انتهاج منهج الأدب وإجلاله القلب الذي جعله الله موقع وحيه ومنزل تنزيله . قال العيني : قيل الوجه في استغفاره صلى الله عليه وسلم وهو معصوم ان اشتغاله بالنظر في مصالح الأمة ومحاربة الأعداء وتأليف المؤلفات قلوبهم شاغل له عن عظيم مقامه من حضوره مع الله عز وجل وفراغه مما سواه فيراه ذنباً بالنسبة إليه ، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال فهو نزول عن عالي درجته فيستغفر لذلك ، وقيل كان دائماً في الترقى في الأحوال ، فإذا رأى ما قبلها دونه استغفر منه كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ^(١)

(١) عمدة القاري ج ١ ص ٥٢١ ، وشرح مشارق الأزهار ج ١ ص ١٨٦ . وقال في (المصباح المنير) في مادة (غين) : ... وفي حديث (وانه ليغان على قلبي) كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية ، فانما وإن كانت مهمة فهي في مقابلة الأمور الأخروية ، كاللهو عند أهل المراقبة (ج ٢ ص ١٣١)

٢ - قال الأربلي (ت ٦٨٧ هـ) في رد هذا الإشكال : ان الإنبياء والأئمة ؑ أوقاتهم مشغولة بالله تعالى وقلوبهم مملوءة به ، وخواطرهم متعلقة بالمبدأ الأعلى جل شأنه . فهم في المراقبة كما قال أمير المؤمنين ؑ : (اعبد ربك كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك) . فهذه الذوات القدسية في جميع الأنات متوجهة إلى المولى تعالى ومقبلون بكليتهم عليه فلا يرون أحدا في الوجود إلا النور الأقدس عز شأنه ، فكانوا يعدون اشتغالهم بالأكل والشرب وغيرها من المباحات حطا عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة ويرونه ذنبا وتقصيراً عما يراد منهم ، وإلى هذا وقعت الإشارة في كلامهم عليهم السلام) : حسنات الأبرار سيئات المقربين (...) (١)

ومن هذين الرأيين وغيرهما من الآراء نستنتج ان استغفار المعصوم ؑ إنما هي قضية رتبة عليا ومنزلة قصوى ، تحتّم عليه دائماً الترقى في الأحوال والتسامي إلى النور المطلق عز شأنه . فأى شاغل دنيوي مباح يشغله عن ذكر الله تعالى يعدّه سيئة من السيئات ، فيستغفر الله تعالى عن ذلك . وهذا الرأي أقرب إلى الصواب من غيره من الآراء.

(١) كشف الغمة ص ٢٥٥ .

د . مقاطع منتخبة من أدعية الصحيفة السجادية:

وهذه مقاطع قصيرة اقتطعناها من أدعية الصحيفة السجادية (٣٠٥ صفحة بالطبعة الحديثة) ، حاولنا فيها إبراز عبودية الإمام عليه السلام المخلصة لله تبارك وتعالى ، وكون الصحيفة مدرسة أخلاق وعرافان وتهذيب للمؤمنين.

الدعاء الأول : التحميد لله عز وجل

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِأَوَّلِ كِبَانِ قَبْلِهِ، وَ الْآخِرِ بِأَخِرِ يَكُونُ بَعْدَهُ . الْكَلِمَةُ قَصِيرٌ عَنِ وُدِّيهِ أَبْصَارِ النَّاطِرِينَ، وَ عَجَزَتْ عَنِ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ . ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعًا، وَ اخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيئَتِهِ اخْتِرَاعًا، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِزَادَتِهِ، وَ بَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ . لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيرًا عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقْدُّمًا إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ ...

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَكَّبَ فِيْنَا آلَاتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَنَا أَدْوَاتِ الْقَبْضِ، وَ مَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ ، وَأَثَبَتْ فِيْنَا جَوَارِحِ الْأَعْمَالِ ، وَغَدَّانَا بِطَبِيبَاتِ الرِّزْقِ ، وَأَغْنَانَا بِفَضْلِهِ ، وَأَقْنَانَا بِمَنِّهِ ، ثُمَّ أَمَرْنَا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا، وَنَهَانَا لِيَبْتَلِي شُكْرَنَا فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيقِ أَمْرِهِ وَرَكِبْنَا مُتُونِ زَجْرِهِ فَلَمْ يَبْتَدِرْنَا بِعُقُوبَتِهِ ، وَ لَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ بَلْ تَأَنَّنَا بِرَحْمَتِهِ تَكْرُمًا، وَانْتَظَرَ مُرَاجَعَتَنَا بِرَأْفَتِهِ حِلْمًا...

الدعاء الثاني : الصلاة على محمد وآله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَلِمَةِ مِنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ دُنِ الْأَبَمِ الْمَبَاضِيَةِ مَلَقِبُ السَّالِقَةِ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَ إِنَّ عَظَمَ، وَ لَا يُفَوِّتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ، فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَمَّ وَ جَعَلْنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَكَثَّرْنَا بِمَنِّهِ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِ . اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ ، وَنَجِيكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ صَفِيكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحِ الْبُرْكَاتِ، كَمَا نَصَبَ لِامْرِكِ نَفْسَهُ ، وَ عَرَّضَ فَيْكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ وَ حَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ وَقَطَعَ إِحْيَاءَ دِينِكَ رَحْمَةً ...

الدعاء الثالث : الصلاة على حلمة العرش

اللَّهُمَّ وَحَمَلَهُ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يُفْتَرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ، وَلَا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيرِكَ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا يُؤْتِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِكَ، وَلَا يَعْغُلُونَ عَنِ الْوَلِيهِ إِلَيْكَ. وَإِسْرَافِيْلُ صَاحِبُ الصُّورِ، الشَّاحِصُ الْكَلْبِ يَنْتَظِرُ مِنْكَ الْاِذْنَ وَخُلُوعَ الْأَمْرِ، فَيُنْبِئُهُ بِالنَّفْحَةِ صَرَعى رَهَائِنِ الْقُبُورِ. مِكَائِيلُ وَجُجَابَاهُ عِنْدَكَ، وَالْمَكَانِ الرَّفِيعِ مِنْ طَاعَتِكَ. وَجِبْرِيْلُ الْأَمِينِ عَلَى وَحْيِكَ، الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ، الْمَكِينُ لَدَيْكَ، الْمُقَرَّبُ عِنْدَكَ، وَالرُّوْحُ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجُبِ، وَالرُّوْحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ.

الدعاء الرابع : الصلاة على مُصَدِّقِي الرُّسُلِ

... اللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ، وَالَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانُوا فِي سَبْرِهِمْ إِلَى وَفَادَتِهِ وَسَبَابَتِهِ إِلَى دَعْوَتِهِ وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حِجَّةَ رَبَّالَاتِهِ، وَبَارَأُوا الْأَرْوَاحَ وَالْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيْتِ نُبُوَّتِهِ، وَأَنْتَصَرُوا بِهِ وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تَحَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ، وَالَّذِينَ هَجَرْتَهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَأَنْتَفَتْ مِنْهُمْ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ، فَلَا تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ، وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْلِكَ بِرَبَّابَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكَانُوا مَعَ رُسُولِكَ دُعَاةً لَكَ إِلَيْكَ ...

الدعاء الخامس : دعاؤه لنفسه وخاصته

... اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِنَا مِنْكَ، وَاحْفَظْنَا بِكَ، وَاهْدِنَا إِلَيْكَ، وَلَا تُبَاعِدْنَا عَنْكَ إِنَّ مِنْ تَقِيهِ يَسْلَمُ، وَمَنْ تَهْدِهِ يَعْزَمُ، وَمَنْ تُقْرِئُهُ إِلَيْكَ يَعْزَمُ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكُنَّا جَدَّ نَوَاتِبِ الزَّمَانِ، وَشَرَّ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ وَمَرَارَةَ صَوْلَةِ السُّلْطَانِ. اللَّهُمَّ إِنَّمَا يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكُنَّا وَإِنَّمَا يُعْطَى الْمُعْطُونَ مِنْ فَضْلِ جَدَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْطِنَا، وَإِنَّمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهْدِنَا ...

الدعاء السادس : دعاؤه الصباح والمساء

أَلْحَمِدُ لَهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّرَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدًّا مَحْدُودًا، وَأَمَدًا مَمْدُودًا، يُوَلِّجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُوَلِّجُ صَاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِيمَا يَغْدُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ، فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ، وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَهُ لِبَاسًا لِيَلْبَسُوا مِنْ رَأْتِهِ وَمَنَامِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ جَمَامًا وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَبَدَّةً وَشَبَهُهُ . بِحَقِّ بِيَمِ النَّهَارِ مُبْصِرًا لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ

الدعاء السابع : دعاؤه في المهمات

يَا مَنْ تُحَلُّ بِهٖ عَقْدُ الْمَكَارِهِ ، وَيَا مَنْ يُفْتَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ ، وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ الْمَخْرُجُ إِلَى رُوحِ الْفَرْجِ ، ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابُ وَتَسَبَّبتْ بِلَطْفِكَ الْاَسْبَابُ ، وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءُ وَمَضَتْ عَابِي إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءُ ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤَمَّرَةٌ ، وَإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ . أَنْتَ الْمَدْعُورُ لِلْمِهْمَاتِ ، وَأَنْتَ الْمَفْرَعُ فِي الْمُلَمَّاتِ ، لَا يَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلَّا مَا دَفَعْتَ ، وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَشَفْتَ . وَقَدْ نَزَّ يَا رَبِّ مَا قَدْ تَكَادَيْتَ ثِقْلُهُ ، وَأَلَمَّ بِي مَا قَدْ بَهَظِي حَمْلُهُ ...

وَافْتَحْ لِي يَا رَبِّ بَابَ الْفَرْجِ بِطَوْلِكَ ، وَاسْكِرْ عَنِّي سُلْطَانَ الْهَمِّ بِحَوْلِكَ ...

الدعاء الثامن : دعاؤه في الاستعاذة

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْبُدُ بِكَ مِنْ هَيْجَانِ الْحَرِصِ ، وَسُورَةِ الْعَضْبِ وَعَلْبَةِ الْحَسِدِ وَضَعْفِ الصَّبْرِ وَقَلَّةِ الْقَنَاعَةِ وَشَكَاةِ الْخُلُقِ ، وَالْحَمَاحِ الشَّهْوَةِ ، وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ ، وَمُتَابَعَةِ الْهَوَى ، وَخُلْفَةِ الْهُدَى ، وَسِنَةِ الْعُقْلِيَّةِ ، وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ ، وَإِثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ وَالْاَضْرَارِ عَلَى الْمَأْتَمِّ ، وَاسْتِصْعَارِ الْمَعْصِيَةِ ، وَاسْتِكْتَارِ الظَّاعَةِ ، وَمُبَاهَاةِ الْمُكْتَرِبِينَ ، وَالْاِزْرَاءِ بِالْمُقَلَّبِينَ ، وَسُوءِ الْوِلَايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا ...

الدعاء التاسع : دعاؤه في الاشتياق إلى طلب المغفرة

... اللَّهُمَّ وَمَتَى وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَأَوْقِعِ النَّقْصَ بِأَسْرَعِهِمَا فَنَاءً ، وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ فِي أَطْوَاهِمَا بَقَاءً . وَإِذَا هَمَمْنَا بِهَمِّينِ يُرْضِيكَ أَحَدُهُمَا عَنَّا وَيُسْخِطُكَ الْاٰخَرُ عَلَيْنَا ، فَمِلْ بِنَا إِلَى مَا يُرْضِيكَ عَنَّا ، وَأَوْهِنْ قُوتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا ، وَلَا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنَا وَاخْتِيَارِهَا؛ فَإِنَّهَا مُخْتَارٌ لِلْبَاطِلِ إِلَّا مَا وَقَفْتَ أَمَّاهاً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتَ ...

الدعاء العاشر : في اللجوء إلى الله تعالى

اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ تَعْفُ عَنَّا فَيَفْضَلِكِ ، وَإِنْ تَشَأْ تُعَذِّبْنَا فَبِعَذَابِكَ . فَسَهِّلْ لَنَا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ ، وَأَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجَاوُكَ؛ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِعَدِّكَ ، وَلَا نَجَاةَ لِاحِدٍ دُونَ عَفْوَكَ . يَا غَنِيَّ الْأَغْنِيَاءِ ، هَا نَحْنُ عِبَادُكَ ، وَأَنَا أَفْقَرَاءُ إِلَيْكَ فَأَجْبِرْ فَاقْتِنَا بِوَسْعِكَ ، وَلَا تَقْطَعْ رِجَاءَنَا بِمَنِّكَ فَتَكُونُ قَدْ أَشَقَّيْتِ مَنْ اسْتَسْعَدَ بِكَ ، وَجَرَّمْتِ مَنْ اسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ . فَإِلَى مَنْ حِينَمَا مُنْقَلَبْنَا عَنكَ ، وَإِلَى أَيْنَ مَذْهَبْنَا عَنْ بَابِكَ؟ ...

الدعاء الحادي عشر : دعاؤه بخواتم الخير

يَا مَنْ ذَكَرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ شَكَرُهُ فَوُزٌ لِلشَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ طَاعْتُهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ، صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاشْعَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنِ كُلِّ طَاعَةٍ. فَإِنْ قَبِّرْ لَنَا فَرَاغًا مِنْ شُبُلٍ فَاجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلَامَةٍ لَا تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ وَلَا تَلْحَقُنَا فِيهِ سَبَامَةٌ حَتَّى يَنْضُرَ عَنَّا كُتَابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا وَيَتَبَوَّلَى كُتَابَ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا ...

الدعاء الثاني عشر : دعاؤه في الاعتراف وطلب التوبة

اللَّهُمَّ إِنَّهُ يُحِبُّنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلَالَ ثَلَاثٍ وَتَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ وَاحِدَةٌ ، يُحِبُّنِي أَمْرٌ أَمِيرٌ بِهِ فَأَبْطَأْتُ عَنْهُ، وَنَهَيْتَنِي عَنْهُ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، وَنِعْمَةٌ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا. يَرْبُّونِي عَلَيَّ مَسْأَلَتِكَ تَفَضُّلِكَ عَلَيَّ مِنْ أَقْبَلِ بِوَجْهِهِ إِلَيْكَ، وَوَفَدَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ إِلَيْكَ ، إِذْ جَمِيعُ إِحْسَانِكَ تَفَضُّلٌ، وَمَذْكَرُ كُلِّ نِعْمِكَ إِتْبَاءٌ. فَهَذَا أَنَا يَا إِلَهِي وَأَقِفْ بِيَابِ عِرْكَ وَتُوقِفِ الْمُسْتَسْلِمِ الدَّلِيلِ، وَسَائِلِكَ عَلَيَّ الْحَيَاءِ مِنْ سُرُولِ الْبَائِسِ الْمُعِيلِ ...

الدعاء الثالث عشر : دعاؤه في طلب الحوائج إلى الله تعالى

اللَّهُمَّ يَا مُتَّهَى مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ، وَيَا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ، وَيَا مَنْ لَا يَبِيعُ نِعْمَهُ بِالْأَثْمَانِ، وَيَا مَنْ لَا يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بِالْأَمْتِنَانِ، وَيَا مَنْ يُسْتَعْنَى بِهِ وَلَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ، وَيَا مَنْ يُرْعَبُ إِلَيْهِ وَلَا يَرِغَبُ عَنْهُ. وَيَا مَنْ لَا تُفْنَى خَزَائِنُهُ الْمَسَائِلُ، وَيَا مَنْ لَا تُبَدَّلُ حِكْمَتُهُ الْوَسَائِلُ. وَيَا مَنْ لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ جَمْرُجِ الْمُحْتَاجِينَ وَيَا مَنْ لَا يُعْنِيهِ دُعَاءُ الدَّاعِينَ، تَمَدَّحْتَ بِالْعَنَاءِ عَنِ خَلْقِكَ وَأَنْتَ أَهْلُ الْغِنَى عَنْهُمْ، وَنَسَبْتَهُمْ إِلَى الْفَقْرِ وَهُمْ أَهْلُ الْفَقْرِ إِلَيْكَ. فَمَنْ جَاوَزَ سِدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عَيْدِكَ وَرَامَ صِرَافَ الْقَبْرِ عَنِ نَفْسِهِ بِكَ، فَقَدْ طَلَبَ حَاجَتَهُ فِي مَطَاوِئِهَا وَأَتَى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِهَا ...

الدعاء الرابع عشر : دعاؤه في الظلمات

يَا مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَنْبَاءُ الْمُتَظَلِّمِينَ وَيَا مَنْ لَا يَجْتَبِجُ فِي قِصَصِهِمْ إِلَى شِبَهَاتِ الشَّاهِدِينَ وَيَا مَنْ قَرَّبَتْ نُصْرَتُهُ مِنَ الْمَظْلُومِينَ، وَيَا مَنْ بَعَدَ عَوْنُهُ عَنِ الظَّالِمِينَ، قَدْ عَلِمْتَ يَا إِلَهِي مَا نَالَنِي مِنْ [فِيْلَابِ بْنِ فِيْلَابِ] إِذَا مَا حَضَرْتُ، وَأَنْتَ هَكَهُ مِنِّي إِذَا مَا حَضَرْتَ عَلَيْهِ، بَطْرًا فِي نِعْمَتِكَ عِنْدَهُ، وَاعْتِرَازًا بِنَكِيرِكَ عَلَيْهِ. فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَخُذْ ظَالِمِي وَعَدُوِّي عَنِ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ، وَأَفْلُلْ حَدَّ عَنِّي بِقُدْرَتِكَ، وَاجْعَلْ لَهُ شُغْلًا فِيمَا يَلِيهِ وَعَجْزًا عَمَّا يُنَاوِيهِ ...

الدعاء الخامس عشر : دعاؤه عند المرض

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ يَا مَنْ لَمْ يَلْ أَتَصَرَّفْ فِيهِ مِنْ سَلَامَةِ بَدَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحَدْتَنِي فِي مَنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي . فَمَا أَذْرِي يَا إِلَهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ، وَأَقْبَتِ الصِّحَّةَ الَّتِي هَنَأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشَطَّتَنِي بِهَا لِابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَفَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ أَمْ وَفَّتْ الْعِلَّةُ الَّتِي مَحَّضْتَنِي بِهَا، وَالنِّعَمُ الَّتِي أَنْحَفْتَنِي بِهَا فَيُفَا لِمَا تُقْبَلُ بِهِ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الخَطِيئَاتِ وَتَطْهِيْرًا لِمَا انْعَمَسْتَ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ ...

الدعاء السادس عشر : دعاؤه في الاستقالة من الذنوب

... يَا يَا إِلَهِي عَبْدُ الْكَذَّابِ أَمَرْتَهُ بِالذُّعَاءِ فَقَالَ: لَبَّيْكَ وَسَبَّحَكَ، هَا أَنَا ذَا يَا رَبِّ مَطْرُوحٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، أَنَا الَّذِي أَوْقَرْتُ الْحَطَايَا ظَهْرَهُ، وَأَنَا الَّذِي أَفْنَتِ الذُّنُوبَ عُمْرَهُ، وَأَنَا الَّذِي بَجَهْلِي صَدَّكَ بِمَنْ تَكُنْ أَهْلًا مِنْهُ لِذَلِكَ. هَبْ أَنْتَ يَا إِلَهِي بِرَحْمٍ مِنْ دَعَاكَ فَأُبْلِغْ فِي الدُّعَاءِ، أَمْ أَنْتَ عَافِرٌ لِمَنْ بَكَكَ فَأُسْرِعْ فِي الْبُكَاءِ، أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عَفَّرَ لَكَ وَجْهَهُ تَذَلُّلاً، أَمْ أَنْتَ مُعْنٍ مَنْ شَكَا إِلَيْكَ فَقَفَّرَهُ تَوَكُّلاً؟ إِلَهِي لَا تُحَيِّبْ مَنْ لَا يَجِدُ مَعْطِياً غَيْرَكَ، وَلَا تَخْذُلْ مَنْ لَا يَسْتَعِينِي عَنْكَ بِأَحَدٍ دُونَكَ ...

يَا إِلَهِي لَوْ بَكَيتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَاؤُ عَيْنِي، وَأَنْتَ حَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَفُتُّ لَكَ حَتَّى تَنْتَشِرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الْأَرْضِ طُولَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي وَذَكَرْتُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَ لِسَانِي ثُمَّ رَأَيْتُ رَافِعَ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ اسْتِحْيَاءً مِنْكَ مَا اسْتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَخَوَ سَيِّئَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي ...

الدعاء السابع عشر : دعاؤه على الشيطان

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَكَيْدِهِ وَمَكَائِدِهِ، وَمِنْ الثَّقَةِ بِأَمَانِيهِ وَمَمَوَعِيدِهِ وَغُرُورِهِ وَمَصَائِدِهِ، وَأَنْ يُطْمِعَ نَفْسَهُ فِي إِضْلَالِنَا عَنْ طَاعَتِكَ وَامْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ، أَوْ أَنْ يُخَسِّنَ عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ لَنَا، أَوْ أَنْ يَنْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرِهَ إِلَيْنَا. اللَّهُمَّ احْسَأْهُ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ، وَاكْتِبْهُ بِدُؤُوبِنَا فِي مَحَبَّتِكَ، وَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِتْرًا لَا يَهْتِكُهُ، وَرُدِّمْنَا مُضْمِتًا لَا يَفْتُنُّهُ ...

الدعاء الثامن عشر : دعاؤه في المحذرات

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى حُسْنِ قَضَائِكَ، وَمَا صَرَفْتَ عَنِّي مِنْ بَلَائِكَ، فَلَا تَجْعَلْ حَظِّي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عَافِيَتِكَ فَأَكُونَ قَدْ شَقِيْتُ بِمَا أَحْبَبْتُ وَسَعَدَ غَيْرِي بِمَا كَرِهْتُ، وَإِنْ يَكُنْ مَا ظَلَمْتُ فِيهِ وَأَبَتْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْعَافِيَةِ بَيْنَ يَدَيَّ بَلَاءٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَوِزْرٌ لَا يَزْتَفِعُ. فَقَدِّمْ لِي مَا أَخَّرْتَ، وَأَخِّرْ عَنِّي مَا قَدَّمْتَ. فَغَيْرُ كَثِيرٍ مَا عَاقَبْتَهُ الْفَنَاءُ، وَغَيْرُ قَلِيلٍ مَا عَاقَبْتَهُ الْبَقَاءُ ...

الدعاء التاسع عشر : دعاؤه في الاستسقاء

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْعَيْثَ، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِعَيْثِكَ الْمُعْدِي مِنَ السَّحَابِ الْمُنْسَاقِ لِنَبَاتِ رَأْسِكَ الْمُونِقِ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ، وَآمِنُنْ عَلَيَّ عِبَادِكَ بِإِنْبَاعِ الشَّمْرَةِ، وَأَخِي بِالْأَدَاكِ بِمُلُوحِ الرَّهْرِ. وَشَهِدْ مَلَائِكَتِكَ الْكَرَامِ السَّفَرَةَ بِسَمِّي مِنْكَ نَافِعَ دَائِمٍ، عَزْزُهُ وَاسِعٌ، دِرْزُهُ وَابِلٌ، سَرِيعَ عَاجِلٍ، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ، وَتُخْرِجُ بِهِ مَا هُوَ آتٍ، وَتُوسِّعُ بِهِ فِي الْأَقْوَاتِ ...

الدعاء العشرون : دعاؤه في مكارم الأخلاق

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَأَنْتَبِهْ بِنَيْتِي إِلَى أَحْسَنِ النَّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ. اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نَيْتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَسَتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الْاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمَلُنِي بِمَا تَسْأَلُنِي عَبْدًا عَبْدَهُ وَاسْتَفْرِغْ أَبْيَامِي فِيَمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلَا تَقْتِنِي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي، وَلَا تَبْتَلِيَنِي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَيَّ يَدَيَّ الْحَيْرِ، وَلَا تَخْفُهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَأَعِصِمْنِي مِنَ الْفُخْرِ. اللَّهُمَّ صَبِّحْ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلِهِ، وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَّطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلَا تُحَدِّثْ لِي عِزًّا ظَاهِرًا إِلَّا أَجَدَّدْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقُدْرَتِهَا ...

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّيِّ وَالتَّظَنِّيِّ وَالْحَسَدِ ذِكْرًا لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّرًا فِي قُدْرَتِكَ، وَتَذَبِيرًا عَلَيَّ عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرَى عَلَيَّ لِسَانِي مِنْ لَفْظَةٍ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَتْمٍ عَرَضٍ أَوْ شَهَادَةٍ بَاطِلٍ أَوْ اغْتِيَابٍ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نَطْقًا بِالْحَمْدِ لَكَ وَإِعْرَاقًا فِي الشَّنَاءِ عَلَيَّكَ، وَهَابًا بِحَدِّكَ شَيْكُرًا لِعَمَلِكَ عِبْرَةً لِحَسَنَاتِكَ وَحِصَاءً لِمَنَنِكَ...

الدعاء الحادي والعشرون : دعاؤه إذا حزنه أمر

اللَّهُمَّ يَا كَايِي الْفَرْدِ الضَّعِيفِ، وَوَاقِي الْأَمْرِ الْمَخُوفِ، أَفْرَدْتَنِي الْخَطَايَا؛ فَلَا صَاحِبَ مَعِي، وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكَ؛ فَلَا مُؤَيِّدَ لِي، وَأَشْرَفْتُ عَلَيَّ خَوْفٌ لِقَائِكَ؛ فَلَا مُسَكِّنَ لِزَعَجِي. وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَنَبْتَ أَخْفَبْتَنِي وَمَنْ يَسَاعِدُنِي وَنَبْتَ أَفْرَدْتَنِي وَمَنْ يَقْبَلُونِي وَنَبْتَ أَضْعَفْتَنِي؟ لَا يُجِيرُ يَا إِلَهِي إِلَّا رَبِّي عَلَيَّ مَرْثُوبٌ، وَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا غَالِبٌ عَلَيَّ مَغْلُوبٌ، وَلَا يُعِينُ إِلَّا طَالِبٌ عَلَيَّ مَطْلُوبٌ، وَيَبِيدُكَ يَا إِلَهِي جَمِيعَ ذَلِكَ السَّبَبِ، وَإِلَيْكَ الْمَقْرُ وَالْمَهْرُبُ ...

إِلَهِي أَصْبَحْتُ وَمَسَيْتُ عَبْدًا دَاخِرًا لَكَ، لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا بِكَ أَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيَّ نَفْسِي وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتِي وَقَلَّةِ حِيلَتِي فَأَبْخُرُ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَتَمِّمْ لِي مَا آتَيْتَنِي؛ فَإِنِّي عَبْدٌ الْمُسْبِكِينَ الْمُسْتَكِينِ الضَّعِيفِ الضَّرِيرِ الدَّلِيلِ الْحَقِيرِ الْمُهِينِ الْفَقِيرِ الْخَائِفِ الْمُسْتَجِيرِ ...

الدعاء الثاني والعشرون : دعاؤه عند الشدة

اللَّهُمَّ إِنَّكَ كَلَّفْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا أَنْتَ أَمْلِكُ بِهِ مِنِّي، وَقُدْرَتِكَ عَلَيَّ وَعَلَيَّ أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي، فَأَعْطِنِي مِنْ نَفْسِي مَا يُرْضِيكَ عَنِّي، وَخُذْ لِنَفْسِكَ رِضَاهَا مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَةٍ. اللَّهُمَّ لَا طَاقَةَ لِي بِالْجُهْدِ، وَلَا صَبْرَ لِي عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الْفَقْرِ، فَلَا تَحْطُرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى خَلْقِكَ بَلْ تَفَرِّدْ بِحَاجَتِي، وَتَوَلَّ كِفَايَتِي، وَانْظُرْ إِلَيَّ وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي، فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا، وَلَمْ أَقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَإِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَإِنْ أَلْجَأْتَنِي إِلَى قَرَابَتِي حَزَمُونِي، وَإِنْ أَعْطُوا أَعْطُوا قَلِيلًا نَكِدًا، وَمَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلًا وَدَمُّوا كَثِيرًا. فَبِمُضْلِكَ اللَّهُمَّ فَأَعْنِي ...

الدعاء الثالث والعشرون : دعاؤه بالعافية

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً عَالِيَةً نَامِيَةً، عَافِيَةً تُؤَلِّدُ فِي بَدَنِي الْعَافِيَةَ، عَافِيَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالصَّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ فِي دِينِي وَبَدَنِي، وَالْبَصِيرَةِ فِي قَلْبِي وَالتَّقَاذِ فِي أُمُورِي وَالْحَشْيَةِ لَكَ، وَالْحَتُوفِ مِنْكَ وَالْقُوَّةَ عَلَيَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَالاجْتِنَابِ لِمَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ ...

الدعاء الرابع والعشرون : دعاؤه لابويه

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَاحْضُصْ أَبَوَيَّ بِأَفْضَلِ مَا خَصَّصْتَ بِهِ آبَاءَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأُمَّهَاتِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ لَا تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي ذُبَابِ صَلَواتِي وَفِي أَنَا مِنْ أَنَاءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ نَهْجِي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاعْفِرْ لِي بِدُعَائِي هُمَا، وَاعْفِرْ لهُمَا بِرَبِّهِمَا بِي، مَغْفِرَةً حَتْمًا طَرًّا عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لهُمَا رِضَى عَزْمًا، وَبَلِّغُهُمَا بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلَامَةِ ...

الدعاء الخامس والعشرون : دعاؤه لولده

اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوْدِي، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي، وَأَخْبِي بِهِمْ ذِكْرِي، وَكَفِّنِي بِهِمْ فِي عَيْتِي وَأَعْيِي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُجِبِينَ، وَعَلَيَّ حَدِيثِينَ مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي، مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا حَاطِطِينَ، وَأَعْيِي عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبِرِّهِمْ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَادًا ذُكُورًا، وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْرًا لِي وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْنًا عَلَى مَا سَأَلْتُكَ، وَأَعِزِّي وَرِئِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ...

الدعاء السادس والعشرون : دعاؤه لجيرانه وأوليائه

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَبَوَّلْنِي فِي حَيْرَتِي وَمَمَلِيَّ لِمَنْ لَبَّارِينَ بِحَقِّبَا لِمَنْبَابِيذِينَ لِإِعْبَادِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ، وَوَقِّفْهُمْ لِأَقَامَةِ سُنَّتِكَ وَالْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِزْفَاقِ ضَعْفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهَدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَتَعَهُدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُوَأَسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونَ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَّةِ وَالْإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ ...

الدعاء السابع والعشرون : دعاؤه لأهل النُور

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ نُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جَدِّتِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَأَشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَأَحْرُسْ حَوْرَتَهُمْ، وَأَمْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلْفِ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكَفَايَةِ مَوْرِهِمْ، وَأَعِضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعْنِهِمْ بِالصَّبْرِ، وَالطُّفِّ هُمْ فِي الْمَكْرِ ...

اللَّهُمَّ وَقُوِّ بِذَلِكَ مَحَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ، حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ وَلَا تُعَفَّرَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ وَذُنُوبُكَ. اللَّهُمَّ اغْزِ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيَّ مَنْ بَارَأَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلَائِكَةِ مَنْ عِنْدَكَ مُرْفِينَ حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إِلَى مُنْقَطِعِ الثَّرَابِ قَبْلًا فِي رَأْضِكَ وَسِرَاوٍ يَقْرَؤُوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْكَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ...

الدعاء الثامن والعشرون : دعاؤه في التفرُّع إلى الله عز وجل

... فَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ وَذُنُوبِي كَبْلٌ مَسْبُورٌ مُؤْضِعٌ مَسْأَلَتِي هُوَ نَجْوَى مُطْلُوبٍ إِلَيْهِ وَلِيٌّ جَاجِحِي. أَنْتَ الْمَخْصُوبُ قَبْلَ كَبْلٍ مَدْعُورٍ بِدَعْوَتِي لَا يَشْرُكَكَ أَحَدٌ فِي رَحَائِي، وَلَا يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلَا يَنْظُمُهُ وَيَأْتِيكَ نِدَائِي لَكَ يَا إِلَهِي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَهُ الْفُدْرَةُ الصَّمَدِ، وَفَضِيلُهُ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ مَرْفَعَةٌ وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِهِ، مُحْتَلِفٌ الْحَالَاتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ. فَتَعَالَيْتَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْإِنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ...

الدعاء التاسع والعشرون : دعاؤه إذا فُتِرَ عليه الرزق

اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنِي فِي رَأْفَتِي بِسُوءِ الظَّنِّ وَفِي آخِلَانِيَا بِطُولِ الْأَمَلِ حَتَّى التَّمَسَّبْتُ بِرَأْفَتِكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ، وَطَمَعْنَا بِأَمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لَنَا يَقِينًا صَادِقًا تَكْفِينًا بِهِ مِنْ مَوَوْنَةِ الطَّلَبِ، وَأَهْمِنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ، وَاجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَّتِكَ فِي وَحْيِكَ، وَأَتَّبَعْتَهُ مِنْ قِسْمِكَ فِي كِتَابِكَ قَاطِعًا لَاهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ الَّذِي تَكْفَلْتَ بِهِ وَحَسَنَ تِلَاشِ عَمَلِهِ يَا ضَمِنْتَ الْكَفَايَةَ لَهُ، فَقُلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ الْإِصْدَاقُ وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمْتَ الْأَبْرُ الْإِنْفَى: (وَفِي السَّمَاءِ رُفْقُكُمْ وَمَا تُوَعِدُونَ) ثُمَّ قُلْتَ: (فِي السَّمَاءِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِحَقِّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ)

الدعاء الثلاثون : دعاؤه في المعونة على قضاء الدين

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَهَبْ لِي الْعَافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تُخَلِّقُ بِهِ وَجْهِي، وَيَحَارُ فِيهِ ذَهْنِي، وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَيَطُولُ بِمُمارَسَتِهِ شُغْلِي، وَأَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَبْهِهِ. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَعِدْنِي مِنْهُ. ﷻ سَتَجِيرُ بِكَ يَا رَبِّ ﷻ مِنْ ذَلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ وَمِنْ تَبَعْتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ ...

الدعاء الحادي والثلاثون : دعاؤه بالتوبة

... هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب، وقادته أزمته الخطايا، واستحوذ عليه الشيطان، فقصر عما أمرت به تفرطاً، ونعاطى ما نهيت عنه تعزيراً، كالجاهل يهدرتك عليه، أو كالمُنكرِ فضل إحصانك إليه، حتى إذا انفتح له بصير الهدى، وتفتشت عنه سحائب العمى أخصى ما ظلم به نفسه، وفكر فيما خالف به ربه، فرأى كبير عصيانه كبيراً، وحليل مخالفته جليلاً، فأقبل نحوك مؤملاً لك، مستحياً منك ...

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كِبَائِرِ ذُنُوبِي وَصِغَائِرِهَا وَبِمَطْنِ سَيِّئَاتِي وَظَمِّهِرِهَا، وَسَوَالِفِ زَلَّاتِي وَحَوَادِثِهَا، تَوْبَةً مَنْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ، وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلَهِي فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَتَغْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ، فَأَقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ ﷻ وَغَفِّ عَن سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمِنْتَ ...

اللَّهُمَّ إِنْ يَكُنِ التَّدْمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرُّكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنْابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُتَنَبِّئِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الْإِسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ. اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرَ ﷻ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ وَحَشِنْتَ عَلَى الدُّعَاءِ وَوَعَدْتَ الْإِجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِهِ وَأَقْبَلْ تَوْبَتِي وَلَا تَرْجِعْنِي مَرَجِعَ الْعِيْبَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُتَنَبِّئِينَ ...

الدعاء الثاني والثلاثون : دعاؤه في صلاة الليل

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْمُتَابِدِ بِالْخُلُودِ وَالسُّلْطَانِ الْمُتَمَتِّعِ بِغَيْرِ حُجُودٍ وَلَا أَعْوَانٍ، وَالْعِزِّ الْبَاقِي عَلَى مَبَرِّ الدُّهُورِ، وَخَوَالِي الْأَعْوَامِ، وَمَوَاضِي الْأَزْمَانِ وَالْأَيَّامِ، عَزَّ سُلْطَانُكَ عِزًّا لَا حَدَّ لَهُ بِأَوْلِيَّةٍ وَلَا مُنْتَهَى لَهُ بِآخِرِيَّةٍ، وَاسْتَعْلَى مُلْكُكَ غُلُوبًا سَقَطَتْ الْأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمْدِهِ وَلَا يَبْلُغُ أَدْنَى مَا اسْتَأْثَرَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَقْصَى نَجْعِ النَّاعِتِينَ. ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ وَتَفَسَّخَتْ وَدُبُّكَ التُّبُوتِ وَحِبَارٍ فِي كِبَرِيَّاتِكَ لَطَائِفِ الْأَوْهَامِ، كَذَلِكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَوَّلُ فِي أَوْلِيَّتِكَ ...

وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ اسْتَحْيَى لِنَفْسِهِ مِنْكَ، وَسَخَطَ عَلَيْهَا، وَرَضِيَ عَنْكَ فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ، وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ، وَظَهَرَ مُثْقَلٌ مِنَ الْخَطَايَا وَاقْفَاءً بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَجَاهُ، وَأَحَقُّ مَنْ خَشِيَهُ وَاتَّقَاهُ، فَاعْطِنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ، وَأَمِنِّي مَا حَذَرْتُ، وَعُدْ عَلَيَّ بِعَائِدَةِ رَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمَسْئُولِينَ ...

الدعاء الثالث والثلاثون : دعاؤه في الاستخارة

اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتِجَابَةَ بَعْلَمِكَ وَصَلَّاءَ لِي مُحَمَّدًا بَدُو رِيهِ وَضِي لِي ° بِحُدُودِهَا وَأَهْلِمْنَا مَعْرِفَةَ الْاِخْتِيَارِ، وَاجْعَلْ لِي رِجْعَةً إِلَى لَهْدِي مَا بَا قَضَيْتَ لَنَا وَتَسَلَّيْتُمْ لِمَا حَكَمْتُمْ. فَأَرْجِعْ عَنَّا رَبِّ الْاِخْتِيَابِ، وَأَيِّدْنَا بِيَقِينِ الْمُخْلِصِينَ، وَلَا تَسْمُنَا عَجْزَ الْمَعْرِفَةِ عَمَّا تَخَيَّرْتُمْ، فَتَنْعِمَ قَدْرَكَ، وَتَكْرَهُ مَوْضِعَ رِضَاكَ، وَتَجَنَّحَ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَتَقْرَبَ إِلَى ضِدِّ الْعَاقِبَةِ .

الدعاء الرابع والثلاثون : دعاؤه إذا ابتلي أو رأى مبتلى بفضيحة أو بذنوب

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سِتْرِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ ، وَمُعَافَاتِكَ بَعْدَ خُبْرِكَ ، فَكُنَّا قَدْ افْتَرَفَ الْعَاقِبَةَ فَلَمْ نَشْهَرَهُ ، وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ فَلَمْ تَفْضَحْهُ وَتَسْتَرَّ بِالْمَسَاوِي فَلَمْ تَذُلْ عَلَيْهِ، كَمْ نَهَى لَكَ قَدْ أَتَيْنَاهُ، وَأَمْرٌ قَدْ وَقَفْتَنَا عَلَيْهِ فَتَعَدَّيْنَاهُ، وَسَيِّئَةً اِكْتَسَبْنَاهَا، وَخَطِيئَةً ارْتَكَبْنَاهَا، كُنْتَ الْمُطَّلِعَ عَلَيْهَا دُونَ النَّاطِرِينَ، وَالْقَادِرَ عَلَى إِغْلَاقِهَا فَوْقَ الْقَادِرِينَ، كَانَتْ عَافِيَتُكَ لَنَا حِجَابًا دُونَ أَبْصَارِهِمْ، وَرَدْمًا دُونَ أَسْمَاعِهِمْ، فَاجْعَلْ مَا سَتَرْتَ مِنَ الْعُورَةِ، وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخِيلَةِ وَاعْظُمْنَا لَنَا ...

الدعاء الخامس والثلاثون : دعاؤه في الرضا بالقضاء

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَآلِهِ وَطَيِّبِ بِفَضْلِكَ نَفْسِي وَرَجِّعْ بَوَاقِعَ حُكْمِكَ صَبْرِي وَهَبْ لِي التَّقْبَةَ
وَإِبْرًا مَعَهَا لِي ضِدَّكَ َ يَجْرُ إِلَّا بِالْحَيْثِ ِمَجْعَلِ شُكْرِي لَكَ عَلَى مَا وَزَيْتَ عَنِي وَأَفْرَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاكَ
عَلَى مَا حَوَّلْتَنِي وَمَعْصَمْتَنِي مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدَمِ حَسَّاسَةً، أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ فَضْلًا، فَإِنَّ الشَّرِيفَ
مَنْ شَرَفْتَهُ طَاعَتِكَ، وَالْعَزِيزَ مَنْ أَعَزَّتَهُ عِبَادَتِكَ ...

الدعاء السادس والثلاثون : دعاؤه عند سماع الرعد

... اللَّهُمَّ لِي لِحَاقٍ مُمَدِّدٍ وَآلِهِ وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هَذِهِ السَّحَابِ وَبَرَكَاتَهَا، وَاصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا
وَمَضَرَّتَهَا، وَلَا تُصِبْنَا فِيهَا بَاقَةٌ، وَلَا تُرْسِلْ عَلَيَّ مَعَايِشَنَا غَاهَةً. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ بَعَثْتَهَا نِعْمَةً وَرَسَلْتَهَا
سَبْخَةً فَإِنَّا نَسْتَجِيرُكَ مِنْ غَضَبِكَ، وَنَتَبَهَّلُ إِلَيْكَ فِي سُؤَالِ عَفْوِكَ، فَمِلْ بِالْعُضْبِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَوَدِّ
رَحَى نِقْمَتِكَ عَلَى الْمُلْحِدِينَ ...

الدعاء السابع والثلاثون : دعاؤه في الشكر

... فَمَنْ أَكْبَمَ مِنْكَ يَا إلهي، وَمَنْ أَشَقَى مِمَّنْ هَلَكَ عَلَيْكَ، لَا ، مَنْ؟ فَتَبَارَكْتَ أَنْ تُوصَفَ إِلَّا
بِالْإِحْسَانِ، وَكَرِهْتَ أَنْ يُخَافَ مِنْكَ إِلَّا الْعَدْلُ، لَا يُخْشَى جَوْرَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يُخَافُ إِعْفَاكَ
ثَوْبَ مَنْ رَأَصَبَاكَ هَلْ لِي لِحَاقٍ مُمَدِّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي أَمْلِي، وَزِدْنِي مِنْ هُدَاكَ مَا أَصِلُ بِهِ إِلَى التَّوْفِيقِ فِي
عَمَلِي، إِنَّكَ مَنَّانٌ كَرِيمٌ .

الدعاء الثامن والثلاثون : دعاؤه في الاعتذار

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَبَدُ إِلَيْكَ مِنْ مَبْظُومٍ ظَلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسَدِي إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ،
وَمِنْ مُسِيءٍ أَعْتَدَرْتُ إِلَيْكَ فَلَمْ أَعْذِرْهُ، وَمِنْ ذِي فَاقَةٍ سَأَلَنِي فَلَمْ أُؤْتِرْهُ، وَمِنْ حَقِّ ذِي حَقِّ لَزِمَنِي لِمُبُؤْمِنٍ فَلَمْ
أَوْفِرْهُ، وَمِنْ عَيْبٍ مُؤْمِنٍ ظَهَرَ لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِي فَلَمْ أَهْجُرْهُ ...

الدعاء التاسع والثلاثون : دعاؤه في طلب العفو

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْهِبُكَ يَا إلهي مَا لَا يَنْفُصُكَ بَدْلُهُ، وَأَسْتَحْمِلُكَ مَا لَا يَبْهَظُكَ حَمْلُهُ، أَسْتَوْهِبُكَ يَا إلهي
نَفْسِي الَّتِي لَمْ تُخْلَقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ، أَوْ لِتَطْرُقَ بِهَا إِلَى نَفْعٍ، وَلَكِنْ أَنْشَأْتَهَا إِثْبَاتًا لِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ
مِثْلَهَا، وَاحْتِجَاجًا بِهَا عَلَيَّ شَكْلِيهَا، وَأَسْتَحْمِلُكَ مِنْ دُنُوبِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيَّ مَا قَدْ
فَدَخَنِي نِقْلُهُ ...

الدعاء الأربعون : دعاؤه عند ذكر الموت

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَخْفِنَا طُولَ الْأَمَلِ، وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ الْعَمَلِ حَتَّى لَا نَأْمَلَ اسْتِثْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ وَلَا اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَلَا اتِّصَالَ نَفْسٍ بِنَفْسٍ، وَلَا لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ. وَسَبِّحْنَا مِنْ غُرُوبِهِ، وَأَمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ، وَأَنْصِبِ الْمَوْتَ بَيْنَ أَيْدِينَا نَصْبًا، وَلَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِبًّا ...

الدعاء الحادي والأربعون : دعاؤه في طلب الستر والوقاية

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَفْرِشْنِي مَهَادَ كَرَامَتِكَ، وَأُورِدْنِي مَشَارِعَ رَحْمَتِكَ، وَأَخْلِلْنِي بِمُجُوحَةِ حَنَّتِكَ، وَلَا تَسْمِنِي بِالرَّدِّ عَنكَ، وَلَا تَحْرِمْنِي بِالْحَيَبَةِ مِنْكَ، وَلَا تُقَاصِّني بِمَا اجْتَرَحْتُ، وَلَا تُنَاقِشْنِي بِمَا اكْتَسَبْتُ، وَلَا تُبْرِزْ مَكْتُومِي، وَلَا تَكْشِفْ مَسْتُورِي، وَلَا تَحْمِلْ عَلَيَّ مِيزَانَ الْإِنصَافِ عَمَلِي، وَلَا تُغْلِبْ عَلَيَّ عُيُونَ الْأَمَلَا حَبِي ...

الدعاء الثاني والأربعون : دعاؤه عند ختمه القرآن

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْتَبْتَنِي عَلَى خْتَمِ كِتَابِكَ الْكَلِمَ أَنْزَلْتَهُ نُورًا وَجَعَلْتَهُ مُهَيِّمًا عَلَيَّ كُتُبَ كِتَابِ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلَيَّ كُلِّ حَدِيثٍ فَصَّصْتَهُ، وَفُرْقَانًا فَرَّقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ، وَفُرْقَانًا أَغْرَبْتَ بِهِ عَنِ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ، وَكِتَابًا فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلَيَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّدَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِيلًا، وَجَعَلْتَهُ نُورًا نَهْتَدِي مِنْ ظُلْمِ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِثْمَاعِهِ ...

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ، وَيَأْوِي مِنَ الْمُتَشَاهِبَاتِ إِلَى حِرْزِ مَعْقِلِهِ، وَيَسْكُنُ فِي ظِلِّ جَنَاحِهِ، وَيَهْتَدِي بِضَوْءِ صَاحِبِهِ، وَيَقْتَدِي بِتَبْلُجِ إِسْفَارِهِ، وَيَسْتَنْصِحُ بِمُصَابِحِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ الْهَلْدَ فِي غَيْرِهِ ...

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ لَنَا فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي مُونِسًا وَمِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَخَطْبَرَاتِ الْوَسَاوِسِ حَارِسًا، وَلَا فِدَامَنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَى الْمَعَاصِي حَاطِسًا، وَلَا لِسِتْنَانَا عَنِ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ نَبِيرًا، وَمَا آفَةٌ مُخْرَسًا، وَجُورِاحِنَا عَنْ أَفْتِرَافِ الْإِثَامِ زَاجِرًا، وَلَمَّا طَوَّتِ الْعَقْلُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ الْاِعْتِبَارِ نَاشِرًا حَتَّى نُوَصِلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهَمَّ عَجَائِبِهِ وَوَجَّحَ أَمْتَالِهِ الَّتِي ضَعُفَتِ الْجِبَالُ الرَّهْصِي عَلَى صَلَابَتِهَا عَنْ احْتِمَالِهِ ...

الدعاء الثالث والأربعون : دعاؤه إذا نظر إلى الهلال

أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُطِيعُ الدَّائِبُ السَّرِيعُ الْمُتَرَدُّ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ، الْمُتَصَرِّفُ فِي فَلَكَ التَّدْبِيرِ، أَمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلْمَ، وَوَضَّحَ بِكَ الْبُهْمَ، وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ مُلْكِهِ، وَعَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ سُلْطَانِهِ، وَامْتَهَنَكَ بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، وَالطَّلُوعِ وَالْأُفُولِ، وَالْإِنَارَةِ وَالْكَسُوفِ، فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ وَهَلَى إِهْدَاؤُهُ سَرِيعٌ ...

الدعاء الرابع والأربعون : دعاؤه لدخول شهر رمضان

... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ، لِنَسْأَلَهَا بِمَنِّهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْدًا يَتَّقِبُهُ مِنَّا، وَيَرْضَى بِهِ عَنَّا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وَشَهْرَ الْإِسْلَامِ، وَشَهْرَ الطُّهُورِ، وَشَهْرَ التَّمَجُّيصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ، الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنَ ...

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَبِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قَرَّبْتَهُ وَنَبِيٍّ رَأَسَلْتَهُ وَأَعْبَدَ صَالِحٍ اخْتَصَبْتَهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَهْلُنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَأَوْجِبْ لَنَا فِيهِ مَا أَوْجِبْتَ لِأَهْلِ الْمُبَالَعَةِ فِي طَاعَتِكَ، وَاجْعَلْنَا فِي نَظْمٍ مَنْ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الْأَعْلَى بِرَحْمَتِكَ ...

الدعاء الخامس والأربعون : دعاؤه ليوأع شهر رمضان

اللَّهُمَّ إِنِّي نَبْتُ جَعَلْتَ مِنْ صَفَائِيَا تِلْكَ الْوُضَائِفِ وَخَصَائِصِ تِلْكَ الْفُيُورِضِ شَهْرَ رَمَضَانَ الْكَلْبِ اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَخَيَّرْتَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ وَالذُّهُورِ، وَأَنْزَلْتَهُ عَلَى كُلِّ أَوْقَاتِ السَّنَةِ بِمَا أَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالنُّورِ، وَضَاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَفَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ، وَرَغَّبْتَ فِيهِ مِنَ الْقِيَامِ، وَجَلَّلْتَ فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، ثُمَّ أَنْزَلْتَنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُونَ أَهْلِ الْمَلِكِ، فَصُمْنَا بِأَمْرِكَ نَهَارَهُ، وَفُئِمْنَا بِعُزْنِكَ لَيْلَهُ مُتَعَرِّضِينَ بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ لِمَا عَرَّضْتَنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَتَسَبَّبْنَا إِلَيْهِ مِنْ مَثُوبَتِكَ، وَأَنْتَ الْمَلِيءُ بِمَا رُغِبَ فِيهِ إِلَيْكَ، الْجَوَادُ بِمَا سُئِلْتَ مِنْ فَضْلِكَ، الْقَرِيبُ إِلَى مَنْ حَاوَلَ قُرْبَكَ، وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرَ مَقَامَ حَمْدٍ وَصَحْبِنَا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ، وَأَرْجَحْنَا أَفْضَلَ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقْنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ وَانْقِطَاعِ مُدَّتِهِ وَوَفَاءِ عَدْدِهِ، فَنَحْنُ مُوَجُّوهُ وَرَاعٍ مِنْ عَزِّ فِرْقِهِ عَلَيْنَا ...

الدعاء السادس والأربعون : دعاؤه لعيد الفطر والجمعة

يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحُمُهُ الْعِبَادُ. وَيَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لَا تَقْبَلُهُ الْبِلَالُ . وَيَا مَنْ لَا يَخْتَقِرُ أَهْلُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .
وَيَا مَنْ لَا يُحِبُّ الْمَلِيحِينَ عَلَيْهِ، وَيَا مَنْ لَا يُجِبُّهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الدَّالَةِ عَلَيْهِ، وَيَا مَنْ يَجْتَبِي صَغِيرَ مَا يُتَحَفُّ بِهِ،
وَيَشْكُرُ يَسِيرَ مَا يُعْمَلُ لَهُ. وَيَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ، وَيُجَازِي بِالْجَلِيلِ، وَيَا مَنْ يَدْنُو إِلَى مَنْ دَنَا مِنْهُ وَيَا
مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ ذُبَّ عَنْهُ، وَيَا مَنْ لَا يُعَيِّرُ النَّعَمَةَ، وَلَا يُبَادِرُ بِالنَّقَمَةِ، وَيَا مَنْ يُشْمِرُ الْحُسْنَءَ حَتَّى
يُنْمِيَهَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعْفِيَهَا. انصرفت الامال و دن مدي كرمك بالحاجات و مبتلا بفيض
جوك و اعية الطليات ...

الدعاء السابع والأربعون : دعاؤه في يوم عرفة

... أَنْتَ الَّذِي أَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَجَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَدًا، وَقَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيرًا. أَنْتَ
الَّذِي قَصَبْتَ الْأَوْهَامَ عَنِ ذَاتِكَ، وَعَجَزْتَ الْإِفْهَامَ عَنِ كَيْفِيَّتِكَ ، وَلَمْ تُدْرِكِ الْإِبْصَارُ مَوْضِعَ أَيْنَتِكَ^(١) .
أَنْتَ الَّذِي لَا تُحَدُّ فَتَكُونُ مُحْدُودًا، وَلَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونِ مَوْجُودًا، وَلَمْ تَلِدْ فَتَكُونِ مَوْلُودًا. أَنْتَ الَّذِي لَا ضِدَّ
مَعَكَ فَيَعَانِدُكَ، وَلَا عِدْلَ^(٢) فَيَكَاثِرُكَ، وَلَا نِدَّ لَكَ فَيُعَارِضُكَ. أَنْتَ الَّذِي ابْتَهَأَ وَخْتَبَعَ مَسْتَحْدٍ
وَابْتَدَعَ وَأَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ، سُبْحَانَكَ! مَا أَجَلَ شَأْنِكَ ...
رَبِّ صَبَلٍ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ الْمُتَّحِبِ الْمُصْطَفَى، الْمُكْرَمِ، الْمُقَرَّبِ، أَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ، وَبَارِكِ
عَلَيْهِ أُمَّ بَرَكَاتِكَ، وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ أُمَّتَعِ رَحْمَاتِكَ ...
رَبِّ صَلِّ عَلَيَّ أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِامْرِكِ، وَجَعَلْتَهُمْ حَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ،
وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرَّجْسِ وَالذَّنْسِ تَطْهِيرًا بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ
الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ وَمَسْئَلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ ...
اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمُ عَرَفَةَ، يَوْمُ شَرَفَتُهُ وَكَرَمَتُهُ وَعَظَمَتُهُ، نَشَرْتَ فِيهِ رَحْمَتَكَ، وَمَنَنْتَ فِيهِ بِعَفْوِكَ وَجَزَلْتَ فِيهِ
عَظِيمَتَكَ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ عِبَادِكَ ...

(١) أَيْنَتِكَ : مخلك ، أي أين أنت .

(٢) العدل : هو المعادل أو المماثل .

اجْعَلْ هَيْبَتِي فِي وَعِيدِكَ، وَحَذَرِي مِنْ إِعْذَارِكَ وَإِنْدَارِكَ، وَرَهْبَتِي عِنْدَ تِلَاوَةِ آيَاتِكَ، وَاعْمُرْ لِيْلِي بِإِقْطَاطِي فِيهِ لِعِبَادَتِكَ، وَتَفَرُّدِي بِالتَّهَجُّدِ لَكَ، وَتَجَرُّدِي بِسُكُونِي إِلَيْكَ، وَإِنزَالِ حَوَائِجِي بِكَ، وَمُنَازَلَتِي إِيَّاكَ فِي فَكَائِكَ رَقَبَتِي مِنْ نَارِكَ، وَإِحَارَتِي بِمَا فِيهِ أَهْلَهَا مِنْ عَذَابِكَ. وَلَا تَذَرْنِي فِي طُعْيَانِي غَامِهَا، وَلَا فِي عَمْرِي سَاهِيًا حَتَّى حِينٍ، وَلَا تَجْعَلْنِي عِظَةً لِمَنْ اتَّعَطَّ، وَلَا نَكَالًا لِمَنْ اِعْتَبَرَ ...

الدعاء الثامن والأربعون : دعاؤه في يوم الأضحى والجمعة

اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمٌ مُبَارَكٌ مَبْمُومٌ، وَالْمُسْلِمُونَ فِيهِ مُجْتَمِعُونَ فِي أَقْطَارِ أَرْضِكَ، يَشْهَدُ السَّائِلُ مِنْهُمْ وَمَطْلَبُ الْمُرَاغِبِ وَالرَّاهِبِ، وَأَنْتَ النَّاطِقُ فِي حَوَائِجِهِمْ، فَاسْأَلْكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَهَوَانِ مَا سَأَلْتُكَ عَلَيْكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلِهِ ...

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي، وَبِكَ أَنْزَلْتُ الْيَوْمَ فَقْرِي وَفَاقَتِي وَمَسْكَنَتِي، وَإِنِّي بِمَعْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ أَوْثِقُ مِنِّي بِعَمَلِي، وَلَمَعْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ أَوْسَعُ مِنْ دُنُوبِي. فَصَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ وَتَبَوَّأْ قَضَاءَ كُلِّ حَاجَةٍ هِيَ لِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهَا، وَتَيْسِيرِ ذَلِكَ عَلَيَّ، وَبِقُرْبِي إِلَيْكَ، وَغِنَاكَ عَنِّي؛ لِي َّ أَصِيبَ خَيْرَ قِطْعٍ إِلَّا مِنْكَ، وَلَمْ يَصْرِفْ عَنِّي سُوءًا قَطُّ أَحَدٌ غَيْرُكَ ...

الدعاء التاسع والأربعون : دعاؤه في دفع كيد الأعداء

إِلَهِي هَدَيْتَنِي فَلَهَوْتُ، وَوَعَضْتِ فَفَسَوْتُ، وَأَبْلَيْتِ الْجَمِيلَ فَعَصَيْتِ، ثُمَّ عَرَفْتُ مَا أَصْدَرْتُ؟ إِذْ عَرَفْتَنِيهِ فَاسْتَعْمَرْتُ، فَأَقَلْتُ فَعُدْتُ، فَسَتَرْتُ فَلَكِ إِلَهِي الْحَمْدُ. تَقَحَّمْتُ أَوْدِيَةَ الْهَلَاكِ، وَحَلَلْتُ شِعَابَ تَلْفٍ تَعَرَّضْتُ فِيهَا لِسَطْمَاتِكَ، وَخَلَّوْهَا عُقُوبَاتِكَ، وَوَسَّيْتِي إِلَيْكَ التَّوْحِيدُ، وَذَرَنْعِي أَيَّ لَمْ أَشْرِكْ بِكَ شَيْئًا، وَلَمْ أَخْجُذْ مَعَكَ إِلَهًا، وَقَدْ فَرَزْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي، وَإِلَيْكَ مَقَرُّ الْمُسِيءِ، وَمَفْرَعُ الْمُضِيعِ لِحِطِّ نَفْسِهِ ...

الدعاء الخمسون : دعاؤه في الرهبة

اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَنِي سَوِيًّا، وَرَبَّيْتَنِي صَغِيرًا، وَرَزَقْتَنِي مَكْفِيًّا. اللَّهُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابِكَ، وَبَشَّرْتَنِي بِهِ عِبَادِكَ، أَنْ قُلْتُ: (يَا عِبَادِ اللَّهِ سِرُّوا لِي بِفِعْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ يَخْفَى عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ يُكَفِّرُونَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَيَا سَوَاتِنَا بِمَا أَحْصَاهُ عَلَيَّ كِتَابُكَ، فَلَوْلَا الْمَوَاقِفُ الَّتِي أُوْمَلُّ مِنْ عَفْوِكَ الَّذِي شَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ لَأَلْقَيْتُ بِيَدِي، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ مِنْ رَبِّهِ لَكُنْتُ أَنَا أَحَقُّ بِالْهَرَبِ، وَأَنْتَ لَا تَخْفَى عَلَيَّ خَافِيَةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَتَيْتَ بِهَا، وَكَفَى بِكَ جَازِيًا، وَكَفَى بِكَ حَسِيًّا ...

الدعاء الحادي والخمسون : دعاؤه في التصرع والاستكانة

... إلهي مَا وَجَدْتُكَ بِحَيْلَاءٍ حِينَ سَأَلْتُكَ، وَلَا مُنْقِضاً حِينَ أَرَدْتُكَ، بَلْ وَجَدْتُكَ لِدُعَائِي سَامِعاً، وَلِمَطَالِي مُعْطِياً، وَوَجَدْتُ نِعْمَكَ عَلَيَّ سَابِغَةً، فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِي، وَكُلِّ زَمَانٍ مِنْ زَمَانِي، فَأَنْبَتَ عِنْدِي مَحْمُودٌ، وَصَنِيْعُكَ لَدَيَّ مَبْرُورٌ، تَحْمَدُكَ نَفْسِي وَلِسَانِي وَعَقْلِي حَمْدًا يَبْلُغُ الْوَفَاءَ وَحَقِيقَةَ الشُّكْرِ، حَمْدًا يَكُونُ مَبْلَغَ رِضَاكَ عَنِّي، فَجَنِّبْنِي مِنْ سَخَطِكَ يَا كَهْفِي حِينَ تُعِينِنِي الْمَدَاهِبُ، وَيَا مُقِيلِي عَثْرَتِي، فَلَوْلَا سَتْرُ عَرَوْتِي لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ ...

الدعاء الثاني والخمسون : دعاؤه في الالاحاح على الله تعالى

يَا اللَّهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ يَا إلهي مَا أَنْتَ خَلَقْتَهُمْ وَكَيْفَ لَا تُخْضِنِي مَا أَنْتَ صَبَعْتَهُمْ وَأَكَيْفَ يَغِيبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تَبَدَّبْتَهُ أَوْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهَيَّبَكَ نَبِيٌّ مِنْ نَبِيِّكَ يَا إِلَهَ لَا يَزِيغُكَ؟ وَكَيْفَ يَجْرُمُ بِكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَرُوكَ مُلْكًا سُبْحَانَكَ! أَخْشَى خَلْقَكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ، سُبْحَانَكَ! لَا يُنْقِصُ سُلْطَانَكَ مَنْ أَشْرَكَ بِكَ، وَكَذَّبَ رُسُلَكَ، وَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ مِنْ كَرِهِ فَضَاءَهُ لَنْ يَبْرَأَ أَهْرَ ...

الدعاء الثالث والخمسون : دعاؤه في التذلل لله عز وجل

رَبِّ أَفْحَمْتَنِي ذُنُوبِي، وَأَنْقَطَعْتَ مَقَالَتِي، فَلَا حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الْأَسِيرُ بِبَيْتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُسَرَّدُ فِي خَطِيئَتِي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي، الْمُنْقَطِعُ بِي، قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الْأَذِلَاءِ الْمُدْنِينَ، مَوْقِفَ الْأَشْقِيَاءِ الْمُتَحَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُسْتَحْفِينَ بِوَعْدِكَ. سُبْحَانَكَ أَيُّ جَهَنَّمَ أَجِيبْهُ عَلَيْهِ يَا تَعْرِيرَ غَيْرٍ بِنَفْسِي مَوْلَايَ إِرْحَمْ كَبُوتِي لِجُرِّ وَجْهِي، وَزَلَّةَ قَدَمِي، وَعُدَّ بِحِلْمِكَ عَلَيَّ جَهْلِي، وَيَاخْسَانِكَ عَلَيَّ إِسَاءَتِي، فَأَنَا الْمُقَرَّبُ بِذَنْبِي، الْمُعْتَرَفُ بِخَطِيئَتِي ...

الدعاء الرابع والخمسون : دعاؤه في استكشاف الهموم

يَا فَارِحَ الْهَمِّ وَكَاشِفَ الْعَمِّ، يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدَ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَفْرِجْ هَمِّي، وَاكْشِفْ عَمِّي، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، اعْصِمْنِي وَطَهِّرْنِي، وَأَذْهَبْ بِبَيْتِي ...

المناجيات الخمس عشرة من كلام سيّد الساجدين

وهذه المناجات الخمس عشرة للإمام السجاد عليه السلام اشتهرت شهرة عظيمة بين العلماء ، ودونها المحقق المجلسي (ت ١١١١ هـ) في بحار الأنوار ، وعدّها المحققون الذين حققوا في سند الصحيفة السجادية ومنها من بنود تلك الصحيفة ، وذكرها المحقق عباس القمي رحمته الله في مفاتيح الجنان .

الأولى : مناجاة التائبين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي ألبستني الخطايا ثوبَ مذلتّي، وجلّلتني التّباعدُ منك لباسَ مسكنتي، ومات قلبي عظيمُ جنايتي، فأحبه بتوبة منك يا أُملي وُعيّتي، ويا سُؤلي ومُنيتي، فوعزّتكَ ما أجدُ لذُنوبي سواكَ غافراً، ولا أرى لكسري غيركَ جابراً، وقد خضعتُ بالانابة إليك وَعَنَوْتُ بِالاسْتِكَانَةِ لَدَيْكَ، فَإِنْ طَيَّرْتَنِي مِنْ بَابِكَ فَبِمَنْ أَلُوبُهُ هُنَّ يَدَاتِي عَنْ جَنَابِكَ فَبِمَنْ أَعُوبُهُ فَوَأَسَفَاهُ مِنْ خَجَلَتِي فَفَتَضَاجِحِي، وَاهْتَمَاهُ مِنْ سُوءِ عَمَلِي وَجَلَّتْ رِجِي.

أَسْأَلُكَ يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ، وَيَا جَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ، أَنْ تَهَبَ لِي مُوَبِقَاتِ الْجَرَائِرِ، وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ، وَلَا تُخْلِنِي فِي مَشْهَدِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَعَفْرِكَ، وَلَا تُعْرِبِي مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ سَتْرِكَ .

إلهي ألم على نبيي ألم حمّتك، وأرسل على عيوبي سحاب رأفتك. إلهي هل يرجع العبد الابنق إلا إلى مولاه لم هل يجيره من سخطه أحد سواهُ
إلهي إن كان الندم على الذنب توبةً، فإني وعزتك من النادمين، وإن كان الاستغفار من الخطيئة حطةً، فإني لك من المستغفرين، لك العُنى حتى ترضى.

إلهي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبِّ عَلَيَّ، وَجِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي، وَبِعِلْمِكَ بِي ارْفُقْ بِي. إلهي أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَاباً إِلَى عَفْوِكَ سَمِّيَهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتَ: (ثوبوا إلى الله توبة نصوحا)، فما عُذِرَ مَنْ أَعْقَلَ دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ.

إلهي إِنْ كَانَ قَبْحَ الذَّنْبِ مِنْ عِبْدِكَ فَلْيَحْسِبِ الْعَفْوُ مِنْ عِبْدِكَ . إلهي مَا أَنَا بِأَوَّلَ مَنْ عَصَاكَ، فَتُبَّتْ عَلَيْهِ، وَتَعَرَّضَ بِمَعْرُوفِكَ، فَجُدْتَ عَلَيْهِ، يَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّ، يَا كَاشِفَ الضَّرِّ، يَا عَظِيمَ الْبِرِّ، يَا عَلِيمًا بِمَا فِي السِّرِّ، يَا جَمِيلَ السِّرِّ اسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيْكَ، وَتَوَسَّلْتُ بِجَنَابِكَ وَتَرَحُّمِكَ لَدَيْكَ، فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَلَا تُخَيِّبْ فِيكَ رَجَائِي وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَكَفِّرْ خَطِيئَتِي، بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

المناجاة الثانية : مناجاة الشاكرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إلهي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسُّوءِ أَمَارَةً، وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً، وَبِمَعَاصِيكَ مُوَلَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسَلُّكَ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ الْعَلِيلِ طَوِيلَةَ الْأَمَلِ، إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجَزَّعُ، وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْتَعُ، مِيَالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوءَةً بِالْعُقْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْخُوبَةِ، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ.

إلهي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا يُضِلُّنِي، وَشَيْطَانًا يَعْوِينِي، قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي، وَأَحَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي يُعَاضِدُ لِي الْهَوَى، وَيُزَيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا، وَيَحْوِلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفَى. إلهي إِلَيْكَ أَشْكُو قَلْبًا قَاسِيًا مَعَ الْوَسْوَاسِ مُتَقَلِّبًا، وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّسًا، وَعَيْنًا عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَوْفِكَ جَامِدَةً، وَإِلَى مَا تَسْرُّهَا طَاهِحَةً.

إلهي لا حول ولا قوة إلا بقدرتك، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك، فأسألك ببلاغة حكمتك، ونفاذ مشيئتك، أن لا تجعلني لغير جودك متعرضاً، ولا تُصيرني للفتن غرضاً، وكن لي على الأعداء ناصرًا، وعلى المخازي والعيوب ساترًا، ومن البلاء واقياً، وعن المعاصي عاصماً، برأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الثالثة : مناجاة الخائفين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي أترك بعد الإيمان بك تُعذبني، أم بعد حبي إياك تُبعدني، أم مع رجائي يرحمك وصفحك تحرمي، أم مع استجارتي بعفوك تُسلمني؟ حاشا لوجهك الكريم أن تُحسبني، لئت شعري، أَللشقاء ولدتني أمي، أم للعناء رثتني؟ فليتها لم تلدني ولم تُرثني، وليتني علمت أمن أهل السعادة جعلتني؟ وبثربك وجوارك خصصتني؟ فتقر بذلك عيني، وتطمئن له نفسي.

ي هل بسوء دوجوه تأسد جرد لظلمك أتو من ملة طهت اللئلاء لي بلك وجلالتك
 وأ تطبع على قلوب أنطوع على محبتك وأ تضم أسماعاً تلبذ بسماع ذكرك في إرادتك وأ تغل
 أكفا رفتهها الامال إليك رجاء وفتك وأ تعاقب أبدانا عملت بطاعتك حتى تحلت في مجاهدتك، أو
 تُعذب رأجلا سعت في عبادتك.

إلهي لا تغلق على موحديك أبواب رحمتك، ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك. إلهي نفس أعزتها بتوحيدك، كيف ثذها بمهانة هجرانك؟ وضمير انعقد على مودتك كيف تحره
 نيرانك

إلهي أجزني من أليم غضبك وعظيم سخطك، يا حنان يا منان، يا رحيم يا رحمن، يا جبار يا قهار، يا عفار يا ستار، بجني برحمتك من عذاب النار، وفضيحة العار، إذا امتاز الأخيأ من الأشرار، وحالت الأحوال، وهالت الأهوال وقرب المحسنون، وبعد المسيؤون، وقبت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

المناجاة الرابعة : مناجاة الراجين

بسم الله الرحمن الرحيم . يا مَنْ إِذَا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ، وَإِذَا أَمَلَ مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ مُنَاهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَبَهُ وَأَذْنَاهُ، وَإِذَا جَاهَرَهُ بِالْعِصْيَانِ سَتَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَعَظَّمَاهُ، وَإِذَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَّاهُ.

إِلَهِي مِنَ الْكَلْبِ نَهَرَ بِكَ مُلْتَمِسًا قِرَاكَ فَمَا قَرَّبْتَهُ وَمِنَ الْكَلْبِ أَنَاخَ بِبَابِكَ مُرْتَجِيًا نَدَاكَ فَمَا وَكَيْتَهُ أَيْخُسْنُ تَأْ أَرْجِعْ عَنِّ بَابِكَ بِالْحَيَّةِ مَصْرُوفًا، وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِوَاكَ مَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مَوْصُوفًا؟ كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَ مَحْخِرٍ كُلَّهُ بِيَدِكَ؟! وَكَيْفَ وَأُمِّلُ سِمَكًا مَحْلُوقًا وَلَا مَبْرُوكًا! أَقْطِعْ رَجَائِي مِنْكَ وَقِدْ وَأَلْهِئْ لِي أَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِكَ! لَمْ تُفَقِّرْنِي إِلَى مِثْلِي وَمَا أَعْتَصِمَ بِحَبْلِكَ! يَا مَنْ سَعِدَ بِرَحْمَتِهِ الْقَاصِدُونَ، وَلَمْ يَشَقَّ بِنِقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ أَنْسَاكَ وَلَمْ تَنْزِلْ ذَاكِرِي؟! وَكَيْفَ أَهْوَى عَنْكَ وَمَنْتَ مُرَاقِبِي!

إِلَهِي بِذَيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ يَدِي، وَلِنَيْلِ عَطَايَاكَ بَسَطْتُ أَمْلِي، فَأَخْلَصْنِي بِخَالِصَةِ تَوْحِيدِكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ صَفْوَةِ عِبِيدِكَ، يَا مَنْ كُلُّ هَارِبٍ إِلَيْهِ يَلْتَجِي، وَكُلُّ طَالِبٍ إِلَيْهِ يَرْجِي، يَا خَيْرَ مَرْجُوٍّ، وَيَا أَكْرَمَ مَدْعُوٍّ، وَيَا مَنْ لَا يُرَدُّ سَأَلُهُ، وَلَا يُجَبِّبُ أَمَلُهُ، يَا مَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ لِدَاعِيهِ، وَحِجَابُهُ مَرْفُوعٌ لِرَاجِيهِ، أَسْأَلُكَ بِكَرَمِكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ مِنْ عَطَايِكَ بِمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي، وَمِنْ رَجَائِكَ بِمَا تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسِي، وَمِنْ الْيَقِينِ بِمَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَتَجْلُو بِهِ عَنِّ بِصَبْرِي غَشَوَاتِ الْعَمَى بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

المناجاة الخامسة : مناجاة الراغبين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي إن كان قلَّ زادي في المسير إليك، فلقد حسن ظني بالتوكل عليك، وإن كان جرّمي قد أحافني من عُيوبك، فإن رجائي قد أشعري بالأمن من نعمتك، وإن كان ذنبي قد عرّضني لعقابك، فقد آذني حسنُ يقيني بثوابك، وإن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقاءك، فقد نبهتني المعرفة بكرمك وآلائك، وإن أوحش ما بيني وبينك فرطُ العصيان والطغيان، فقد آتسني بشير العُبران والرضوان، أسألك بسبحات وجهك وبأنوار قدسك، وأبتهلُ إليك بعواطف رحمتك ولطائف برك، أن تحقق ظني بما أوّله من جزيل إكرامك، وجميل إنعامك في القرى منك، والرؤفى لذكرك، والتّمتع بالنظر إليك، وها أنا متعرّضٌ لنفحات روحك وعطفك، ومُنْتَجِعٌ عَيْثَ جُودِكَ ولُطْفِكَ، فأرُّ من سخطك إلى رضاك، هاربٌ منك إليك، راجٍ أحسن ما لديك مُعوّلاً على مواهبك، مُفتقراً إلى رعايتك.

إلهي ما بدأت به من فضلك فتّممه، وما وهبت لي من كرمك فلا تسلبه، وما سترته عليّ بحلمك فلا تهتكه، وما علمته من قبيح فعلي فاغفره.

إلهي استشفعت بك إليك واستجرت بك منك أتيتك طامعاً في إحسانك، راغباً في امتنانك، مُستسقياً وإبل طولك مُستمطراً عمّام فضلك، طالباً مرضاتك، قاصداً جنابك، وارداً شريعة رفقك، مُتَمَسِّكاً بِحَبْلِ خَبَرْتِ مِنْ عِنْدِكَ، وافداً إلى حضرة جمالك، مُريداً وجهك، طارقاً بابك، مُستكيناً لعظمتك وجلالك، فافعل بي ما أنت أهلُّه من المغفرة والرحمة، ولا تفعل بي ما أنا أهلُّه من العذاب ولتقمّة برحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة السادسة : مناجاة الشاكرين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي أذهلني عن إقامة شُكْرِكَ تَتَابِعُ طَوْلِكَ، وَأَعَجَزَنِي عَنْ إِحْصَاءِ نَنَائِكَ فَيُضْ فَضْلِكَ، وَشَعَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحَامِدِكَ تَرَادُفُ عَوَائِدِكَ، وَأَعْيَانِي عَنْ نَشْرِ عَوَارِفِكَ تَوَالِي أَيْدِيكَ، وَهَذَا مَقَامٌ مَنِ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النِّعْمَاءِ، وَقَابَلَهَا بِالتَّقْصِيرِ، وَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْإِهْمَالِ وَالتَّضْيِيعِ، وَأَنْبَتَ الرَّؤُفَ الرَّحِيمِ الْبُرِّ الْكَرِيمِ، الَّذِي لَا يُجِيبُ قَاصِدِيهِ، وَلَا يَطْرُدُ عَنْ فَنَائِهِ آمِلِيهِ، بِسَاحَتِكَ تُحْطُّ رِحَالُ الرَّاجِعِينَ، وَبِعَرَصَتِكَ تَقِفُ آمَالُ الْمُسْتَرْفِدِينَ، فَلَا تُقَابِلُ آمَالَنَا بِالتَّخْيِيبِ وَالْإِيَّاسِ، وَلَا تُلْبَسُنَا سِرْبَالَ الْغُبُوطِ وَلَا يُبْلَسُ.

إلهي تَصَاعَرَ عِنْدَ تَعَاظِمِ آلائِكَ شُكْرِي، وَتَضَاعَلُ فِي جَنْبِ إِكْرَامِكَ إِيَّايَ نَنَائِي وَنَشْرِي، جَلَّلْتَنِي نِعْمَتِكَ مِنْ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ حُلْدَاءً، وَضَرَبْتَ عَلَيَّ لَطَائِفَ بَرِّكَ مِنَ الْعِزِّ كِلْدَاءً، وَقَلَّدْتَنِي مِنْكَ فَلَانِدَ لَا تُحْلُ، وَطَوَّقْتَنِي أَطْوَقاً لَا تُفْلُ، فَالْأُوْكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِسَانِي عَنْ إِحْصَائِهَا، وَنِعْمَا أُوكَ كَثِيرَةٌ قَصَرَ فَهْمِي عَنْ إِدْرَاكِهَا فَضْلاً عَنْ اسْتِثْقَائِهَا، فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ، وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْرٍ، فَكُلَّمَا قُلْتُ: لَكَ الْحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لَدَيْكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الْحَمْدُ.

إلهي فَكَمَا غَدَّيْتَنَا بِلُطْفِكَ، وَرَبَّيْتَنَا بِصُنْعِكَ، فَتَمِّمْ عَلَيْنَا سَوَابِعَ النِّعَمِ، وَادْفَعْ عَنَّا مَكَارِهِ النِّقَمِ، وَآتِنَا مِنْ حُظُوظِ الدَّارَيْنِ رَأْفَعَهَا وَأَجَلِّهَا عَاجِلاً وَآجِلاً، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى حُسْنِ بِلَائِكَ وَسُبُوغِ نِعْمَاتِكَ حَمْداً يُوَافِقُ رِضَاكَ، وَيَمْتَرِي الْعَظِيمَ مِنْ بَرِّكَ وَنَدَاكَ، يَا عَظِيمُ يَا كَرِيمُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

المناجاة السابعة : مناجاة المطيعين لله

بسم الله الرحمن الرحيم . أَللَّهُمَّ أَهْمْنَا طَاعَتَكَ، وَحَبَّبْنَا مَعْصِيَتَكَ، وَيَسِّرْ لَنَا بُلُوغَ مَا نَتَمَنَّى مِنْ ابْتِغَاءِ رِضْوَانِكَ، وَأَحْلِلْنَا مَجْبُوحَةَ جَنَانِكَ، وَأَفْشِعْ عَن بَصَائِرِنَا سَحَابَ الْاِزْتِيَابِ، وَاكْشِفْ عَن قُلُوبِنَا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ وَالْحِجَابِ، وَأَزْهِقِ الْبَاطِلَ عَن ضَمَائِرِنَا، وَأَثْبِتِ الْحَقَّ فِي سَرَائِرِنَا، فَإِنَّ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونِ لَبَوَاقِحِ الْفِتَنِ، وَمُكَدَّرَةٌ لِّصَفْوِ الْمَنَاجِحِ وَالْمَنَنِ.

أَللَّهُمَّ اِحْمِلْنَا فِي سَفُنِ نَجَاتِكَ، وَمَتَّعْنَا بِلَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ، وَأَوْرِدْنَا حِيَاضَ حُبِّكَ، وَأَدِفْنَا حَلَاوَةَ وَدِّكَ وَقُرْبِكَ، وَاجْعَلْ جِهَادَنَا فِيكَ، وَهَمَّنَا فِي طَاعَتِكَ، وَأَخْلِصْ نِيَّاتِنَا فِي مُعَامَلَتِكَ، فَإِنَّا بِكَ وَوَلَكَّ، وَلَا وَسِيلَةَ لَنَا إِلَيْكَ إِلَّا أَنْتَ.

إلهي اجعلني من المصطفين الأخيار، وألحني بالصالحين الأبرار، السابقين إلى المكرمات، المسارعين إلى الخيرات، العاملين للباقيات الصالحات، الساعين إلى رفيع الدرجات، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير برحمتك يا أرحم الراحمين.

المناجاة الثامنة : مناجاة المريدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . جُؤَيْفُ لَطِيفٌ لَطِيفٌ عَلَى مَنْ تَكُنْ دَلِيلَهُ ! وَمَا وَضَحَ الْحَقُّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ !

إلهي فاسألُكُ بنا سُبلَ الوُصُولِ إِلَيْكَ، وَسَيِّرْنَا فِي أَقْرَبِ الطَّرِيقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ، قَرِّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ، وَأَلْخِفْنَا بِعِبَادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالْبِدَارِ إِلَيْكَ يُسَارِعُونَ، وَبَابِكَ عَلَيَّ الدَّوَامَ يَطْرُقُونَ، وَإِيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَعْجُدُونَ، وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ، الَّذِينَ صَفَّيْتَ لَهُمُ الْمَشَارِبَ، وَبَلَّغْتَهُمُ الرِّغَائِبَ، وَأَبْحَحْتَ لَهُمُ الْمَطَالِبَ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ الْمَآرِبَ، وَمَلَأْتَ لَهُمْ ضَمَائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صَافِي شَرِّكَ، فَبِكَ إِلَى لَدِيدِ مُنَاجَاتِكَ وَصَلُّوا، وَمِنْكَ أَقْصَى مَقَاصِدِهِمْ حَصَلُوا، فَيَا مَنْ هُوَ عَلَى الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ، وَبِالْعَاطِفِ عَلَيْهِمْ عَائِدٌ مُفْضِلٌ، وَبِالْعَافِلِينَ عَنْ ذِكْرِ رَحِيمِ رُؤُوفٍ، وَبِجَذْبِهِمْ إِلَى بَابِهِ وَدُودٍ عَطُوفٍ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظًّا، وَأَعْلَاهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلًا، وَأَجْزَلِهِمْ مِنْ وَدِّكَ قِسْمًا، وَأَفْضَلِهِمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصيبًا، فَقَدْ انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هَمَّتِي، وَأَنْصَرَفَتْ لِحُوكِ رَغْبَتِي، فَأَنْتَ لَا غَيْرَكَ مُرَادِي، وَلَكَ لَا لِسِوَاكَ سَهْرِي وَسُهَادِي، وَلِقَاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنَى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْفِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَهْيِي، وَإِلَى هَوَاكَ صَبَاتِي، وَرِضَاكَ بُعْيَتِي، وَرُؤْيُوتِكَ حَاجَتِي، وَجِوَارِكَ طَلْبِي، وَقُرْبِكَ غَايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُنَاجَاتِكَ رَوْحِي وَرَاحَتِي، وَعِنْدَكَ دَوَاءُ عَلْتِي، وَشِفَاءُ عُذَّتِي، وَبَرْدُ لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُزْبَتِي. فَكُنْ أُنَيْسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقْبِلَ عَشْرَتِي، وَغَافِرَ زَلَّتِي، وَقَابِلَ تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِي فَاقَتِي، وَلَا تَقْطَعْ عَنَّا، وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْكَ يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي، وَيَا دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، يَا أَرْحَمَ الرَّحِيمِينَ.

المناجاة التاسعة : مناجاة المحبين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِكَ، فَرَامَ مِنْكَ بَدَلًا؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنَسَ بِقُرْبِكَ، فَابْتَغَى عَنْكَ حَوْلًا؟

إلهي فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوَلَّيْتَهُ، وَأَخْلَصْتَهُ لِدُوكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَشَوَّقْتَهُ إِلَى لِقَائِكَ، وَرَضَيْتَهُ بِقَضَائِكَ، وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتَهُ بِرِضَاكَ، وَأَعَدْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقِلَاقِكَ، وَبَوَّأْتَهُ مَقْعَدَ الصِّدْقِ فِي جَوَارِكَ، وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَهْلَيْتَهُ لِعِبَادَتِكَ، وَهَيَّيْتُمْ قَلْبَهُ لِرَادَتِكَ، وَاجْتَنَبْتَهُ لِمُشَاهَدَتِكَ، وَأَخْلَيْتْ وَجْهَهُ لَكَ، وَفَرَّغْتَ فُؤَادَهُ لِحُبِّكَ، وَرَعَبْتَهُ فِيمَا عِنْدَكَ، وَأَهْمَمْتَهُ ذِكْرَكَ، وَأَوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ، وَشَعَلْتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ صَالِحِي بَرِيَّتِكَ، وَاخْتَرْتَهُ لِمُنَاجَاتِكَ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَأَبُهُمُ الِاتِّبَاعُ إِلَيْكَ وَالْحَيُّونُ، وَدَهْرُهُمُ الرَّفْرُ وَالْأَيْنُ، جِبَاهُهُمْ سَاجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعُيُونُهُمْ سَاهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سَائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَأَفْتِدَتُهُمْ مِنْخَلَعَةٌ مِنْ مَهَابَتِكَ، يَا مَنْ أَنْوَارُ قُدْسِهِ لِإِبْصَارِ مُحِبِّهِ رَائِقَةٌ، وَسُبْحَاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عَارِفِيهِ شَائِقَةٌ، يَا مَنْ قُلُوبِ الْمُشْتَاقِينَ، وَيَا غَايَةَ آمَالِ الْمُحِبِّينَ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِوَاكَ وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قَائِدًا إِلَى رِضْوَانِكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِدًا عَنْ عِصْيَانِكَ، وَأَمْنُنْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ، وَأَنْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ، وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ، وَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْإِسْعَادِ وَالْحُظْوَةِ عِنْدَكَ، يَا مُجِيبُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

المناجاة العاشرة : مناجاة المتوسلين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي لَيْسَ لِي وَسِيلَةٌ إِلَيْكَ إِلَّا عَوَاطِفُ رَأْفَتِكَ، وَلَا لِي ذَرِيعَةٌ إِلَيْكَ إِلَّا عَوَارِفُ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاعَةُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَمُنْقَذِ الْأُمَّةِ مِنَ الْعَمَةِ، فَاجْعَلْهُمَا لِي سَبَبًا إِلَى نَيْلِ غُفْرَانِكَ، وَصَيْرَهُمَا لِي وَصَلَةً إِلَى الْفَوْزِ بِرِضْوَانِكَ، وَقَدْ حَلَّ رَجَائِي بِحَرَمِ كَرَمِكَ، وَحَطَّ طَمَعِي بِفِنَاءِ جُودِكَ . فَحَقِّقْ فِيكَ أَمَلِي وَاخْتِمِ بِالْخَيْرِ عَمَلِي، وَاجْعَلْني مِنْ صَفْوَتِكَ الَّذِينَ أَخْلَلَتْهُمُ بُخُوحَةُ جَنَّتِكَ، وَبَوَّأَتْهُمُ دَارَ كَرَامَتِكَ وَأَقْرَزَتْ أَعْيُنَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ يَوْمَ لِقَائِكَ، وَأَوْرَثَتْهُمُ مَنَازِلَ الصِّدْقِ فِي جَوْلكِ .

يا مَنْ لَا يَفِدُ الْوَافِدُونَ عَلَى أَكْرَمِ مِنْهُ، وَلَا يَجِدُ الْقَاصِدُونَ أَرْحَمَ مِنْهُ، يَا خَيْرَ مَنْ خَلَا بِهِ وَجِيدٌ، وَيَا أَعْطَفَ مَنْ أَوَى إِلَيْهِ طَرِيدٌ، إِلَى سَعَةِ عَفْوِكَ مَدَدْتُ يَدِي وَبَدَيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ كَفِّي، فَلَا تُؤَلِّني الْحِرْمَانَ، وَلَا تُبْلِي بِالْحَبِيبَةِ وَالْحُسْرَانَ، يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

المناجاة الحادية عشرة : مناجاة المفتقرين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي كَسْرِي لَا يَجْبُرُهُ إِلَّا لُطْفُكَ وَخَنَائِكَ، وَفَقْرِي لَا يُغْنِيهِ إِلَّا عَطْفُكَ وَإِحْسَانُكَ، وَرُوعِي لَا يُسَكِّنُهَا إِلَّا أَمَانُكَ، وَذَلَّتِي لَا يُعْزِئُهَا إِلَّا سُلْطَانُكَ، وَأُمِّيَّتِي لَا يُبَلِّغُنِيهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَخَلَّتِي لَا يَسُدُّهَا إِلَّا طَوْلُكَ، وَحَاجَتِي لَا يَفْضِيهَا غَيْرُكَ، وَكَرْبِي لَا يُفَرِّجُهُ سِوَى رَحْمَتِكَ، وَضُرِّي لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُ رَأْفَتِكَ، وَعَلَّتِي لَا يُبْرِئُهَا إِلَّا وَصْلُكَ، وَلَوْعَتِي لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا لِقَاؤُكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ لَا يَبْلُغُهُ إِلَّا النَّظَرُ إِلَى وَجْهِكَ، وَقَرَارِي لَا يَقَرُّ دُونَ دُنُوي مِنْكَ، وَلَهْمَتِي لَا يَبْرِئُهَا إِلَّا رَوْحُكَ، وَسَقَمِي لَا يَشْفِيهِ إِلَّا طِبُّكَ، وَعَمِّي لَا يُبْرِئُهُ إِلَّا قُرْبُكَ، وَجُرْحِي لَا يُبْرِئُهُ إِلَّا صَفْحُكَ، وَزَيْنُ قَلْبِي لَا يَجْلُوهُ إِلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْوَاسُ صَرْبِي لَا يُرِيحُهُ إِلَّا أَمْرُكَ .

فِيَا مُنْتَهَى أَمَلِ الْإِمْلِينَ، وَبِأَيَّةِ سُؤْلِ السَّائِلِينَ، وَبِأَفْصَى طَلْبَةِ الطَّالِبِينَ، وَبِأَعْلَى رَغْبَةِ الرَّاجِعِينَ،
 وَبِأَوْلَى الصَّالِحِينَ، وَبِأَمَانِ الْخَائِفِينَ، وَبِأَجْمَلِ دَعْوَةِ الْمُضْطَّرِّينَ، وَبِأَذْخَرِ الْمُعْدِمِينَ، وَبِأَكْنَزِ
 الْبَائِسِينَ، وَبِأَغْيَاثِ الْمُسْتَعِيثِينَ، وَبِأَقَاضِي حَوَائِجِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَبِأَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ، وَبِأَرْجَمِ
 الرَّاجِحِينَ، لَكَ تَخَضُّعِي وَسُؤَالِي، وَإِلَيْكَ تَضَرُّعِي وَابْتِهَالِي، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنِيلَنِي مِنْ رُوحِ رِضْوَانِكَ، وَتُدِيمَ عَلَيَّ
 نِعَمَ امْتِنَانِكَ، وَهَذَا أَنَا بِبَابِ كَرَمِكَ وَقِفْتُ، وَلِنَفْحَاتِ بَرِّكَ مُتَعَرِّضٌ، وَبِحَبْلِكَ الشَّدِيدِ مُعْتَصِمٌ، وَبِعُرْوَتِكَ
 الْوُثْقَى مُتَمَسِّكٌ.

إلهي ارحم عبدك الذليل، ذا اللسان الكليل والعمل القليل، وامنن عليه بطولك الجزيل، واكفنه تحت
 ظلك الظليل يا كريم يا جميل، يا ارحم الراحمين.

المناجاة الثانية عشرة : مناجاة العارفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إلهي قَصِيرَ الْأَلْسُنِ عَنْ بُلُوغِ ثَنَائِكَ، كَمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِكَ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ
 عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ جَمَالِكَ، وَأَحْسَرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبْحَاتِ وَجْهِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقًا إِلَى
 مَعْرِفَتِكَ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ.

إلهي فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَرَسَّخَتْ أَشْجَارُ الشَّقْوِ إِلَيْكَ فِي حَدَاتِقِ صُدُورِهِمْ، وَأَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ
 بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ، فَهَمُّ إِلَى أَوْكَارِ الْأَفْكَارِ يَاوُونَ، وَفِي رِيَاضِ الْقُرْبِ وَالْمُكَاشَفَةِ يَرْتَعُونَ، وَمِنْ حِيَاضِ
 الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلَاطَفَةِ يَكْرَعُونَ، وَشَرَايِعِ الْمَصَافَاةِ يَرْدُونَ، قَدْ كُشِفَ الْغِطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ، وَأُنْحَلَتْ
 ظُلْمَةُ الرَّيْبِ عَنْ عَقَائِدِهِمْ، وَأَنْتَفَتْ مُخَالَجَةُ الشَّكِّ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَرَائِرِهِمْ، وَأَنْشَبَتْ بِتَحْقِيقِ الْمَعْرِفَةِ
 صُدُورُهُمْ، وَعَلَتْ لِسَبْقِ السَّعَادَةِ فِي الرَّهَادَةِ هَمُّهُمْ، وَعَدَبَ فِي مَعِينِ الْمُعَامَلَةِ سِرُّهُمْ وَطَابَ فِي مَجْلِسِ
 الْأَنْسِ سِرُّهُمْ، وَأَمِنَ فِي مَوْطِنِ الْمَخَافَةِ سِرُّهُمْ، وَأَطْمَأَنَّتْ بِالرُّجُوعِ إِلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ أَنْفُسُهُمْ، وَتَيَقَّنَتْ
 بِالْفُؤُوزِ وَالْفَلَاحِ أَرْوَاحُهُمْ، وَقَرَّتْ بِالنَّظَرِ إِلَى مَحْبُوبِهِمْ أَعْيُنُهُمْ، وَاسْتَقَرَّ بِإِدْرَاكِ السُّؤْلِ وَتَبِيلِ الْمَأْمُولِ
 قَرَارُهُمْ، وَرَبَّحَتْ فِي بَيْعِ الدُّنْيَا بِالْآخِرِ تِجَارَتُهُمْ.

إلهي ما ألدَّ خَوَاطِرَ الإِهَامِ بِذِكْرِكَ عَلَى القُلُوبِ، وَمَا أَحْلَى المَسِيرَ إِلَيْكَ بِالْأوهَامِ فِي مَسَالِكِ الغُيُوبِ، وَمَا أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ، وَمَا أَعَدَّ شَرِبَ قُرْبِكَ، فَأَعِدْنَا مِنْ طَرْدِكَ وَإِعَادِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَحْصَى عَارِفِيكَ، وَأَصْلَحِ عِبَادِكَ، وَأَصْدَقِ طَائِعِيكَ وَأَخْلَصِ عِبَادِكَ، يَا عَظِيمَ، يَا جَلِيلَ، يَا كَرِيمَ، يَا مُنِيلَ، بِرَحْمَتِكَ وَمَنَّكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

المناجاة الثالثة عشرة : مناجاة الذاكرين

بسم الله الرحمن الرحيم . إلهي لَوْلَا الواجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَهْتُمْ مِنْ ذِكْرِي إِيَّاكَ، عَلَى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي، لَا بِقَدْرِكَ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدَارِي، حَتَّى أَجْعَلَ مَحَلًّا لِتَقْدِيرِيسِكَ، وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنَا جَرِيَانُ ذِكْرِكَ عَلَى أَلْسِنَتِنَا، وَإِذْنُكَ لَنَا بِدَعَائِكَ، وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِكَ.

إلهي فَاهْمُنَا ذِكْرَكَ فِي الخَلَاءِ وَالْمَلَاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ، وَفِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَنَسَبِنَا لِذِكْرِكَ لِخَفِيِّ، وَاسْتَعْمَلْنَا بِالْعَمَلِ الرَّكْبِيِّ، وَالسَّعْيِ الْمَرْضِيِّ، وَحَازِنَا بِالْمِيزَانِ الْوَفِيِّ.

إلهي بِكَ هَامَتِ القُلُوبُ الْوَاهِتَةُ، وَعَلَى مَعْرِفَتِكَ جُمِعَتِ العُقُولُ الْمُتَبَايِنَةُ، فَلَا تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ إِلَّا بِذِكْرِكَ، وَلَا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَّا عِنْدَ رُؤْيَاكَ، أَنْتَ الْمُسَبِّحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَالْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَالْمَدْعُوعُ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَالْمُعْظَمُ فِي كُلِّ جَنَانٍ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ غَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ رَاحَةٍ بَعْدَ أَنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُورٍ بَعْدَ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغْلٍ بَعْدَ طَاعَتِكَ.

إلهي أَنْتَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) وَقُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) فَأَمَرْتَنَا بِذِكْرِكَ، وَوَعَدْتَنَا عَلَيْهِ أَنْ تَذْكُرَنَا تَشْرِيفًا لَنَا وَتَفْخِيمًا وَإِعْظَامًا، وَهَذَا نَحْنُ ذَاكِرُوكَ كَمَا أَمَرْتَنَا، فَأُنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا يَا ذَاكِرَ الذَّاكِرِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

إلهي فَرَهْدُنَا فِيهَا، وَسَلَّمْنَا مِنْهَا بِتَوْفِيقِكَ وَعِصْمَتِكَ، وَأَنْزَعْنَا جَلَابِيبَ مُخَالَفَتِكَ، وَتَوَلَّ أُمُورَنَا بِحُسْنِ كِفَايَتِكَ، وَأَوْفِرْ مَزِيدَنَا مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ، وَأَجْمَلْ صِلَاتِنَا مِنْ فَيْضِ مَوَاهِبِكَ، وَأَغْرِسْ فِي أَفْتَدَتِنَا أَشْجَارَ مَحَبَّتِكَ، وَأَتِمِّمْ لَنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ، وَأَذِقْنَا حَلَاوَةَ عَفْوِكَ، وَلَذَّةَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَقْرِرْ أَعْيُنَنَا يَوْمَ لِقَائِكَ بِرُؤُوسِكَ، وَأَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا كَمَا فَعَلْتَ بِالصَّالِحِينَ مِنْ صَفْوَتِكَ، وَالْأَبْرَارِ مِنْ حَاصَّتِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

رسالة الحقوق

رسالة الحقوق من أهم الوثائق الدينية التي تطرقت إلى المباني الحقوقية للإجتماع الإنساني . ولعل كل من جاء بعد الإمام السجاد عليه السلام (ت ٩٥ هـ) (كابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) وأبو بكر الهيثمي (ت 807 هـ) استفاد منها في صياغة فكرة إجتماعية أو نظرية في بناء الدولة والإدارة أو فهم لطبيعة الحقوق الشخصية والإجتماعية والإلهية.

أ. في سند الرسالة ووحدة موضوعها

روى (رسالة الحقوق) الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) في كتابه : (الخصال) ، و(من لا يحضره الفقيه) ، وتلاها في (الأمالي) عن ثابت بن أبي صفية المعروف بأبي حمزة الثمالي (الثقة) ، وقال : (هذه رسالة علي بن الحسين عليه السلام إلى بعض أصحابه ...)^(١) ورواها الكليني (ت ٣٢٩ هـ) ونقلها الحراني في (تحف العقول)^(٢)

(١) الخصال ج ٢ ص ١٢٦ ، ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٧٦ - ٣٨١ ، وأمالي الصدوق ص ٢٢١ مجلس ٥٩.

(٢) تحف العقول للحراني ص ١٨٤.

ثم نقلها المحدث النوري في كتابه (المستدرک) ^(١) عن (تحف العقول) قائلاً: (قلت: قال السيد علي بن طاووس في فلاح السائل: وروينا باسنادنا في كتاب الرسائل عن محمد بن يعقوب الكليني باسناده إلى مولانا زين العابدين عليه السلام أنه قال: فأما حقوق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة...) ، وساق مثل ما مر في (تحف العقول).

والخبير الذي يأنس بالأحاديث الشريفة يستطيع أن يجزم بأن الخبر المعروف بحديث الحقوق الذي رواه الشيخ الصدوق في (الخصال) و (من لا يحضره الفقيه) هو مختصر ما رواه الكليني المنقول في (تحف العقول). والمعلوم ان الشيخ الصدوق قد ذكر في مقدمة كتاب (من لا يحضره الفقيه) بأنه قد ألفه على طراز من لا يحضره الطبيب) لكنه في الفقه والحلال والحرام والشرايع والأحكام بدل الطب. فهو مختصر مستخرج من الكتب المعتمدة المشهورة عند الإمامية.

والنتيجة أن الخبرين متحدان في الموضوع ، وليس هناك أي احتمال للتعدد. قال النجاشي (ت ٤٥٠ هـ) في ترجمة أبي حمزة: (وله رسالة الحقوق عن علي بن الحسين عليهما السلام أخبرنا أحمد بن علي قال حدثنا الحسن بن حمزة قال: حدثنا علي بن إبراهيم عن أبيه عن

(١) المستدرک للنوري ج ٢ ص ٢٧٤.

محمد بن الفضيل عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام ، وهذا السند أعلى وأصح من طريق الصدوق رحمه الله في الخصال ...^(١)

أقول : ان طريق الصدوق في (الأمالي)^(٢) صحيح أيضا.

فرواها عن علي بن أحمد بن موسى ، عن محمد بن جعفر الكوفي الأسدي ، عن محمد بن اسماعيل البرمكي ، عن عبد الله بن أحمد ، عن اسماعيل بن الفضل ، عن ثابت بن دينار الشمالي عن سيد العابدين علي بن الحسين.

فالأول علي بن أحمد بن موسى الدقاق من مشايخ الصدوق الذين يكثر النقل عنهم مع الترحم عليهم . والثاني محمد بن جعفر من وكلاء الإمام المهدي (عج) الذين رأوه ووقفوا على بعض خصوصياته . والثالث محمد البرمكي وهو ثقة مستقيم عند النجاشي . والرابع عبد الله بن أحمد بن نهيك ثقة صدوق . والخامس اسماعيل بن الفضل وهو ابن يعقوب بن الفضل بن عبد الله ثقة جليل القدر . كان الصادق عليه السلام يقول هو كهل من كهولنا وسيد من ساداتنا . وثابت بن دينار هو أبو حمزة الشمالي وهو ثقة بل وتد من الأوتاد.

وسبب اختلاف النسختين يرجع إلى احتمالين:

(١) رجال النجاشي.

(٢) أمالي الصدوق ص ٢٢١ مجلس ٥٩.

1. إما ان الإمام علي عليه السلام ذكر رسالة الحقوق في مناسبتين مختلفتين . وهذا بعيد لأن الرسالة نقلها ثابت بن دينار (أبو حمزة الثمالي) فقط ، ولم ينقلها راوٍ آخر . فيتعين أن الإمام علي عليه السلام ذكرها له تلك المرة ، ولم يكررها لغيره.

2. واما ان الرواة اختلفوا في نقل مضامينها . فنقلها الكليني عن طريق صحيح يصل إلى ثابت بن دينار ، ونقلها الشيخ الصدوق ملخصة عن طريق سندي آخر صحيح أيضا . وهذا الإحتمال أقرب . وتأکید النجاشي على علو رواية الكليني ودقتها يجعلنا نطمئن لها . ولذلك عرضنا رسالة الحقوق برواية الكليني لذلك الإعتبار . وعلى أي تقدير ، فالروايتان لا تختلفان في الألفاظ إلا يسيرا . أما المعنى فهو واحد.

ب . الدلالات الإجتماعية لرسالة الحقوق

وهذا الكتاب الذي كتبه الإمام السجاد عليه السلام إلى بعض أصحابه ، المعروف برسالة الحقوق ، يعدُّ معلما من معالم النظام الإجتماعي والحقوقى الإسلامى . وهو نظام كلي ثابت للدولة الحديثة ، ومتجدد بتحدد الحياة الإجتماعية . وعندما نقرأه اليوم ، نجد أنه ابن الساعة في منظومة أفكاره وتسلسله ، وتنظيمه لحقوق الإنسان مع نفسه وربه وغيره من بني البشر . فقد تناول الإمام علي عليه السلام في رسالته حقوق الأسرة ، والتعليم ، والسلطة السياسية ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق الإجتماعية ، والسلام الإجتماعي عبر نبد الجريمة والفساد والسرقه ، وحقوق الجيرة ، والإدارة المالية ، والقيادة الدينية ، والشركة التجارية ، والقضاء ، والاستشارة والنصيحة ، وحرية الرأي والحقوق الإجتماعية . وهي بكلها تمثل صورة المؤسسات الإجتماعية في الدولة الحديثة ، بل الدولة في كل زمان ومكان.

ولا شك ان الإمام علي عليه السلام في نظره الشاملة حول الحقوق ، كان يشدد على مباني الهيئات الحقيقية والحقوقية التي تدير الناس وتدبر شؤونهم الحياتية والاقتصادية . وهذا الفكر الرباني يعدُّ من أرقى أفكار التنظيم الإداري قبل نشوء الدولة الحديثة . والإعجاز فيه أنه صورة دينية أخلاقية إلزامية لكل مجتمع على وجه الأرض من افريقيا إلى اوروبا إلى اسيا . وفي كل حقبة زمنية من زمن النص وحتى اليوم.

فعلى مستوى القضاء : إرشاد إلى المدعى والمدعى عليه . فالمدعى على إنسان ما حقا لا تبطل دعوته . والمدعى عليه ينبغي معاملته باللطف والرفق . ومن ساءه القضاء على يدي شخص بقول أو فعل فالعفو أولى به . وللمستشير حق الاستشارة ، والشكر للمشير عليك على ما ابداه من رأي مهما كان . وللمستصيح الحق في طلب النصيحة ، وعلى الناصح الرفق واللين بالمنصوح . وتعتبر الاستشارة اليوم من أعظم الحقول المهنية في المجتمعات المتطورة ، وهي ترتبط بالقضاء والقانون والتجارة .

وعلى مستوى النظام السياسي : مهما كان لونه ، فهناك : حاكم ومحكوم . فللحاكم ان يلحظ بعين العطف ضعف الرعية وحاجتهم للعزة ، وللمحكوم أن يعين الحاكم العادل على حكمه وتعزيز قوته . وإمام الصلاة جماعة متفضل على المأمومين بما كفاهم ذلك المقام أمام الله ، وللمؤذن حق الشكر .

وعلى مستوى نظام التعليم : فالأصل في التعلم هو العلاقة الطيبة بين الاستاذ والتلميذ والمنهج . فللمعلم حق التعظيم والإقبال عليه ، وللمتعلم حق النصح والإرشاد .

وعلى مستوى الأسرة : فالزوجية هي المستراح والأنس والوقاية ، ولكل من الزوجين حقوق وواجبات . وحقوق الأبوين برهما لأنهما أصل الإنسان ومصدر رزقه يوم كان عاجزاً عن كسبه ، وحق الأولاد حسن التأديب ، وحق الأخ أن تنصحه وتحن إليه وأن تتخذه ظهراً لك .

وعلى مستوى الناس : الإحسان إلى الجار ونصرته ، وإظهار الحسن الطيب للجليس ، وصحبة الصديق بالفضل ، والإخلاص للشريك ، وتوقير الكبير ، والعفو عن الصغير ، ونشر جناح الرحمة على جميع الناس .

وعلى مستوى الأمان الإجتماعي : حرمة بسط اليد إلى ما لا تحل للإنسان ، أي حرمة العنف والإعتداء والغصب والسرقة .

وعلى مستوى العبادة : فحق الله الأكبر هو عبادته بإخلاص وتفان عبر الصلاة التي هي وفادة بخشوع وذلة ورهبة إلى الله تعالى ، والصوم وهو سترٌ على الإنسان من النار ، والحج وهو وفادة أخرى إلى الله تعالى عندما يفرُّ الإنسان من ذنوبه .

وعلى مستوى الإنسان والأخلاق : فعلى الإنسان أن يستعمل نفسه في طاعة الله ، وان يعوِّ لسانه على ألفاظ الخير ، وأن ينزّه سمعه من الغيبة وفاحش القول ، وأن يعض بصره عن المحارم ، وأن لا يمشي برجليه إلى ما لا يحلّ له ، وأن لا ييسط يديه إلى ما لا تحلّ له ، وأن لا يأكل الحرام ولا يعمل الحرام .
وعلى مستوى الإدارة المالية في المجتمع : فأن لا يأخذ المال إلا من حلّه ، ولا يصرفه إلا في ذلك ، وأن يردّ مال الغريم ، وأن يعطي السائل ما يكفيه ، فيشكّر على ذلك ، وأن ينفق ما يستطيع بالكتمان والعلانية ، والكتمان أولى .

ج . نص الرسالة

اعلم . رحمك الله . أن الله عز وجل عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركتها ، أو سكونة سكنتها ، أو حالٍ حلتها ، أو منزلةٍ نزلتها ، أو جاريةٍ قلبتها ، أو آلةٍ تصرفت بها ، بعضُها أكبر من بعض ، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تتفرع .
ثم ما أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل لبصرك عليك حقاً ، ولسمعك عليك حقاً ، ولللسانك عليك حقاً ، وليدك عليك حقاً ، ولرجلك عليك حقاً ، ولبطنك عليك حقاً ، ولفرجك عليك حقاً . فهذه الجوارح السبع التي بها تكونُ الأفعالُ .
ثم جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً ، فجعل لصلاتك عليك حقاً ، ولصومك عليك حقاً ، ولصدقتك عليك حقاً ، ولهديك عليك حقاً ، ولأفعالك عليك حقاً .

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك ، وأوجبها عليك حق أئمتك ، ثم حقوق رعيتك ، ثم حقوق رحمتك ، فهذه حقوق تنشعب منها حقوق . فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك : حق سائسك بالسلطان ، ثم سائسك بالعلم ، ثم حق سائسك بالملك ، وكل سائس إمام^(١) وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك : حق رعيتك بالسلطان ، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم ، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الإيمان .

وحقوق رحمتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة . فأوجبها عليك : حق أمك ، ثم حق أبيك ، ثم حق ولدك ، ثم حق أخيك ، ثم الأقرب فالأقرب ، والأولى فالأولى ، ثم حق مولاك المنعم عليك ، ثم حق مولاك الجارية نعمته عليك ، ثم حق ذي المعروف لديك ، ثم حق مؤذنتك بالصلوة ، ثم حق إمامك في صلاتك ، ثم حق جليستك ، ثم حق جارك ، ثم حق صاحبك ، ثم حق شريكك ، ثم حق مالك ، ثم حق غريمك الذي تطالبه ، ثم حق غريمك الذي يطالبك ، ثم خليطك ، ثم حق خصمك المدعى عليك ، ثم حق خصمك الذي تدعى عليه ، ثم حق مستشيرك ، ثم المشير عليك ، ثم مستنصحك ، ثم حق سائلك ، ثم حق من سألته ، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل ، أو مسرةً بذلك بقول أو فعل عن تعمد منه أو غير تعمد منه ، ثم حق أهل ملتك عامة ، ثم حق أهل الذمة ، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصير^٣ الأسباب ، فطوبى لمن أعانته الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ، ووقفه وسدده.

(١) السائس : القائم بأمر والمدبر له.

١ . (فأما حق الله الأكبر عليك:)

فأن تعبدُهُ لا تشركَ به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيناك أمر الدنيا والآخرة ، ويحفظَ لك ما تحبُّ منهما.

٢ . (وأما حق نفسك عليك:)

فأن تستوفيها في طاعة الله عزّ وجلّ فتؤدي إلى لسانك حقّه ، وإلى سمعك حقّه ، وإلى بصرك حقّه وإلى يدك حقّها ، وإلى رجلك حقّها ، وإلى بطنك حقّه ، وإلى فرجك حقّه ، وستعين بالله على ذلك.

٣ . (وأما حق اللسان:)

فإكرامه عن الخنا^(١) ، وتعويدُهُ على الخير ، وحملُهُ على الأدب ، وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا ، وإعفاؤه من الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمنُ ضررها مع قلة عائدتها. ويعد شاهد العقل والدليل عليه ، وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) الخنا : الفحش من الكلام.

٤ . (وأما حق السمع:)

فتنزيهه عن أن يجعله طريقاً إلى قلبك ، إلا لفوهة كريمة ، تُحدث في قلبك خيراً ، أو تكسب خلقاً كريماً ، فإنه باب الكلام إلى القلب ، يؤدي إليه ضروب المعاین على ما فيها من خير أو شر ، ولا قوة إلا بالله.

٥ . (وأما حقُّ بصرك:)

فغضُّه عما لا يحل لك ، وترك ابتداله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً ، أو تستفيد بها علماً ، فإن البصر باب الاعتبار.

٦ . (وأما حق رجلك:)

فان لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك ، ولا تجعلهما مطيئتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها ، فإنها حاملتك ، وسالكك بك مسلك الدين ، والسبق لك ، ولا قوة إلا بالله.

٧ . (وأما حق يديك:)

لقد بسطها إلى ما لا يحل لك ، فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ، ومن الناس اللائمة في العاجل^(١) ، ولا تقبضها عما افترض الله عليها ، ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يحل لها ، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها ، فإذا هي قد عُقِلت وشُرِفت في العاجل ، ووجب لها حسن الثواب من الله في الآجل.

٨ . (وأما حق بطنك:)

فأن لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام ولا لكثير ، وأن تقتصد له في الحلال ، ولا تخرجه من حدّ التقوية إلى حد التهوين ، وذهاب المرؤة وضبطه إذا همَّ بالجوع والظمأ ، فان الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل برّ وكرم . وإن الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة^(٢) ، ومذهبة للمرؤة.

(١) أي عذاب الدنيا والآخرة . فعذاب الدنيا هو لسان اللائمة من الناس ، واما عذاب الآخرة فعقوبة الله.

(٢) المجهلة : ما يحملك على الجهل.

٩. (وأما حقُّ فرجك:)

فحفظُهُ مما لا يحلُّ لك ، والاستعانة عليه بغضِّ البصر فإنه من أعوان الأعدوان ، وكثرة ذكر الموت ،
والتهدّد لنفسك بالله ، والتخويف لها به ، وبالله العصمة والتأييد ، ولا حول ولا قوة إلاّ به.

ثم حقوق الأفعال:

١٠. (وأما حقُّ الصلاة:)

فأنّ تعلمَ أنّها وفادةٌ إلى الله ، وأنتك قائمٌ بها بين يدي الله ، فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم
فيها مقام الذليل الراغب الراهب ، والخائف الراجي المسكين المتضرع ، المعظم من قام بين يديه
بالسكون أو الإطراق^(١) وخشوع الأطراف ، ولين الجناح ، وحسن المناجاة له في نفسه ، والرغبة إليه في
فكاك رقبته التي أحاطت بها خطيئتك ، واستهلكتها ذنوبك ، ولا قوة إلاّ بالله.

(١) الإطراق (من أطرق الرجل) : أرخى عينه فينظر إلى الأرض.

وَحَقُّ الْحَجِّ (١)

أن تعلم أنه وفادةٌ إلى ربك ، وفراژٌ إليه من ذنوبك ، وبه قبول توبتك ، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.

١١ . (وأما حق الصوم:)

فأن تعلم انه حجابٌ ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ، ليسترك به من النار ، وهكذا جاء في الحديث : (الصَّيُّومُ جِنَّةٌ مِنَ النَّارِ) فإن سكنت أطرافك في حجبتها (٢) ، رجوت أن تكون محبوباً ، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها ، وترفع جنبات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة ، والقوة الخارجة عن حدّ التقية لله لم تأمن من أن تخرق الحجاب وتخرج منه ، ولا قوة إلا بالله.

١٢ . (وأما حق الصدقة:)

فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك ، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد ، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سراً أوثق منك بما استودعته علانيةً ، وكنت جديراً أن لا تكون أسررت إليه أمراً أعلنته ،

(١) ولم يذكر حق الحج في (تحف العقول) ، وذكره في (الخصال).

(٢) الحَجْبَةُ بالتحريك : جمع حاجب.

وكان الأمرُ بينك وبينه فيها سرّاً على كل حال ، ولم تستظهر عليه فيما استودعته منها بأشهاد الأسماع والأبصار عليه بها ، كأنها أوثق في نفسك ، وكأنك لا تثقُ به في تأدية وديعتك إليك ، ثم لم تمتّ بها على أحدٍ ، لأنها لك فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين^(١) حالك منها إلى من مننت بها عليه لأنّ في ذلك دليلاً على أنك لم تُرد نفسك بها ، ولو أردت نفسك بها لم تمتّ بها على أحد ، ولا قوة إلا بالله.

١٣ . (وأما حقُّ الهدي):

فأن تُخلص بها الإرادةَ إلى ربك ، والتعرض لرحمته وقبوله ، ولا تُريدَ عيونَ الناظرين دونهُ ، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفاً ولا متصنعاً وكنت إنما تقصد إلى الله . واعلم أنّ الله يُرادُ باليسير ، ولا يُراد بالعسير كما أراد بخلقه اليسير ، ولم يُردْ بهم التعسير . وكذلك التذللُ أولى بك من التدهقن^(٢) ، لأن الكلفةَ والمؤونةَ في المتدهقنين . فأما التذللُ والتمسكُ فلا كلفةَ فيهما ، ولا مؤونةَ عليهما ، لأحدهما موجودان في الطبيعة ، ولا قوةَ إلا بالله.

(١) التهجين : التقيح والتحقير.

(٢) التدهقن ، وتدهقن أي صار دهقاناً وهو رئيس القرية وزعيم العشيرة ويراد به ضد التمسك والتذلل . تمسكن : خضع وأخبت.

ثم حقوق الأئمة:

١٤ . (فأما حق سائسك بالسلطان):

فأن تعلم أنك جعلت له فتنة ، وأنه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان ، وأن تُخلص له في النصيحة ، وأن لا تُماحكه^(١) وقد بُسطت يده عليك ، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه ، وتذلل وتلطف لأعطائه من الرضا ما يكفُّه عنك ولا يضرب بدينك ، وتستعين عليه في ذلك بالله . ولا تُعاظه^(٢) ولا تُعانده فإنك إن فعلت ذلك عققته ، وعققت نفسك^(٣) ، فعرضتها لمكروهه ، وعرضته للهلكة فيك ، وكنت خليقاً أن تكون معيناً له على نفسك ، وشريكاً فيما أتى إليك ولا قوة إلا بالله.

١٥ . (فأما حق سائسك بالعلم):

فالتعظيم له ، والتوقيرُ مجلسه ، وحسن الاستماع إليه ، والإقبال عليه ، والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم ، بأن تُقرِّع له علمك ، وتُحضره فهمك ، وتركي له قلبك ، ومُجَلِّي له بصرك ، بترك اللذات ، ونقص الشهوات ، وأن تعلم أنك فيما ألقى

(١) لا تماحكه : لا تخاصمه ولا تنازعه.

(٢) لا تعاظه : لا تعارضه في العوِّ.

(٣) عققته : عصيت وأذيت.

[إليك] رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل ، فلزمك حسنُ التأدية عنه إليهم ، ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٦ . (وأما حقُّ سائسك بالملك) :

فنحو من سائسك بالسلطان ، إلا أنّ هذا يملك ما لا يملكه ذاك تلزمك طاعته فيما دق وجل منك إلا أن يُخرجك من وجوب حقّ الله ، ويجول بينك وبين حقه وحقوق الخلق ، فإذا قضيته رجعت إلى حقه ^(١) ، فتشاغلت به ، ولا قوة إلا بالله.

ثم حقوق الرعية:

١٧ . (فأما حقوق رعيتك بالسلطان) :

فأن تعلم أنك إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم ، فإنه إنما أحلهم محلّ الرعية لك ضعفهم وذلمهم ، فما أولى من كفاكهم ضعفه وذلمه حتى صيره لك رعيةً ، وصير حكمتك عليه نافذاً لا يمتنع منك بعزّة ولا قوة ، ولا يستنصر فيما تعاضمه منك إلا [بالله] بالرحمة والحياطة والأناة ^(٢) ، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوة التي قهرت بها أن تكون لله شاكراً ، ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ، ولا قوة إلا بالله.

(١) أي إذا قضيت حق الله فارجع إلى أداء حق مالكك.

(٢) الحياطة : الحفاظة والحماية والصيانة . الأناة (كقناة) : الوقار والحلم ، وأصله الانتظار.

١٨ . (وأما حق رعيّتك بالعلم):

فأنّ تعلم أنّ الله جعلك لهم خازناً فيما آتاك من العلم ، وولاك من خزانة الحكمة ، فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك ، وثُمتَ به لهم مقام الخازن الشفيح الناصح لمولاهُ في عبيده ، الصابر المحتسب الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه ، كنت راشداً ، وكنت لذلك آملاً (١) (معتقدا وإلا كنت له خائناً ، ولخلقه ظالماً ، ولسلبه وعزّه متعرضاً).

١٩ . (وأما حقُّ رعيّتك بملك النكاح):

فأنّ تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقيةً ، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمّد الله على صاحبه ، ويعلم أنّ ذلك نعمةٌ منه عليه . ووجب أن يُحسنَ صُحبةَ نعمة الله ويُكرمها ويرفق بها ، وإن كان حقك عليها أغلظ ، وطاعتك بما ألزم فيما أحببت وكرهت ، ما لم تكن معصيةً ، فإن لها حق الرحمة والمؤانسة ، ولا قوة إلا بالله.

(١) الآمل : خادم الرجل وعونه الذي يأمله.

٢٠ . (وأما حق رعيتك بملك اليمين:)

فأن تعلم أنه خلق ربك ، ولحمك ودمك وأنك لم تملكه لا أنت صنعته دون الله ، ولا خلقت له سمعا ولا بصرأ ، ولا أجريت له رزقأ ، ولكن الله كفاك ذلك . ثم سخَّرَ لك وائتمنك عليه ، واستودعك إياه لتحفظه فيه ، وتسير فيه بسيرته ، فتطعمه مما تأكل ، وتلبسه مما تلبس ، ولا تكلفه ما لا يطيق ، فإن كرهته خرجت إلى الله منه ، واستبدلت به ولم تعدب خلق الله ، ولا قوة إلا بالله .
وأما حقُّ الرحم:

٢١ . (فأما حق أملك:)

أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً ، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لم يُطعم أحدٌ أحداً ، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها ، وجميع جوارحها مستبشرةً بذلك فرحةً ، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها ، حتى دفعتها عنك يد القدرة ، وأخرجتك إلى الأرض ، فرضيت أن تشيع وتجويع هي ، وتكسوك وتعري ، وترويك وتنظماً ، وتظلك وتضحى ، وتنعمك ببؤسها ، وتلدذك بالنوم بأرقها ، وكان بطنها لك وعاءً ، وحجرها لك حواء^(١) ، وتديها لك سقاءً ونفسها لك وقاءً ، تباشُر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك ، فتشكرها على قدر ذلك ، ولا تقدرُ عليه إلا بعون الله وتوفيقه .

٢٢ . (وأما حق أبيك:)

فأن تعلم أنه أصلك ، وأنك فرغهُ ، وأنك لولاه لم تكن . فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك ، فاعلم أن أباك أصلُ النعمة عليك فيه ، واحمدِ الله واشكرهُ على قدر ذلك ، ولا قوة إلا بالله .

٢٣ . (وأما حق ولدك:)

فأن تعلم أنه منك ، ومضافٌ إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره . وأنك مسؤول عما وليته من حُسن الأدب ، والدلالة على ربه ، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه ، فمثابٌ على ذلك ومعاقبٌ ، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا ، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه ، والأخذ له منه ، ولا قوة إلا بالله .

(١) الحواء : ما يحتوي به الشيء . من حوى الشيء إذا أحاط به من جهاته .

٢٤ . (وأما حق أخيك):

فأن تعلم أنه يدك التي تبسطها ، وظهرك الذي تلتحيء إليه ، وعزك الذي تعتمد عليه ، وقوتك التي تصول بها فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ، ولا عُدَّةً للظلم لخلق الله ، ولا تدع نُصرتَه على نفسه ، ومعونته على عدوه ، والحوول بينه وبين شياطينه ، وتأدية النصيحة إليه ، والإقبال عليه في الله ، فإن انقاد إلى ربه ، وأحسن الاجابة له ، وإلا فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه.

٢٥ . (وأما حق المنعم عليك بالولاء) (١)

فأن تعلم أنه أنفق فيك ماله ، وأخرجك من ذل الرق ووحشته ، إلى عز الحرية وأنسها ، وأطلقك من أسر الملكة ، وفك عنك حلق العبودية وأوجدك رائحة العز ، وأخرجك من سجن القهر ، ودفع عنك العسر ، ويسط لك لسان الإنصاف ، وأباحك الدنيا كلها ، فملكك نفسك ، وحل أسرك ، وفرغك لعبادة ربك ، واحتمل بذلك التقصير في ماله . فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولى رحمك في حياتك وموتك ، وأحق الخلق بنصرك ومعونتك ، ومكانفتك (٢) في ذات الله ، فلا تؤثر عليه نفسك ما أحتاج إليك.

٢٦ . (وأما حق مولاك ، الجارية عليه نعمتك):

فأن تعلم أن الله جعلك حامياً عليه ، وواقياً وناصراً ومعقلاً ، وجعله لك وسيلةً وسبباً بينك وبينه ، فبالحري أن يحجبك عن النار ، فيكون في ذلك ثواب منه في الآجل ، ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رجم ، مكافأة لما أنفقته من مالك عليه ، وقُمت به من حقه بعد إنفاق مالك ، فإن لم تقم بحقه خيف عليك أن لا يطيب له ميراثه ، ولا قوة إلا بالله.

٢٧ . (وأما حق ذي المعروف عليك):

فأن تشكره ، وتذكر معروفه ، وتنشر له المقالة الحسنة ، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه ، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانيةً ، ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كإفائه ، وإلا كنت مُرصداً له موطناً نفسك عليها.

(١) الولاء (بالفتح) : النصرة والملك والمحبة والصدقة والقرابة.

(٢) المكافئة : المعاونة.

٢٨ . (وأما حق المؤمن) :

فأن تعلم أنه مُدَكَّرُكَ بِرَبِّكَ ، وداعيكَ إلى حظِّكَ ، وأفضلُ أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك ، فتشكرُهُ على ذلك شُكْرَكَ للمحسن إليك ، وعلمت أنه نعمةٌ من الله عليك لا شكَّ فيها ، فأحسِن صحبة نعمة الله عليها على كل حال ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢٩ . (وأما حق إمامك في صلواتك) :

فأن تعلم أنه تقلِّد السفارة فيما بينك وبين الله ، والوفادة إلى ربك وتكلّم عنك ، ولم تتكلّم عنه ، ودعا لك ولم تدعُ له ، وطلبَ فيك ، ولم تطلبْ فيه ، وكفأك همّ المقام بين يدي الله ، والمسألة له فيك ، ولم تكفه ذلك ، فإن كان في شيءٍ من ذلك تقصيرٌ كان به دونك ، وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه ولم يكن له عليه فضل . فوقى نفسك بنفسه ، ووقى صلواتك بصلاته ، فتشكّر له ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣٠ . (وأما حق المجلس) :

فأن تُلِّين له كنفك ^(١) ، وتُطِيبَ له جانبك ، وتُنصِفَه في مجاراة اللفظ ولا تغرق ^(٢) في نزع اللحظ إذا لحظت ، وتقصّد في اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت ، وإن كنتَ المجلس إليه كنتَ في القيام عنه بالخيار ، وإن كان المجلس إليك كان بالخيار ، ولا تقومُ إلا بإذنه ، ولا قوةٌ إلا بالله.

٣١ . (وأما حق الجار) :

فحفظه غائباً ، وكرامته شاهداً ، ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً لا تتبع له عورةً ، ولا تبحث عن سوءةٍ لتعرفها ، فإن عرفتها منه عن غير إرادةٍ منك ولا تكلفٍ ، كنتَ لما علمتَ حصناً حصيناً ، وستراً ستيراً ، لو بحثتِ الأستة عنه ضميراً لم تتصل إليه لا نطوائه عليه ، لا تستمع عليه من حيث لا يعلم . لا تُسلمه عند شديدة ، ولا تحسده عند نعمة ، ثقيلُ عثرته وتغفر زلته ، ولا تدخُرَ حلمك عنه إذا جهل عليك ، ولا تخرج أن تكون مسلماً له تردّ عنه لسان الشتيمة ، وتبطلُ فيه كيد حامل النصيحة ، وتعاشرُهُ معاشرةً كريمةً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) الكنف : الجانب والظل.

(٢) يقال : تجاروا في الحديث : جرى كل واحد مع صاحبه ، ومنه مجاراة من لا عقل له أي الخوض معه في الكلام . ولا تغرق : ولا تبالغ في أمره.

٣٢. (وأما حق صاحب):

فإن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سيلاً ، وإلا فلا أقلّ من الإنصاف وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة ، فإن سبقك كافأته ، ولا تُقصّر به عما يستحق من الموحّ . تُلمّ نفسك نصيحتك ، وحياطتك ، ومعاضدته على طاعة ربه ، ومعونته على نفسه ، فيما لا يهّم به من معصية ربه ، ثم تكون عليه رحمةً ، ولا تكن عليه عذاباً ، ولا قوة إلا بالله.

٣٣. (وأما حق الشريك):

فإن غاب كفيته ، وإن حضر ساويته ، ولا تعزّم على حُكْمِكِ دون حُكْمِه ، ولا تعمل برأيك دون مُناظرته ، وتحفظُ عليه ماله ، وتتقي خيانتَه فيما عرّ أو هان ، فإنه بلغنا (أن يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا) ولا قوة إلا بالله.

٣٤. (وأما حق المال):

فإن لا تأخذه إلا من حلّه ، ولا تُنفقه إلا في حلّه ، ولا تحرفه عن مواضعه ، ولا تصرفه عن حقائقه ، ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه ، وسببا إلى الله . ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمذك ، وبالحرّي أن لا يحسن خلافته في تركتك ^(١) ، ولا يعمل فيه بطاعة ربك فيذهب بالغنيمة وتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة ^(٢) ، ولا قوة إلا بالله.

٣٥. (وأما حق الغريم ^(٣) المطالب لك):

فإن كنت موسراً أوفيته ، وكفيته وأغنيته ، ولم تردده وتمطله (٤) ، فإن رسول الله ﷺ قال : (مظل الغني ظلم) . وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول ، وطلبت إليه طلباً جميلاً ورددته عن نفسك رداً لطيفاً ، ولم تجمع عليه ذهاب ماله ، وسوء معاملته ، فإن ذلك لؤم ، ولا قوة إلا بالله.

(١) التركة (بفتح وكسر) : الشيء المتروك أي تركه الميت (الميراث .)

(٢) التبعة : ما يترتب على الفعل من الشر ، وربما يستعمل في الخير أيضا .

(٣) الغريم : الدائن . ويطلق أيضا على المديون .

(٤) المظل : التسويف والتعلل في أداء الحق وتأخيره عن وقته .

٣٦ . (وأما حق الخليط ^(١))

فأن لا تغرّه ، ولا تغشّه ، ولا تكذبه ، ولا تغفله ، ولا تحدعه ، ولا تعمل في انتفاضه عمل العدو الذي لا يبقى على صاحبه ، وإن اطمأنّ إليك أستقصيت ^(٢) له على نفسك ، وعلمت أن غبن المسترسل ربا ^(٣) ثم حق الخصم:

٣٧ . (وأما حق الخصم المدعي عليك):

فإن كان ما يدعي عليك حقاً لم تنفسخ في صحبته ، ولم تعمل في إبطال دعوته ، وكنت خصم نفسك له ، والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود ، فإن ذلك حق الله عليك . وإن كان ما يدعيه باطلاً رفقت به ، وردعته ، وناشدته بدينه ، وكسرت حدته عنك بذكر الله ، وألقيت حشو الكلام ولغظه الذي لا يرد عنك عادية عدوك ، بل تبوء بإثمه ، وبه يشحد عليك سيف عداوته ، لأن لفظة السوء تبعث الشر ، والخير مقمعة للشر ، ولا قوة إلا بالله.

(١) الخليط : المخالط كالندم والشريك والجليس ونحوها.

(٢) استقصى في المسألة : بلغ الغاية فيها.

(٣) الاسترسال : الاستيناس إلى الإنسان والثقة به فيما يحدثه ، وأصله السكون والثبات . وفي الحديث : (غبن المسترسل سحت) ، و (غبن المسترسل ربا) .

٣٨. (وأما حق الخصم المدعى عليه:)

فإن كان ما تدّعيه حقاً أجملت في مقاولته ^(١) بمخرج الدعوى ، فإن للدعوى غلظة في سمع الدّعى عليه ، وقصدت قصد حجّتك بالرفق ، وأمهل المهلة ، وأبين البيان ، وألطف اللطف ، ولم تتشاغل عن حجّتك بمنازعتة بالقييل والقال ، فتذهب عنك حجّتك ، ولا يكون لك في ذلك دركٌ ، ولا قوة إلا بالله

ثم حق المشاورة والنصيحة:

٣٩. (وأما حق المستشار):

فإن حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة ، وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به ، ليكون ذلك منك في رحمةٍ ولينٍ ، فإن اللين يؤنس الوحشة ، وأن الغلظ يوحش موضع الأنس ، وإن لم يحضرك له رأيٌ ، وعرفت له من تثق برأيه ، وترضى به لنفسك دللته عليه وأرشدته إليه فكنت لم تأله ^(٢) خيراً ولم تدّخره نصحاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) المفاولة : المجادلة والمباحثة.

(٢) لم تأله : لم تقصره . من : ألا ، يألو.

٤٠ . (وأما حق المشير عليك:)

فلا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه ، إذا أشار عليك فإنما هي الآراء وتصرف الناس فيها وأختلافهم ، فكن عليه في رأيه بالخيار إذا أهتمت رأيه ، فأما تهمته فلا يجوز لك إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة ، ولا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه ، وحسن وجه مشورته ، فإذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من أخيك بالشكر والإرصاد بالمكافأة في مثلها إن فرغ إليك ، ولا قوة إلا بالله.

٤١ . (وأما حق المستصح:)

فإن حقه أن تؤدي إليه النصيحة على الحق الذي ترى له أنه يحمل ، وتخرج المخرج الذي يلين على مسامعه وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله ، فإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه ، وليكن مذهبك الرحمة ، ولا قوة إلا بالله.

٤٢ . (وأما حق الناصح:)

فإن تلين له جناحك ، ثم تشرئب^(١) له قلبك ، وتفتح له سمعك ، حتى تفهم عنه نصيحته ، ثم تنظر فيها : فإن كان وفق فيها للصواب . حمدت الله على ذلك ، وقبلت منه ، وعرفت له نصيحته . وإن لم يكن وفق لها ، رحمته ولم تتهمه ، وعلمت أنه لم يالك نصحاً ، إلا أنه أخطأ ، إلا أن يكون عندك مستحقاً للثمة ، فلا تعبا بشيء من أمره على كل حال ، ولا قوة إلا بالله.

(١) إشرأب للشيء : مدّ عنقه لينظره ، والمراد ان تملأ قلبك من نصحه.

ثم حق السن:

٤٣ . (وأما حق الكبير):

فإنَّ حقَّه توفير سنَّه ، وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الإسلام بتقدّمه فيه ، وترك مقابله عند الخصام ، ولا تسبقه إلى طريقٍ ، ولا تؤمّه في طريقٍ^(١) ، ولا تستجهله ، وإن جهل عليك تحمّلت ، وأكرمته بحقّ إسلامه مع سنَّه ، فإنما حقّ السنّ بقدر الإسلام ، ولا قوة إلا بالله.

٤٤ . (وأما حق الصغير):

فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه ، والستر عليه ، والرفق به ، والمعونة له ، والستر على جرائمه حدثته ، فإن سببٌ للتوبة ، والمداراة له ، وترك مباحكته ، فإن ذلك أدنى لرشده.

(١) من أم يوم أي ولا تتقدمه.

ثم حق السائل والمسؤول:

٤٥ . (وأما حق السائل):

فاعطاؤه إذا تيقنت صدقه ، وقدرت على سد حاجته والدعاء له فيما نزل به ، والمعونة له على طلبته . وإن شككت في صدقه ، وسبقت إليه التهمة ، ولم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدك عن حظك ، ويجول بينك وبين التقرب إلى ربك ، تركته بستره ورددته رداً جميلاً . وإن غلبت نفسك في أمره ، وأعطيته على ما عرض في نفسك منه فإن ذلك من عزم الأمور .

٤٦ . (وأما حق المسؤول):

فحقه إن أعطى قبل منه ما أعطى بالشكر له ، والمعرفة لفضله ، وطلب وجه العذر في منعه ، وأحسن به الظن ، وأعلم أنه إن منع فماله منع ، وأن ليس التشريب ^(١) في ماله وإن كان ظالماً فإن الإنسان لظلوم كفار .

٤٧ . (وأما حق من سرك الله به وعلى يديه):

فإن كان تعمدها لك حمدت الله أولاً ثم شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء ، وكافأته على فضل الإبتداء ، وأرصدت له المكافأة . وإن لم يكن تعمدها ، حمدت الله أولاً ثم شكرته وعلمت أنه منه ، توخدتك بها وأحببت هذا إذ كان سبباً من أسباب نعم الله عليك ، وترجو له بعد ذلك خيراً ، فإن أسباب النعم بركة حيث ما كانت وإن كان لم يتعمد ، ولا قوة إلا بالله .

(١) التشريب : التوبيخ والملامة.

٤٨ . (وأما حق من ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل):

فإن كان تعمدها كان العفو أولى بك لما فيه له من القمع وحسن الأدب مع كثير من أمثاله من الخلق ، فإن الله يقول : (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ لَمَّزُواِ الْمَسْأُولَ يَجْعَلُونَ لَأَنفُسِهِمْ أَتَىٰ وَمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ لِذَلِكَ لَمَّا كَانَتْ عِزُّ الْأُمُورِ)^(١) (وقال عز وجل) : (إِنِّي عَاقَبْتُمْ بَعْدَ مَا بَدَأْتُ بِكُمْ بِهِ لِيُصْطَبِحَ بِرَحْمَةٍ مِّنِّي خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ)^(٢) . (هذا في العمد ، فإن لم يكن عمداً لم تظلمه بتعمد الانتصار منه فتكون قد كفاة في تعمد على خطأ . ورفقت به ، ورددته بالطف ما تقدر عليه ولا قوة إلا بالله .

(١) سورة الشورى : الآية ٤١ - ٤٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٦ .

ثم حق بقية الناس:

٤٩ . (وأما حق أهل ملّتك عامة):

فإضمار السلامة ، ونشر جناح الرحمة ، والرفق بمسيئهم وتألّفهم ، واستصلاحهم ، وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك ، فإن إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كف عنك أذاه ، وكفأك مؤونته ، وحبس عنك نفسه ، فعّمهم جميعاً بدعوتك ، وانصرهم جميعاً بنصرتك ، وأنزلهم جميعاً منك منازلهم كبيرهم بمنزلة الوالد ، وصغيرهم بمنزلة الولد ، وأوسطهم بمنزلة الأخ . فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة ، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه .

٥٠ . (وأما حق أهل الذمة):

فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله ، وتفي بما جعل الله لهم من دّمته وعهده ، وتكلّمهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم ، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك وبينهم من معاملّة ، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله ، والوفاء بعهده ، وعهد رسوله ﷺ وسلم حائل ، فانه بلغنا أنه قال : (من ظلم معاهدا كنت خصمه) فاتق الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(الخاتمة)

فهذه خمسون حقاً محيطاً بك ، لا تخرج منها في كل حالٍ من الأحوال يجب عليك رعايتها ، والعمل في تأديتها والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والحمد لله ربّ العالمين ^(١)

(١) تحف العقول ص ١٨٣ . ١٩٦ .

رسالة السجاد عليه السلام في الزهد

وهذه رسالة في الزهد للسجاد عليه السلام دوّنت في حياته ، فادرجناها في الآثار المدوّنة.

أ. في سند الرسالة

نقل الكليني (ت ٣٢٩ هـ) هذه الرسالة عن : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن الحسن بن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن أبي حمزة ، قال : (ما سمعت بأحد من الناس كان أزهّد من علي بن الحسين عليه السلام إلا ما بلغني من علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان الإمام علي بن الحسين عليه السلام إذا تكلم في الزهد ووعظ أبكى من بحضرته) . وأضاف أبو حمزة : قرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين عليه السلام وكتبت ما فيها ، ثم أتيت علي بن الحسين صلوات الله عليه فعرضت ما فيها عليه ، فعرفه وضححه .
والرواية صحيحة السند ، والرواية في سلسلتها كلهم من الثقات .

ب . نص رسالة الزهد

(بسم الله الرحمن الرحيم . كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين . أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا ، الماثلون إليها ، المفتنون بها ، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد ، وهشيمها البائد غداً . واحذروا ما حذركم الله منها ، وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها ، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان .
والله إن لكم مما فيها عليها لدليلاً وتنبهاً ، من تصريف أيامها ، وتغيّر انقلابها ومثلاثها ، وتلاعبها بأهلها . إنها لترفع الحميل وتضع الشريف ، وتورد أقواماً إلى النار غداً ، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنته .

إن الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن ، وحوادث البدع ، وسنن الجور ، وبوائق الزمان ، وهيبة السلطان ، ووسوسة الشيطان لتثبط القلوب عن تنبها ، وتذهلها عن موجود الهدى ، ومعرفة أهل الحق إلا قليلاً ممن عصم الله ، فليس يعرف تصرّف أيامها وتقلب حالاتها وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله ، ونهج سبيل الرشد ، وسلك طريق القصد ، ثم استعان على ذلك بالزهد ، فكثر الفكر واتعط بالصبر فازدجر ، وزهد في عاجل بهجة الدنيا وتجافى عن لذاتها ، ورغب في دائم نعيم الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وراقب الموت ، وشأن الحياة مع القوم الظالمين .

انظر إلى ما في الدنيا بعين نيّرة حديدية البصر ، وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة ، فلقد لعمري استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيما تستدلون به على تجنب الغواية وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق ، فاستعينوا بالله وارجعوا إلى طاعة الله وطاعة من هو أولى بالطاعة ممن اتبع فأطيع.

فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة والقدوم على الله والوقوف بين يديه ، وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله إلا إلى عذابه ، وما آثر قوم قطّ الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم وساء مصيرهم ، وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان ، فمن عرف الله خافه ، وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله ، وإن أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه ، وقد قال الله ...) : (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**) ^(١)) ، فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصية الله ، واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله ، واغتنموا أيامها واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله ، فإن ذلك أقل للتبعة وأدنى من العذر ، وأرجأ للنجاة.

(١) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

فقدّموا أمر الله وطاعة من أوجب الله طاعته بين أيدي الأمور كلها ، ولا تقدموا الأمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت من زهرة الدنيا بين أيدي الله وطاعته وطاعة أولي الأمر منكم. واعلموا أنكم عبيد الله ونحن معكم ، يحكم علينا وعليكم سيد حاكم غداً ، وهو موقفكم ومسائلكم ، فأعدّوا الجواب قبل الوقوف والمساءلة والعرض على ربّ العالمين (**يَوْمَ نَبِّأُ ۙ لَا تَكَلِّمُنَّ نَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...**)^(١).

واعلموا أن الله لا يصدّق يومئذ كاذباً ولا يكذب صادقاً ، ولا يردّ عذر مستحق ، ولا يعذر غير معذور ، له الحجّة على خلقه بالرسول والأوصياء بعد الرسل. فاتقوا الله عباد الله ، واستقبلوا في إصلاح أنفسكم ، وطاعة الله وطاعة من تولّونه فيها ، لعل نادماً قد ندم فيما فرّ بالأمس في جنب الله وضيّع من حقوق الله ، واستغفروا الله وتوبوا إليه ؛ فإنه يقبل التوبة ويعفو عن السيئة ويعلم ما تفعلون.

(١) سورة هود : الآية ١٠٥ .

وإياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين ، احذروا فتنّتهم ، وتباعدوا من ساحتهم ، واعلموا أنه من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله ، واستبدّ بأمره دون أمر ولي الله كان في نار تلتهب ، تأكل أبداناً قد غابت عنها أرواحها ، وغلبت عليها شقوتها ، فهم موتى لا يجدون حرّ النار ولو كانوا أحياء لوجدوا مضض حر النار.

واعتبروا يا أولي الأبصار ، واحمدوا الله على ما هداكم ، واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته ، وسيرى الله عملكم ورسوله ثم إليه تحشرون ، فانتفعوا بالعضة وتأدّبوا بأداب الصالحين (١)

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ١٧ .

الفصل الخامس : نصوص منتقاة

النصوص التالية هي حكم وأقوال منتخبة للإمام علي بن الحسين عليه السلام في حقول دينية وحياتية شتى ، جمعها فكر الإمام عليه السلام . وهي على تنوعها ، تعكس إمام السجاد عليه السلام بالعلوم الإلهية ومنابع الفيض السماوي على الإمام عليه السلام

في الدين والحياة

تناول الإمام زين العابدين عليه السلام في خطابه الإرشادي إلى الناس جملة من المفاهيم الدينية حول صفات الإنسان وطبيعة إيمانه ، والدنيا ووجوه اغراءتها ، والآثار الشخصية والاجتماعية للإحسان ، ومجموعة من سنن الأنبياء عليهم السلام ، وطرق تعاملهم مع الناس . وامتون تلك الأحاديث تعبر عن شمولية الدين لمناحي الحياة ودور القيم الأخلاقية في تهذيبها.

الدين:

١ - جماع الدين : تقدم رجل إلى الإمام السجاد عليه السلام فسأله عن كيفية الدعوة إلى الدين ؟ فقال عليه السلام : (ادعوك إلى الله تعالى وإلى دينه ، وجماعه أمران . الأول : معرفة الله . والآخر : العمل برضوانه . وإن معرفة الله أن تعرفه بالوحدانية ، والرأفة والرحمة ، والعلم والقدرة ، والعلو على كل شيء ، وأنه النافع الضار القاهر لكل شيء الذي لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى ، وأن ما سواهما هو الباطل . فإذا أجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين)^(١)

الذنب:

٢ . أنواع الذنوب : النص التالي للإمام زين العابدين عليه السلام يكشف عن طبيعة الذنوب ومقتضياتها:
(الذنوب التي تغير النعم : البغي على الناس ، والزوال عن العادة في الخير واصطناع المعروف ، وكفران النعم ، وترك الشكر ، قال الله تعالى ...) : (لِإِذِ اللّٰهِ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُعَيِّرَ اٰمَبًا بِاَنفُسِهِمْ)
...^(٢)
والذنوب التي تورث الندم : قتل النفس التي حرم الله ، قال الله تعالى في قصة قابيل حين قتل أخاه فعجز عن دفنه ...) : (فَأَصْبَحَ مِنَ التَّائِبِينَ)^(٣) ، وترك صلة القرابة حتى يستغنوا ، وترك الصلاة حتى يخرج وقتها ، وترك الوصية ورد المظالم ، ومنع الزكاة حتى يحضر الموت وينغلق اللسان.

(١) التهذيب للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣١ .

والذنوب التي تنزل النقم : عصيان العارف ، والتطاول على الناس ، والاستهزاء بهم ، والسخر بهم .
والذنوب التي تدفع النعم : أظهار الإفتقار ، والنوم عن العتمة ^(١) ، وعن صلاة الغداة ، واستحقار
النعم ، وشكوى المعبود .
والذنوب التي تهمك العصم : شرب الخمر ، واللعب بالقمار ، وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو
والمزاح وذكر عيوب الناس ، ومجالسة أهل الريب .
والذنوب التي تنزل البلاء : ترك اغائة الملهوف ، وترك معونة المظلوم ، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر .
والذنوب التي تدل الأعداء : المجاهرة بالظلم ، وعلان الفجور ، وإباحة المحظور ، وعصيان الأخيار
، واتباع الأشرار .
والذنوب التي تعجل الفناء : قطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة ، والأقوال الكاذبة ، والزنا ، وسد طرق
المسلمين ، وادعاء الإمامة بغير حق .
والذنوب التي تقطع الرجاء : اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والثقة بغير الله ،
والتكذيب بوعد الله .

(١) العتمة : وقت صلاة العشاء .

والذنوب التي تظلم الهواء : السحر والكهانة ، والإيمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر ، وعقوق الوالدين.

والذنوب التي تكشف الغطاء : الاستدانة بغير نية الأداء ، والإسراف في النفقة على الباطل ، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام ، وسوء الخلق ، وقلة الصبر ، واستعمال الضجر ، والاستهانة بأهل الدين.

والذنوب التي ترد الدعاء : سوء النية وخبث السريرة ، والنفاق مع الاخوان ، وترك التصديق بالإجابة ، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها ، وترك التقرب إلى الله عزّ وجلّ بالبر والصدقة ، واستعمال البذاء والفحش في القول ، والزور وكتمان الشهادة ، ومنع الزكاة والقرض والماعون ، وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة ، وظلم اليتيم والأرملة ، وانتهاج السائل وردّه بالليل (١)

الإنسان:

٣. أعين العبد : (ان للعبد أربعة أعين : عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه ، وعينان يبصر بهما أمر آخرته . فإذا أراد الله بعبده خيرا فتح له

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص ٧٨.

العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته . وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه (١) .
٤ . الإنسان والقسم : (لا تحلفوا إلا بالله ، ومن حلف بالله فليصدق . ومن حلف له بالله فليرض
 . ومن حلف له بالله فلم يرض فليس من الله) (٢)

٥ . وثيقة الإنسان وعدالته : (إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه ، وتمادى في منطقته ، وتخاضع
 في حركاته ، فرويداً لا يغرنكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا ، وركوب الحرام منها ، لضعف بنيته
 ومهانته ، وجبن قلبه ، فنصب الدين فخاً له ، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره . فإن تمكن من حرام
 أقتحمه .

وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم ، فإن شهوات الخلق مختلفة ، فما أكثر من
 يتأبى عن الحرام وإن كثر ، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة ، فيأتي منها محرماً .
 فإذا رأيتموه كذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنتظروا عقدة عقله ، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا
 يرجع إلى عقل متين ، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله .

(١) الخصال ج ١ ص ١٠٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٢ .

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويدا لا يغرنكم حتى تنظروا أيكون هواه على عقله ، أم يكون عقله على هواه ؟ وكيف محبته للرياسة الباطلة وزهده فيها ؟ فإن في الناس من يترك الدنيا للدنيا ، ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من رياسة الأموال والنعم المباحة المحللة ، فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة ، حتى إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالأثم فحسبه جهنم وبئس المهاد . فهو يخبط خبط عشواء ، يقوده أول باطله إلى أبعد غايات الخسارة ، ويمد به بعد طلبه لما لا يقدر في طغيانه ، فهو يحلّ ما حرم الله ، ويحرم ما أحل الله لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التي قد شقي من أجلها . فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً.

ولكن الرجل كل الرجل الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله ، وقواه مبذولة في قضاء الله ، يرى الذلّ مع الحق أقرب إلى عز الأبد مع العز في الباطل ، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤدي إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد ، وأن كثيراً ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤدي به إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال . فذلك الرجل تمسكوا به ، واقتدوا بسنته ، وإلى ربكم توسلوا به ، فإنه لا تردّ له دعوة ، ولا يخيب من طلبه (١)

(١) الأحتجاج ج ٢ ص ١٧٥ . وتنبه الخواطر ص ٣١٦ .

٦ - عليك نفسك : (كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، أو يؤذي جلسه بما لا يعنيه) (١)

٧ - يا بن آدم : (ان الله يقول يا ابن آدم أرض بما أتيتك تكن من أزهد الناس ، واعمل بما افترضت عليك تكن من أعبد الناس ، واجتنب عما حرمت عليك تكن من أروع الناس) (٢)

٨ - حق يفني بأهل الأرض : جاء إليه رجلٌ برجلٍ يزعم انه قاتل أبيه ، وقد اعترف به ، ووجب عليه القصاص . فسأله علي بن الحسين عليه السلام العفو ليعظم ثوابه ، فلم تطب نفس ابن المقتول بالعفو . فقال عليه السلام : (إن كان لهذا القاتل عليك حقٌ ، فهب له هذه الجناية ، واغفر له ذنبه) . فقال : يا ابن رسول الله ، له علي حق لم يبلغ العفو عن قتل أبي .

فقال عليه السلام : (فماذا تريد منه ؟) . قال : أريد القود . فإن أراد المصالحة صالحته وتركت القود لأجل حقه . فقال عليه السلام : (ما حقه عليك ؟) . قال : انه علمني توحيد الله ونبوة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإمامة علي والأئمة عليهم السلام . فقال السجادة عليه السلام : (ألم تر أن هذا يفني بدم أبيك . بلى

(١) أصول الكافي على هامش مرآة العقول ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٢) تحف العقول ص ٦٨ .

والله ان هذا ليفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين ، سوى الأنبياء والأئمة إن قتلوا فإنه لا يفني بدمائهم شيء (١)

الموت:

٩ - الموت للمؤمن والكافر : (الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة ، وفك أغلال ثقيلة ، والاستبدال بأفخر الثياب ، وأوطأ المراكب. وللکافر كخلع ثياب فاخرة ، والنقل من منازل أنيسة ، والاستبدال بأوسخ الثياب وأحشنها ، وأوحش المنازل وأعظمها) (٢)

المؤمن:

١٠ - صفات المؤمن : (المؤمن خلط عمله بجلمه ، يجلس ليعلم ، وينصت ليسلم ، لا يجتد بالأمانة للاصدقاء ، ولا يكتم الشهادة للبعءاء ، ولا يعمل شيئاً من الحق رياءً ، ولا يتركه حياءً . إن زكي خاف مما يقولون ، ويستغفر الله لما لا يعلمون ، ولا يضره جهل من جهله) (٣)

(١) الأحتجاج للطبرسي ص ١٧٠.

(٢) معاني الأخبار باب ١٣٦.

(٣) تحف العقول ص ٢٨٠.

١١ - الدعاء للمؤمن بظهور الغيب : (إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب أو يذكره بخير ، قالوا : نعم الأخ أنت لأخيك ، تدعو له بالخير ، وهو غائب عنك ، وتذكره بخير . قد أعطاك الله مثلي ما سألت له ، وأثنا عليك مثلي ما أثنت عليه ، ولك الفضل عليه .
وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعو عليه ، قالوا له : بئس الأخ أنت لأخيك ، كف أيها المستر على ذنوبه وعورته ، واربع على نفسك ، واحمد الله الذي ستر عليك ، واعلم أن الله أعلم بعبده منك)^(١)

١٢ - المتحابون في الله : (إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد يسمعه الناس يقول : أين المتحابون في الله ؟ فيقوم عنق من الناس ، فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم عن العمل الذي جاز بهم إلى الجنة ، فيقولون : نحن المتحابون في الله . فيقولون : وأي شيء كانت أعمالكم ؟ فيقولون : كنا نحب في الله ، ونبغض في الله . فيقولون لهم : نعم أجر العاملين)^(٢)
١٣ . أهل الفضل : (إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ليقم أهل الفضل . فيقوم ناس قبل الحساب ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ،

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٥٠٨ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٣٢ .

فتلتقاهم الملائكة ويسألونهم إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. فإذا سألوهم عما استحقوا ذلك، يقولون: كنا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسىء إلينا غفرنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة فثم أجر العاملين...

ثم ينادي مناد: ليقيم جيران الله عز وجل، فيقوم ناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتسألهم الملائكة عما استحقوا ذلك، وما مجاورتهم لله عز وجل؟ فيقولون: كنا نتزاور في الله، ونتجالس في الله، ونتبادل في الله، فيقولون: ادخلوا الجنة فثم أجر العاملين (١)

١٤. علامات المؤمن: قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (علامات المؤمن خمس). (فقال له طاووس اليماني: وما هي يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: (الورع في الخلوة، والصدقة في القلة، والصبر عند المصيبة، والحلم عند الغضب، والصدق عند الخوف) (٢)

١٥. من أخلاق المؤمن: (من أخلاق المؤمن: الإنفاق على قدر الإقتار (٣)، والتوسعة على قدر التوسع، وانصاف الناس، وابتدأه بالسلام عليهم) (٤)

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) الخصال ص ٢٤٥.

(٣) الإقتار: ضيق المعيشة.

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٤١.

- ١٦ . منجيات المؤمن : (ثلاث منجيات للمؤمن : كف لسانه عن الناس وعن اغتيابهم ، وشغله بما ينفعه لديناه وآخرته ، وطول بكائه على خطيئته)^(١)
- ١٧ . لطفه تعالى بالمؤمن : (ان العبد المؤمن ليطلب الإمامة والتجارة ، فإذا اشرف من ذلك على ما يهوى بعث الله إليه ملكاً يصدّه عن أمر لو دخل فيه لاستحق النار . فينزل الملك ويصدّه عن ذلك الأمر بلطف الله تعالى ، ويصبح العبد يقول لقد دهاني من دهاني ، فعل الله به وفعل . وما يدري ان الله حل وعلا هو الناظر له في ذلك ولو تركه وذلك الشيء لدخل النار .)
- ١٨ . الخطوتان والجرعتان والقطرتان : (ما من خطوة أحب إلى الله تعالى من خطوتين : خطوة يسد بها المؤمن صفاً في سبيل الله ، وخطوة إلى ذي رحم قاطع . وما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعتين : جرعة غيظ يردّها بحلم ، وجرعة مصيبة يردّها بصبر . وما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرتين : قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمعة في سواد الليل لا يرد بها عبداً إلا الله عزّ وجلّ .)^(٢)
- ١٩ . من شروط الأمان يوم القيامة : (ثلاث من كن فيه كان في كنف الله تعالى وأظله يوم القيامة في ظل عرشه وآمنه من الفزع

(١) الدر النظيم ص ١٧٤ .

(٢) الخصال ج ١ ص ٢٦ .

الأكبر : من اعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه ، ورجلٌ لم يقدم يداً ولا رجلاً حتى يعلم انه في طاعة الله قدمها أو في معصيته ، ورجلٌ لم يعب أخاه بعب حتى يترك ذلك العيب من نفسه وكفى بالمرء شغلاً بعبه عن عيوب الناس)^(١)

٢٠. أهل الحكمة : (لا تحتقر اللؤلؤة النفيسة ان تجلبها من الكبا الخسيسية^(٢) ، فان أبي حدثني قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ان الكلمة من الحكمة لتلجلج^(٣) في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانها حتى يلفظ بها فيسمعها المؤمن فيكون أحق بها وأهلها ، فيلقفها)^(٤)

المنافق:

٢١. صفات المنافق : (المنافق ينهى ولا ينتهي ، ويأمر ولا يأتي ، إذا قام للصلاة اعترض ، وإذا ركع رضى ، وإذا سجد نقر ، يمسي وهمه العشاء ولم يصم ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر)^(٥)

(١) تحف العقول ص ٦٨.

(٢) الكبا : الكناسة.

(٣) لجلج في صدره : تردد.

(٤) بحار الأنوار ج ١ ص ٩٥ . باب من يجوز أخذ العلم منه.

(٥) تحف العقول ص ٢٨٠.

ومعنى ذلك ان المنافق قام للصلاة اعترض على وجوبها وناقش في نفعها ، وإذا ركع رضى أي هوى إلى الأرض كالغنم عند ربوضها ، وإذا سجد نقر مثله كمثل الطائر عند نقره الطعام.

أمراض الدنيا:

٢٢ . الكبر والحسد : (ما من عمل أفضل عند الله تعالى بعد معرفة الله ، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا . وإن لذلك شعباً كثيرة ، وإن للمعاصي شعباً .

فأول ما عصي الله به الكبر ، وهو معصية ابليس حين أبى واستكبر ، وكان من الكافرين .
والحسد وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله ، فتشعب من ذلك : حب النساء ، وحب الدنيا ، وحب الرياسة ، وحب الراحة ، وحب الكلام ، وحب العلو ، وحب الثروة . فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دار بلاء)^(١)

(١) أصول الكافي . باب ذم الدنيا.

صلة الرحم:

٢٣ - آثار صلة الرحم : (من سره أن يمّد الله في عمره ، وأن ييسط له في رزقه فليصل رحمه ، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ، ذلق^(١) ، تقول : يا رب صل من وصلني ، واقطع من قطعني ...)^(٢)
أقول : ان الرحم حقيقة عرفية ، أكد على صلتها الشرع الحنيف . والرحم في الأصل كما في (مفردات الراغب) هو رحم المرأة واستعير للقربة لكونهم خارجين من رحم واحد فالمتصل بالسبب خارج عنهم.

قال الشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ) في القواعد : (ان الصلة المأمور بها لا حقيقة لها شرعية ولا لغوية ، فتختلف باختلاف العادات وبعد المنازل وقربها وتصدق بكل ما تتحقق به ، وأدناه السلام بنفسه ثم برسوله والدعاء بظهور الغيب والثناء في المحضر وأعظم الصلة ما فيه جلب نفع للنفس ودفع ضرر عنها . والواجب من صلة الأرحام ما يخرج به عن القطيعة المحرمة بل قيل انها من الكبائر ، وغيره مستحب)^(٣)

(١) ذلق : لسان فصيح.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي.

(٣) القواعد ص ٢١٤ .

الإحسان:

٢٤ - الإطعام والإكساء : (من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مؤمناً عن ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، وأبما مؤمن كسى مؤمناً من عري ، لم يزل في ستر الله وحفظه ما بقيت منه خرقة)^(١) . و (من أطعم مؤمناً حتى يشبع ، لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين) . و (من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان)^(٢) . ثم تلا قوله تعالى : (وَأَإِطْعَامُ فِي يَوْمِ كَحٍّ مَسْبَعَةٍ * يَتِيمًا ذً مَقْرَبَةً * وَأَ مَسْكِينًا ذً مَتْرَبَةً)^(٣) .

٢٥ - قضاء حاجات المؤمن : (من قضى لأخيه حاجة قضى الله له مائة حاجة ، ومن نفس عن أخيه كربة نفس الله عنه كربه يوم القيامة ، بالغاً ما بلغت . ومن أعانه على ظالم له ، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام . ومن سعى له في حاجة حتى قضاهها له فسرّ بقضائها ، كان كإدخال السرور على رسول الله ﷺ . ومن سقاه من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم . ومن أطعمه من جوع ، أطعمه الله من ثمار الجنة . ومن كساه من عري ، كساه الله من استبرق

(١) المؤمن للحسين بن سعيد الأهوازي ص ٦٣ ح ١٥٩ .

(٢) السغبان : الجائع .

(٣) سورة البلد : الآية ١٤ - ١٦ .

وحرير . ومن كساه من غير عري لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسي من الثوب سلك . ومن كفاه ما أهمه أخدمه الله من الولدان . ومن حملة على راحلة بعثه الله يوم القيامة على ناقه من نوق الجنة يباهي به الملائكة . ومن كفنه عند موته كساه الله يوم ولدته أمه إلى يوم يموت . ومن زوجته زوجة يأنس بها ويسكن إليها ، أنسه الله في قبره بصورة أحب أهله إليه . ومن عاده في مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف ، وتقول : طبت وطابت لك الجنة . والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام)^(١)

٢٦ - الإنفاق : (إني لأستحيي من ربي أن أرى أخاً من اخواني ، فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدينار والدرهم ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة لك لكنت بها أبخل ، وأبخل ، وأبخل)^(٢)

٢٧ - عموم الإحسان : (إن أرفعكم درجات ، وأحسنكم قصوراً وأبنية [في الجنة] أحسنكم إيجاباً للمؤمنين ، وأكثركم مواساة لفقرائهم . إن الله ليقرّب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة طيبة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير ، بأكثر من مسيرة ألف عام يقدمه .

(١) ثواب الأعمال ص ٨١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٣٩ .

٢٨. (من كنتم علمه أحداً أو أخذ عليه أجراً لم ينتفع به أبداً)^(١)

التجارة:

٢٩. صدق التعامل : (إذا التاجران صدقا وبرا ، بورك لهما . وإذا كذبا وخانا ، ولم يبارك لهما) .

٣٠. الرزق الحلال : (الرزق الحلال قوت المصطفين .)

الفضائل:

٣١. أداء الأمانة : (عليكم بآداء الأمانة ، فوالذي بعث محمداً بالحق نبيا لو أن قاتل أبي الحسين

بن علي أئتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه)^(٢) .

٣٢. العمل بالسنة : (أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة)^(٣)

٣٣. شكر المخلوق للمخلوق : (لقد استترقتك بالو من سبقك بالشكر)^(٤) . (إن الله تعالى يجب

كل قلب حزين . ويجب كل عبد

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٤٠ .

(٢) دار السلام للنوري ج ٢ ص ١٤٠ .

(٣) الوافي ج ١ ص ٦٧ .

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢١ ص ٣٣١ .

شكور . ويقول الله لعبد من عبدة يوم القيامة : أشكرت فلانا ؟ فيقول : بل شكرتك يا رب . فيقول الله سبحانه : لم تشكرني إن لم تشكره) . ثم قال عليه السلام : أشكركم أشكركم للناس ^(١))
الشرح : ان شكر المخلوق يقتضي أمرين:

الأول : ان شكر المخلوق بأمر الله تعالى ، فيكون شكره شكراً لله . ويؤيده قول أمير المؤمنين عليه السلام : (لا يحمد حامد إلا ربه) . فشكر الإنسان المحسن مما أمر به المولى عز وجل . فيكون الشكر في النهاية لله تعالى.

الثاني : ان الحقيقة الإجتماعية لشكر الناس بعضهم بعضاً هو توثيق أواصر الأخوة والمحبة بينهم . وإلى هذا المعنى أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء لمن اتاه بالزكاة ، فقال عز وجل : (**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**) . ^(٢) ...

٣٤ - إينار الخالق على المخلوق : (إن الله جل جلاله يقول : وعزتي وعظمتي ، وجمالي وبهائي ، وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت همه في آخرته ، وغناه في قلبه ، وكففت عنه

(١) أصول الكافي . باب الشكر.

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

- ضياعته ، وضمنت السموات والأرض رزقه ، وأتته الدنيا وهي راغمة (١)
- ٣٥ . الغنى عما في أيدي الناس : (ما استغنى أحد من الناس إلا افتقر الناس إليه)
- ٣٦ . عدم معاداة الناس : (لا تعادين أحداً ، وإن ظننت أنه يضرك) .
- ٣٧ . الإتكال على إختيار الله : (من أتكل على حسن إختيار الله عز وجل له ، لم يتمن غير الحالة التي إختارها الله له) .
- ٣٨ . قبول العذر : (لا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره ، وإن علمت أنه كاذب) .
- ٣٩ . ستر العيوب : (ليقبل عيب الناس على لسانك) .
- ٤٠ . الصدق والوفاء : (خير مفاتيح الأمور الصدق ، وخير خواتيمها الوفاء) .
- ٤١ . الكلام الحسن : (لكل شيء فاكهة ، وفاكهة السمع الكلام الحسن) . و (القول الحسن يثري المال ، وينمي الرزق ، وينسأ في الأجل ، ويحبب إلى الأهل ، ويدخل الجنة) (٢)
- ٤٢ . فضل كلام الخير : سأل رجل الإمام علياً عن السكوت والكلام ، أيهما أفضل ؟ فقال علياً :
- (لكل واحد منهما آفات . فإذا

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢٢٢ .

(٢) الخصال ص ٢٨٩ .

سلما من الآفات ، فالكلام أفضل) . (إن الله سبحانه لم يبعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت . إنما بعثهم بالكلام . ولا استحقت الجنة بالسكوت ، إنما ذلك كله بالكلام . وما كنت لأعدل القمر بالشمس) (١) . وفي موضع آخر أوصى بالسكوت في بعض الحالات الإستثنائية : (استعن على الكلام بالسكوت ، فإن للقول حالات تضر) .

٤٣ . التواضع : (سبب الرفعة التواضع) .

٤٤ . الرضا بمكروه القضاء : (الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين) .

٤٥ . النظر لوجه المؤمن : (نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة عبادة) .

٤٦ . العفو عند القدرة : (إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للمقدرة عليه . فإن العفو عن قدرة ، فضل من الكرم) .

٤٧ . الدنيا وتفاهتها : سئل الإمام عليّ عن أعظم الناس خطرا ؟ فقال عليّ : (من لم يرض الدنيا لنفسه خطرا) .

٤٨ . الحلم عند الغضب : (إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه) .

٤٩ . التقوى : (لا يقلّ عمل مع التقوى ، وكيف يقلّ ما يتقبل ؟) .

(١) الإحتجاج ص ١٧٢ .

٥٠. الشجاعة : (النجدة الإقدام على الكريهة ، والصبر عند النائبة ، والذب عن الإخوان.)
والمعنى : النجدة هي الشجاعة وشدة البأس . والكريهة هي الحرب . فمن مظاهر الشجاعة : المبارزة في الحرب ، والصبر عند المصيبة ، والدفاع عن الإخوان.
٥١ - الإقتصاد في المعيشة : (لينفق الرجل بالقصد ، وبلغه الكفاف ، ويقدم الفضل منه لنخرته . فإن ذلك أبقى للنعمة ، وأقرب إلى المزيد من الله تعالى ، وأنفع في العاقبة.)
والمعنى هو ان يقتصد الإنسان في معاشه ولا يسرف ، ويبدل الفاضل أو الباقي من ماله على موارد الإحسان التي يحبها الله تعالى كصلة الرحم ومعونة الفقير واليتيم ونحوه.
٥٢ - خصال الكمال : (أربع من كنّ فيه كمل إسلامه ، ومحصت ذنوبه ، ولقي ربه عز وجل وهو عنه راض : من وفى لله عزّ وجلّ بما يجعل على نفسه للناس ، وصدق لسانه مع الناس ، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس ، وحسن خلقه مع أهله)^(١)

(١) الخصال ص ٢٠٣.

- ٥٣ - مكارم الأخلاق : (لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع ، ولا كرم إلا بتقوى ، ولا عمل إلا بنية)^(١) . و (استتمام المعروف أفضل من إبتدائه.)^(٢)
- ٥٤ - الصبر : (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له)^(٣)
- ٥٥ - القناعة : (من قنع بما قسم الله فهو من أغنى الناس)^(٤)

الردائل:

- ٥٦ - اللثم : (اللثيم يأكل ماله الأعداء ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً.)^(٥)
- ٥٧ - البطر : (إن الجسد إذا لم يمرض يأشر . ولا يخر في جسد يأشر)^(٦) ويأشر : يبطر . والمعنى أن المرض يعوّد الإنسان على معرفة النعمة ، فلا يبطر عندها الإنسان ولا يحجد نعمة الله تعالى.

(١) الخصال ص ١٩ .

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي ص ٢٣٧ .

(٣) أصول الكافي ج ٢ ص ٨٩ .

(٤) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٠٤ .

(٥) زهدة الناظر ص ٣٢ .

(٦) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٤ .

- ٥٨ . الغرور : (ربّ مغرور مفتون ، يصبح لاهياً ضاحكاً ، يأكل ويشرب ، وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة يصلّى بها نار جهنم)^(١)
- ٥٩ . رمي الناس : (من رمى الناس بما هم فيه ، رموه بما ليس فيه) .
- ٦٠ . اللجاجة : (اللجاجة مقرونة بالجهالة) .
- ٦١ . الحسد : (الحسود لا ينال شرفاً ، والحقود يموت كمدماً) .
- ٦٢ . النفعية : (بمس الأخ يرعاك غنياً ، ويقطعك فقيراً) .
- ٦٣ . التكبر : (عجبت للمتكبر الفخور ، الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة) .
- ٦٤ . المرء : (المرء يفسد الصداقة القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة ؛ والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة)^(٢)
- ٦٥ . الإبتهاج بالذنب : (إياك والإبتهاج بالذنب ، فإن الإبتهاج بالذنب أعظم من ركوبه)^(٣)

(١) تحف العقول ص ٢٨٢ .

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) الدر النظيم ص ١٧٣ .

٦٦ . الطمع : (رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس . ومن لم يرج الناس في شيء ، وردّ أمره إلى الله تعالى في جميع أموره ، استحباب الله له كل شيء)^(١)

٦٧ . العصبية : (العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه من خيار قوم آخرين . وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم)^(٢)

٦٨ . الكذب : (ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً ، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذّاباً)^(٣)

ما لا ينبغي فعله:

٦٩ . السؤال من غير حاجة : (ضمنت على ربي أنه لا يسأل أحد من غير حاجة ، إلا اضطرته المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة)^(٤)

٧٠ . ما يؤدي إلى الإعتذار : (إياك وما تعتذر منه)^(٥)

(١) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٣١٤ .

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٤) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٣٠٥ .

(٥) كشف الغمة . الأربلي .

٧١. طلب الحوائج : (طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ، ومذهبة للحياء ، واستخفاف بالوقار ، وهو الفقر الحاضر . وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر.)

٧٢. ندب الحظ : (من عتب على الزمان طالت معتبه.)

٧٣. قضاء الحوائج دون قصد القرية : (إذا تكلفت عناء الناس كنت أغواهم .) والمعنى ان من تكلف قضاء حوائج الناس دون قصد القرية إلى الله كان أجهلهم . لأنه ابتغى المشقة ولم يكسب الأجر الإلهي.

٧٤. الجلوس والتكلم والسمع من كل من هب ودب : (ليس لك أن تقعد مع من شئت فإن الله تبارك وتعالى يقول) : (**مَذَّأَ ذُّبَاتِ الَّذِينَ يُخْضِبُونَ فِي آيَاتِنَا فَبَأْسَىٰ عَلَيْهِمْ جَنَىٰ يُخْضِبُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ** **وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) . (١)

وليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله تعالى يقول : (**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**) . (٢) ...
ولأن رسول الله ﷺ قال : (رحم الله عبدا قال خيرا فغرم أو صمت فسلم) . وليس لك أن تسمع

ما

(١) سورة الأنعام : الآية ٦٨ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

شعت ، فان الله تعالى يقون : (... (إِذِ السَّمْعُ وَابْتَصَرَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا) (١).
٧٥. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : (التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنا بذا كتاب
الله وراء ظهره ، إلا ان يتقي تقاة) . فقليل له : ما تقاته ؟ قال عَائِشَةُ : (يخاف جبارا أن يفرض عليه أو
أن يطغى) (٢)
٧٦. الجهل بما يرويه المرء : (لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقال فيه من
الشر ما لا يعلم) (٣)
والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٤٠ .

(٣) عيون الأخبار لأبن قتيبة ج ١ ص ٢٧٥ .

الفهرست

المقدمة	٣
محتويات الكتاب :	٥
الفصل الأول : الترجمة التاريخية	٥
ولادة علي بن الحسين عليه السلام	٥
الأم الموحدة ودلالة (لتلدن لك خير أهل الأرض)	٨
مراحل حياة الإمام علي بن الحسين (٣٨ . ٩٥ هـ)	١٤
المرحلة الأولى : (سنة ٣٨ . ٦١ هـ)	١٥
الاحتفاء بالمولود	١٦
في الأسرة	١٩
أخلاقه وأدبه <small>عليه السلام</small> مع أبويه	٢٤
المرحلة الثانية : (سنة ٦١ . ٦٧ هـ)	٢٧
في كربلاء (محرم سنة ٦١ هـ)	٢٨
في الكوفة (محرم سنة ٦١ هـ)	٣٠
سياسة آل البيت <small>عليهم السلام</small> بعد الطف	٣٢
خطابات آل البيت <small>عليهم السلام</small> :	٣٤
مواراة أجساد قتلى آل النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> : (١٣ محرم سنة ٦١ هـ)	٤٤
في الشام (محرم / صفر سنة ٦١ هـ)	٤٦
الأول : تذكير الناس وإرشادهم	٤٧
الثاني : مواجهة الظالم	٥٠
خطبة زينب بنت علي <small>عليها السلام</small>	٥٢
الثالث : خطبة الإمام <small>عليه السلام</small> في مجلس يزيد	٥٧
دلالات خطبة السجاد <small>عليه السلام</small> :	٦٠
الإصباح في الشام :	٦١

٦١.....	تنصل يزيد من مسؤولية قتل الحسين <small>عليه السلام</small>
٦٤.....	إلى المدينة (صفر / ربيع أول سنة ٦١ هـ)
٦٥.....	في مدينة رسول الله <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small>
٦٩.....	مواريث الإمامة
٧٢.....	السجادة الحزين <small>عليه السلام</small>
٨١.....	حركة التوابين : سنة ٦٥ هـ
٨٤.....	حركة المختار : سنة ٦٦ هـ
٨٧.....	المرحلة الثالثة : (سنة ٦٧ . ٩٥ هـ)
٨٩.....	في أيام عبدالملك بن مروان (٧٣ . ٨٦ هـ)
٩٠.....	عبدالملك بن مروان والإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small>
١٠٠.....	في أيام الوليد بن عبد الملك (٨٦ . ٩٦ هـ)
١٠١.....	الوليد والإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small>
١٠٤.....	مع هشام بن عبد الملك
١١١.....	الإمام <small>عليه السلام</small> في شخصيته
١١٦.....	الأيام الأخيرة
١١٧.....	وصايا السجادة <small>عليه السلام</small> لأهل بيته
١٢٠.....	وصايا السجادة <small>عليه السلام</small> لإبنه الباقر <small>عليه السلام</small>
١٢٤.....	الإستشهاد
١٢٧.....	الفصل الثاني : الخصائص الشخصية
١٢٧.....	الإمامة
١٣٩.....	النص الخاص على إمامة زين العابدين <small>عليه السلام</small>
١٤٣.....	صفات الأئمة <small>عليهم السلام</small>
١٤٦.....	الأفضلية
١٥٠.....	الأفضلية في العلم

١٥١	أ. القرآن الكريم:
١٥٢	أولا : أهمية القرآن:
١٥٦	ثانيا : تفسير القرآن:
١٦٤	ب. الحديث الشريف:
١٦٥	أولا : ما رواه عن النبي ﷺ:
١٧٣	ثانيا : ما رواه عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:
١٨٠	ج. فقه العبادات:
١٨٥	د. في علم الكلام:
١٨٩	الأفضلية في الحلم وحسن الخلق
١٩٣	الأفضلية في الإحسان
١٩٩	الأفضلية في الزهد
٢٠١	الزهد في فكر الإمام عليه السلام
٢٠٥	الأفضلية في العبادة
٢١٣	في صلاة الليل:
٢١٩	شهر رمضان:
٢٢١	صور من دعائه في شهر رمضان:
٢٢٩	في الحج:
٢٣١	صور من دعائه في الحج:
٢٤٣	الأفضلية في الإنابة
٢٤٨	الفصل الثالث : المعالم الإجتماعية
٢٤٨	السلطة السياسية
٢٦١	المعارضة اللفظية:
٢٦٦	تحليل لموقف الإمام زين العابدين عليه السلام:
٢٦٩	مشكلة الفقر

٢٦٩	جملة من المفارقات:
٢٧٤	الطبقة الحاكمة وتبذير بيت المال:
٢٧٦	الفقر والحرمات:
٢٧٨	المشكلة العلمية:
٢٧٩	القضاء والقدر:
٢٨١	طلب العلم:
٢٨٣	تلامذة السجاد عليه السلام:
٢٨٧	تحريك الوضع العلمي:
٢٨٨	مشكلة العصبية:
٢٩٢	المشكلة الأخلاقية:
٢٩٥	مشكلة الرق:
٢٩٧	العبودية بين الدين والاقتصاد:
٣٠٠	المعارضة المسلحة:
٣٠٤	الفصل الرابع: الآثار المدونة:
٣٠٥	الصحيفة السجادية:
٣٠٥	أ. في سند الصحيفة ووثاقتها:
٣١٠	مصادر الصحيفة:
٣١١	ب. الدلالات العلمية للصحيفة:
٣١٦	ج. قضية استغفار المعصوم عليه السلام:
٣١٩	د. مقاطع منتخبة من أدعية الصحيفة السجادية:
٣١٩	الدعاء الأول: التحميد لله عز وجل:
٣١٩	الدعاء الثاني: الصلاة على محمد وآله:
٣٢٠	الدعاء الثالث: الصلاة على حلمة العرش:
٣٢٠	الدعاء الرابع: الصلاة على مُصدِّقِ الرُّسل:

- الدعاء الخامس : دعاؤه لنفسه وخاصته ٣٢٠
- الدعاء السادس : دعاؤه الصباح والمساء ٣٢١
- الدعاء السابع : دعاؤه في المهمّات ٣٢١
- الدعاء الثامن : دعاؤه في الاستعاذة ٣٢١
- الدعاء التاسع : دعاؤه في الاشتياق إلى طلب المغفرة ٣٢١
- الدعاء العاشر : في اللجوء إلى الله تعالى ٣٢٢
- الدعاء الحادي عشر : دعاؤه بخواتم الخير ٣٢٢
- الدعاء الثاني عشر : دعاؤه في الاعتراف وطلب التوبة ٣٢٢
- الدعاء الثالث عشر : دعاؤه في طلب الحوائج إلى الله تعالى ٣٢٣
- الدعاء الرابع عشر : دعاؤه في الظلّامات ٣٢٣
- الدعاء الخامس عشر : دعاؤه عند المرض ٣٢٣
- الدعاء السادس عشر : دعاؤه في الاستقالة من الذنوب ٣٢٤
- الدعاء السابع عشر : دعاؤه على الشيطان ٣٢٤
- الدعاء الثامن عشر : دعاؤه في المحلّد رات ٣٢٥
- الدعاء التاسع عشر : دعاؤه في الاستسقاء ٣٢٥
- الدعاء العشرون : دعاؤه في مكارم الأخلاق ٣٢٥
- الدعاء الحادي والعشرون : دعاؤه إذا حزّنه أمر ٣٢٦
- الدعاء الثاني والعشرون : دعاؤه عند الشدّة ٣٢٦
- الدعاء الثالث والعشرون : دعاؤه بالعافية ٣٢٧
- الدعاء الرابع والعشرون : دعاؤه لابويه ٣٢٧
- الدعاء الخامس والعشرون : دعاؤه لولديه ٣٢٧
- الدعاء السادس والعشرون : دعاؤه لجيرانه وأوليائه ٣٢٧
- الدعاء السابع والعشرون : دعاؤه لأهل الثّعور ٣٢٨
- الدعاء الثامن والعشرون : دعاؤه في التفزّع إلى الله عز وجل ٣٢٨

- الدعاء التاسع والعشرون : دعاؤه إذا قُتِر عليه الرزق ٣٢٨
- الدعاء الثلاثون : دعاؤه في المعونة على قضاء الدين ٣٢٩
- الدعاء الحادي والثلاثون : دعاؤه بالتَّوبَة ٣٢٩
- الدعاء الثاني والثلاثون : دعاؤه في صلاة الليل ٣٣٠
- الدعاء الثالث والثلاثون : دعاؤه في الاستخارة ٣٣٠
- الدعاء الرابع والثلاثون : دعاؤه إذا ابتلي أو رأى مبتلى بفضيحة أو بذنب ٣٣٠
- الدعاء الخامس والثلاثون : دعاؤه في الرضا بالقضاء ٣٣١
- الدعاء السادس والثلاثون : دعاؤه عند سماع الرَّعْد ٣٣١
- الدعاء السابع والثلاثون : دعاؤه في الشُّكْر ٣٣١
- الدعاء الثامن والثلاثون : دعاؤه في الاعتذار ٣٣١
- الدعاء التاسع والثلاثون : دعاؤه في طلب العفو ٣٣١
- الدعاء الأربعون : دعاؤه عند ذكر الموت ٣٣٢
- الدعاء الحادي والأربعون : دعاؤه في طلب السَّتر والوقاية ٣٣٢
- الدعاء الثاني والأربعون : دعاؤه عند ختمه القرآن ٣٣٢
- الدعاء الثالث والأربعون : دعاؤه إذا نظر إلى الهلال ٣٣٣
- الدعاء الرابع والأربعون : دعاؤه لدخول شهر رمضان ٣٣٣
- الدعاء الخامس والأربعون : دعاؤه لَوَاع شهر رمضان ٣٣٣
- الدعاء السادس والأربعون : دعاؤه لعيد الفطر والجمعة ٣٣٤
- الدعاء السابع والأربعون : دعاؤه في يوم عرفة ٣٣٤
- الدعاء الثامن والأربعون : دعاؤه في يوم الأضحى والجمعة ٣٣٥
- الدعاء التاسع والأربعون : دعاؤه في دفع كيد الأعداء ٣٣٥
- الدعاء الخمسون : دعاؤه في الرهبة ٣٣٥
- الدعاء الحادي والخمسون : دعاؤه في التَّصَرُّع والاستكانة ٣٣٦
- الدعاء الثاني والخمسون : دعاؤه في الالحاح على الله تعالى ٣٣٦

٣٣٦	الدعاء الثالث والخمسون : دعاؤه في التذلل لله عز وجل
٣٣٦	الدعاء الرابع والخمسون : دعاؤه في استكشاف الهموم
٣٣٧	المناجيات الخمس عشرة من كلام سيد الساجدين
٣٣٧	الأولى : مناجاة التائبين
٣٣٨	المناجاة الثانية : مناجاة الشاكرين
٣٣٩	المناجاة الثالثة : مناجاة الخائفين
٣٤٠	المناجاة الرابعة : مناجاة الراجين
٣٤١	المناجاة الخامسة : مناجاة الراغبين
٣٤٢	المناجاة السادسة : مناجاة الشاكرين
٣٤٣	المناجاة السابعة : مناجاة المطيعين لله
٣٤٤	المناجاة الثامنة : مناجاة المرئيين
٣٤٥	المناجاة التاسعة : مناجاة المحبين
٣٤٦	المناجاة العاشرة : مناجاة المتوسلين
٣٤٦	المناجاة الحادية عشرة : مناجاة المفتقرين
٣٤٧	المناجاة الثانية عشرة : مناجاة العارفين
٣٤٨	المناجاة الثالثة عشرة : مناجاة الذاكرين
٣٤٩	المناجاة الرابعة عشرة : مناجاة المعتصمين
٣٤٩	المناجاة الخامسة عشرة : مناجاة الزاهدين
٣٥٠	رسالة الحقوق
٣٥٠	أ. في سند الرسالة ووحدة موضوعها
٣٥٣	ب. الدلالات الاجتماعية لرسالة الحقوق
٣٥٥	ج. نص الرسالة
٣٧٦	رسالة السجاد <small>عليه السلام</small> في الزهد
٣٧٦	أ. في سند الرسالة

٣٧٦	ب . نص رسالة الزهد
٣٨٠	الفصل الخامس : نصوص منتقاة
٣٨٠	في الدين والحياة
٣٨١	الدين:
٣٨١	الذنب:
٣٨٣	الإنسان:
٣٨٧	الموت:
٣٨٧	المؤمن:
٣٩١	المنافق:
٣٩٢	أمراض الدنيا:
٣٩٣	صلة الرحم:
٣٩٤	الإحسان:
٣٩٦	التجارة:
٣٩٦	الفضائل:
٤٠١	الردائل: